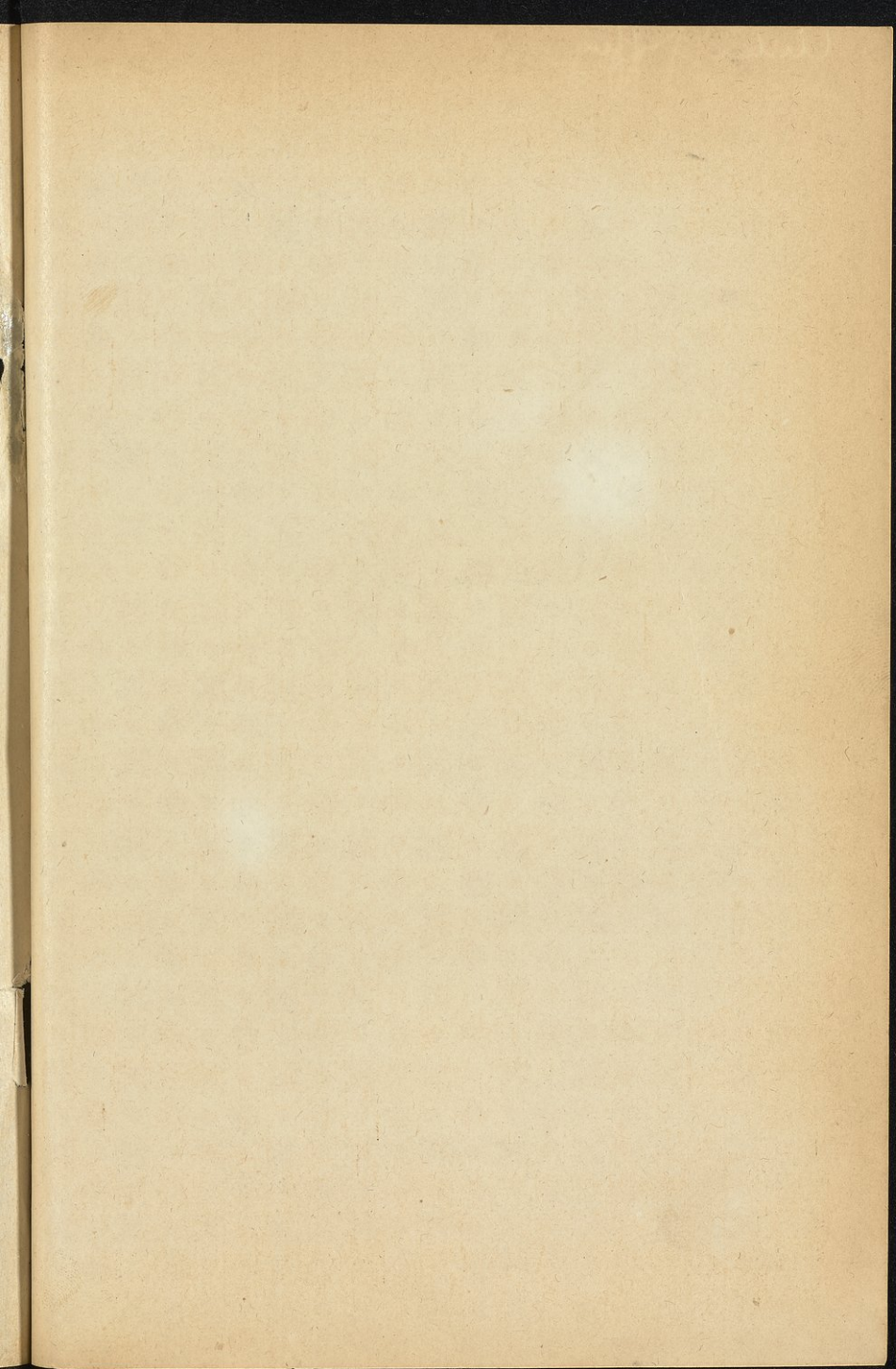


1856



W. Arthur Jeffery

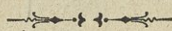
Richard
1800



Arthur Jeffrey.

كِتَابٌ

نور اليقين في سيرة سيد المرسلين



لمؤلفه

« محمد الخضري »

﴿ الحائز شهادة التدريس من مدرسة دار العلوم الخديوية ﴾

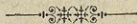
(والمدرس بمدرسة القضاء الشرعي)

« بمصر »



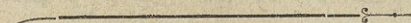
﴿ حقوق الطبع محفوظة لمؤلفه ﴾

سنة ١٣٢٦



« طبعة ثالثة »

يطلب من مكتبة المؤيد بشارع محمد علي بمصر



بمطبعة المعارف وأول شارع الإنجاز بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمدك يا من اوضحت لنا سبل الهداية . وازحت عن بصائرنا
غشاوة الغواية . ونصلي ونسلم على من أرسلته شاهداً ومبشراً ونذيراً
وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً وعلى الاصحاب الذين هجروا
الاطوان . يتبعون من الله الفضل والرضوان . والانصار الذين آووا
ونصروا . وبدلوا لاعزاز الدين ما جمعوا وما ادخروا (اما بعد) فيقول
محمد الخضري ابن المرحوم الشيخ عفيفي الباجوري كنت أجد من
نفسى منذ النشأة الاولى ارتباحاً لقراءة تواريخ السالفين وقصص الغابرين
وأجدها لعقل الانسان أحسن مهذب وانصح معلم . وكنت أرى في
تاريخ نبينا عليه الصلاة والسلام وما لقيه من أذى قومه حينما دعاهم الى
الحق وعظيم صبره حتى هجر أوطانه وبلاده اعظم مرَبِّ لافكار
المسلمين فانه يدهم على ما يجب اتباعه وما يلزم اجتنابه ليسودوا كما
ساد سابقوهم وخصوصاً ما يتعلق بالحكام من اجتناب النفوس النافرة

والتأليف بين القلوب المختلفة وما يتعلق بقواد الجيوش من تأليف الرجال واحكام المعدات حتى يتم لهم النصر على اعدائهم وما يتعلق بالعامه من اتحاد قلوبهم وصيورتهم يداً على من سواهم فكنت أجد من قراءتها ارتياحاً عظيماً وكانت نفسي كثيراً ما تأسف على ترك المسلمين لها فقلما أجد من يشتغل بها ولكني كنت أقدم لهم العذر بتطويل الكتب المؤلفة في هذا الموضوع فلما قدمت مدينة المنصورة جمعني النوادي مع محمود بك سالم القاضي بمحكمة المنصورة المختلطة فوجدت منه عالماً بدينه تقىً دونه فحول الرجال وتأخر عن مسابقتها فيه الابطال . فقلما توضع مسألة دينية الاً وجدته مبرراً فيها مفصلاً عن الجواب عنها . اما علمه بسيرة الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم فعنده منها الخبر اليقين وكنت كثيراً ما اسمعه يتشوق لعمل سيرة خالية من الحشو والتعقيد تنتفع بها عامة المسلمين فقلت يا الله لقد وافق هذا السيد الكريم ما في نفسي ولكني كنت أرى في عزيمة قصوراً عن تنفيذ رغبته وتتميم أمنيته فان المقام عظيم وصعوباته اعظم ولكن لم أر من الامر بدأ تلقاء ما كنت أسمعه من كبار رجال المنصورة فانهم اكثرها من الاماني لعمل هذا الكتاب العميم النفع الجزيل الفائدة فقامت معتمداً على الله راجياً منه ان يوفقني لما فيه رضاءه وواصلت السير بالسرى حتى بلغت المنى فجاء بحمد الله كتاباً سهل المنال عذب المورد تنتفع به العامة وترجع اليه الخاصة وقد كان موردي في تأليفه

القرآن الشريف وصحيح السنّة مما رواه الامامان البخاري ومسلم ولم
أخرج عنهما الا فيما لا بد منه من تفهيم العبارات فكان يساعديني
الشفاء للقاضي عياض والسيرة الحلبية والمواهب اللدنية للقسطلاني
واحياء علوم الدين للغزالي . هذا واسأل الله من فيض فضله ان يوفق
أمتنا وامراءنا للاقتداء بسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم
واحياء معالم دينه حتى يؤيدوا بروح من عند الله
وقد آن ان نشرع فيما قصدناه : مستعينين بحول الله فقول

— o — النسب الشريف — o —

السيد الاكرم الذي شرف الناس بوجوده هو (محمد بن عبد الله)
من زوجه آمنة بنت وهب الزهرية (١) القرشية (ابن عبد المطلب)
من زوجه فاطمة بنت عمرو المخزومية (٢) القرشية وكان عبد المطلب
شيخاً معظماً في قريش يصدر عن رأيه في مشكلاتهم ويقدمونه
في مهماتهم (ابن هاشم) من زوجه سلمى بنت عمرو (٣) النجارية

(١) من بني زهرة بن كلاب من قريش

(٢) من بني مخزوم بن يقظة بن مرة من قريش

(٣) من بني النجار من الخزرج والخزرج احدي القبيلتين اللتين كانتا

تقيان بالمدينة وهما الاوس والخزرج وهما اخوان وسمي رسول الله صلى
الله عليه وسلم كلاً انصاراً

الخرزجية (ابن عبد مناف) من زوجه عاتكة بنت مرّة السامية (١)
(ابن قصي) من زوجه حُبَيّ بنت حليل الخزاعية (٢) وكان الى
قصي في الجاهلية حجابة البيت وسقاية الحاج واطعامه المسمى بالرفادة
والندوة وهي الشورى لا يتم امر الآ في بيته واللواء لا تعقد راية لحرب
الآ بيده ولما اشرف على الموت جعلها في يد أحد أولاده عبد الدار
ولكن بنو عبد مناف أجمعوا رأيهم على ان لا يتركوا بني عمهم عبد
الدار يستأثرون بهذه المفاخر وكاد يفضي الامر الى القتال لولا ان
تدارك الامر عقلاء الفريقين فأعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة
فدامتا فيهم الى أن انتهتا للعباس ابن عبد المطلب ثم لبنيه من بعده
أما الحجابة فبقيت بيد بني عبد الدار وأقرها لهم الشرع فهي فيهم الى
الآن وهم بنو شيبه بن عثمان بن ابي طلحة بن عبد العزي بن عثمان
ابن عبد الدار وأما اللواء فدام فيهم حتى أبطله الاسلام وجعله حقاً
للخليفة على المسلمين يضعه فيمن يراه صالحاً له وكذلك الندوة وقصي
(ابن كلاب) من زوجه فاطمة بنت سعد وهي يمانية من أزد شنوءة
(ابن مرة) من زوجه هند بنت سرير من بني فهر بن مالك (ابن

(١) من بني سليم بن منصور احدى قبائل قيس عيلان بن مضر بن نزار

(٢) من بني خزاعة بن عمرو احدى قبائل قعدة بن الياس بن مضر

وهم الذين كانوا يتولون البيت قبل قريش

كعب) من زوجه محشية بنت شيبان من بني فهر أيضاً (ابن لؤي)
من زوجه أم كعب مارية بنت كعب من قضاة (ابن غالب) من
زوجه أم لؤي عاتكة بنت يخلد من بني النضر بن كنانة (ابن فهر)
من زوجه أم غالب ليلي بنت الحارث من هذيل وفهر هو قریش في
قول الاكثرين فكل من كان من ولده فهو قرشي وكانت قریش
اثنتي عشرة قبيلة بنو عبد مناف وبنو عبد الدار بن قصي وبنو أسد
ابن عبد العزي بن قصي وبنو زهرة بن كلاب وبنو مخزوم بن يقظة
ابن مرة وبنو تميم بن مرة وبنو عدي بن كعب وبنو سهم ابن هصيص
ابن عمرو بن كعب وبنو جمح بن هصيص بن عمرو بن كعب وبنو
عامر بن لؤي وبنو تميم بن غالب وبنو الحارث بن فهر وبنو محارب
ابن فهر والمقيمون منهم بمكة يسمون قریش البطاح والذين بضواحيها
قریش الظواهر (ابن مالك) من زوجه جندلة بنت عامر من جرهم
(ابن النضر) من زوجه عاتكة بنت عدوان بن قيس عيلان (ابن
كنانة) من زوجه برّة بنت مرّ من بني تميم (ابن خزيمه) من
زوجه عوانة بنت سعد بن قيس عيلان (ابن مدركة) من زوجه سلمى
بنت أسلم من قضاة (ابن الياس) من زوجه خندف المضروب بها
المثل في الشرف والمنعة (ابن مضر) من زوجه الرباب بنت جندة
ابن معدّ (ابن نزار) من زوجه سودة بنت عك (ابن معدّ) من
زوجه معانة بنت جوشم من جرهم (ابن عدنان)

هذا هو النسب المتفق على صحته من علماء التاريخ والمحدثين أما النسب فوق ذلك فلا يصح فيه طريق غاية الامر انهم اجمعوا على أن نسب الرسول صلى الله عليه وسلم ينتهي الى اسماعيل بن ابراهيم ابني العرب المستعربة . نسب شريف كما ترى آباء طاهرون وامهات طاهرات لم يزل عليه السلام يتنقل من أصلاب أولئك الى ارحام هؤلاء حتى اختاره الله هادياً مهدياً من أوسط العرب نسباً فهو من صميم قريش التي لها التقدم الاولي في الشرف وعلو المكانة بين العرب ولا نجد في سلسلة آباءه الا كراماً ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة وكذلك أمهات آباءه من ارفع قبائلهن شأناً ولا شك ان شرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة وكل اجتماع بين آباءه وامهاته كان شرعياً بحسب الاصول العربية ولم ينل نسبه شيء من سفاح الجاهلية بل طهره الله من ذلك والحمد لله

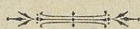
— ❦ —
❦ — زواج عبد الله بآمنة وحملها ❦ —

كان عبد الله بن عبد المطاب من أحب ولد أبيه فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وسنه ثمانى عشرة سنة وهي يومئذ من افضل نساء قريش نسباً وموضعاً ولما دخل عليها حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلبث أبوه ان توفي بعد الحمل بشهرين ودفن بالمدينة عند اخواله بني عدي بن النجار فانه كان ذهب

لتجارة الى الشام فادركته منيته بالمدينة وهو راجع ولما تمت مدة حمل
آمنة وضع ولدها فاستبشر العالم بهذا المولود الكريم الذي بث في
ارجائه روح الآداب وتمم مكارم الاخلاق وقد حقق المرحوم محمود
باشا الفلكي ان ذلك كان في صبيحة يوم الاثنين تاسع ربيع اول
الموافق لليوم العشرين من ابريل سنة ٥٧١ من الميلاد وهو يوافق
السنة الاولى من حادثة الفيل (١) وكانت ولادته في دار ابي طالب
بشعب بني هاشم وكانت قابله الشفاء ام عبد الرحمن بن عوف ولما
ولد أرسلت أمه لجدته تبشره فأقبل مسروراً وسماه محمداً ولم يكن هذا
الاسم شائعاً قبل عند العرب ولكن اراد الله ان يحقق ما قدره وذكره
في الكتب التي جاءت بها الانبياء كالتوراة والانجيل فألهم جده ان
يسميه بذلك انفاذاً لامره وكانت حاضنته أم أيمن بركة الحبشية أمة

(١) حادثة شهيرة حصلت بمكة فأرخت بها العرب كعادتهم هم وكل أمة
في التاريخ بالأمور المهمة وقد ذكر القرآن هذه الحادثة في سورة الفيل
وحاصلها ان ملكاً من ملوك الحبشة الذين امتلكوا اليمن بعد حير أغار
على مكة وقصد هدم كعبتها وكان معه فيل عظيم لم يكن العرب رأوا
مثله فاكراً ما للنبي المنتظر وغيره على بيته الكريم جعل الله كيد الاعداء
في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم
كعصفٍ مأكول وأراح قريشاً من عناء مقاومتهم اه

أبيه عبدالله وأول من أرضعهُ ثوية أمة عمه أبي لهب



○ ❧ الرضاع ❧ ○

وكان من عادة العرب أن يلتمسوا المراضع لمواليدهم في البوادي ليكون أنجب للولد وكانوا يقولون ان المربي في المدن يكون كليل الدهن فاطر العزيمة فجاءت نسوة من بني سعد بن بكر يطلبن اطفالاً يرضعهم فكان الرضيع المحمود من نصيب حليلة بنت ابي ذؤيب السعدية واسم زوجها أبو كبشة وهو الذي كانت قريش تنسب له الرسول صلى الله عليه وسلم حينما يريدون الاستهزاء به فيقولون هذا ابن أبي كبشة يكلم من السماء . ودرت البركات على أهل ذاك البيت الذين أرضعوه مدة وجوده بينهم وكانت تربو عن اربع سنوات (١)

١٠٦

○ ❧ حادثة شق الصدر ❧ ○

وحصل له وهو بينهم حادثة مهمة وهي شق صدره واخراج حظ الشيطان منه فأحدث ذلك عند حليلة خوفاً فردته الى أمه وحدثتها قائلة بينما هو واخوته في بهم لنا خلف بيوتنا اذ أتى أخوه يعدو فقال لي ولايه ذاك أخي القرشي قد أخذه رجالان عليهما ثياب بيض فاضجعا فشقنا بطنه فهما يسوطانه (٢) فخرجت انا وابوه نحوه فوجدناه

(١) السيرة الحلبية (٢) يحركانه بسوط

متنعاً لونه (١) فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له مالك يا بني فقال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فأقبلا يتندراني فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه شيئاً فأخذاه وطرحاه ولا أدري ما هو



﴿ وفاة آمنة وكفالة عبد المطلب ووفاته وكفالة أبي طالب ﴾

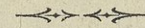
ثم ان امه اخذته منها وتوجهت به الى المدينة لزيارة احوال أبيه بني عدي بن النجار وبينما هي عائدة أدركتها منيتها في الطريق فماتت بالأبواء (٢) فحضرته أم أيمن وكفله جده عبد المطلب ورق له رقة لم تعهد له في ولده لما كان يظهر عليه مما يدل على ان له شأنًا عظيمًا في المستقبل وكان يكرمه غاية الاكرام ولكن لم يلبث عبد المطلب ان توفي بعد ثماني سنوات من عمر الرسول صلى الله عليه وسلم فكفله شقيق أبيه أبو طالب فكان له رحيمًا وعليه غيورًا وكان أبو طالب مقلًا من المال فبارك الله له في قليله وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في مدة كفالة عمه مثال القناعة والبعد عن السفاسف التي يشتغل بها الاطفال عادة كما روت ذلك أم أيمن حاضته فكان اذا أقبل وقت الاكل جاء الاولاد يخطفون وهو قانع بما سيسره الله له

(١) شبيهاً بالنقع وهو التراب

(٢) قرية بين مكة والمدينة وهي أقرب الى المدينة

✽ السفر الى الشام المرة الأولى ✽

ولما بلغ سنه عليه السلام اثنتي عشرة سنة أراد عمه وكفيله السفر
بتجارة الى الشام فاستعظم الرسول صلى الله عليه وسلم فراقه فرقاً له
وأخذه معه وهذه هي الرحلة الاولى ولم يكتبوا فيها الا قليلاً وقد
أشرف على رجال القافلة وهم بقرب بصرى (١) بحيرا الراهب فسألهم
عمّا رآه في كتبهم المقدسة من بعثة نبي من العرب في هذا الزمن
فقالوا انه لم يظهر للان وهذه العبارة كثيراً ما كان يلهج بها أهل
الكتاب من يهود ونصارى قبل بعثة الرسول « فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به فلعنة الله على الكافرين » (٢)



حرب الفجّار

ولما بلغ سنه عليه السلام عشرين سنة حضر حرب الفجّار وهي
حرب كانت بين كنانة ومعها قريش وبين قيس وسببها انه كان
النعمان بن المنذر ملك العرب بالحيرة (٣) تجارة يرسلها كل عام

(١) قرية على الحدود بين بلاد الشام وبلاد العرب

(٢) سورة البقرة

(٣) بلدة غرب الفرات كان يقيم بها ملك العرب من قبل ملوك

فارس فتحها خالد بن الوليد في السنة الثانية عشرة (راجع اتمام الوفاء)

الى سوق عكاظ (١) لتباع له وكان يرسلها في امان رجل ذي منعة
وشرف في قومه ليحيزها فجلس يوماً وعنده البراض بن قيس الكناني
وكان فاتكاً خليعاً خلعه قومه لكثرة شره وعروة بن عتبة الرحال
فقال من يحيزلي تجارتي هذه حتى يبلغها عكاظ فقال البراض أنا
أحيزها على بني كنانة فقال النعمان انما أريد من يحيزها على الناس
كلهم فقال عروة أئيت اللعن (٢) اكاب خليع يحيزها لك أنا
أحيزها على أهل الشيخ والقيصوم من أهل نجد (٣) وتهامة (٤)
فقال البراض أو تحيزها على كنانة يا عروة قال وعلى الناس كلهم
فأسرّها البراض في نفسه وترى بص له حتى اذا خرج بالتجارة قتله
غدرًا ثم أرسل رسولاً يخبر قومه كنانة بالخبر ويحذرهم قيساً قوم
عروة أما قيس فلم تلبث بعد أن بلغها الخبر ان همت لتدرك ثأرها حتى

(١) سوق كانت تعقده العرب كل عام لتعرض فيه تجارتها وما
قاله فصحاؤها من قصائد الفخر وما أشبه ذلك من مفاخر العرب وهي
أشبه في ذلك بمعارض أوروبا الآن

(٢) تحية عربية ومعناها باعدت كل ما يستحق المذمة

(٣) هو المرتفع من بلاد العرب وهو وسطها

(٤) هو ما انحفض من سواحل البلاد العربية والشرقي منها يسمى

البحرين والفاصل بين نجد وتهامة الحجاز في الغرب واليمامة في الشرق

أدركوا قريشاً وكنانة بنخلة (٥) فاقتلوا ولما اشتد البأس وحميت قيس
احتمت قريش بجرمها وكان فيهم رسول الله ثم ان قيساً قالوا لخصومهم
انا لا نترك دم عروة فموعدنا عكاظ العام المقبل وانصرفوا الى بلادهم
يحرض بعضهم بعضاً فلما حال الحول جمعت قيس جموعها وكان معها
ثقيف وغيرها وجمعت قريش جموعها من كنانة والاحابيش وهم حلفاء
قريش وكان رئيس بني هاشم الزبير بن عبد المطلب ومعه اخوته أبو
طالب وحمزة والعباس وابن اخيه النبي الكريم وكان على بني أمية حرب
ابن أمية وله القيادة العامة لمكانه في قريش شرفاً وسناً وهكذا كان
على كل بطن من بطون قريش رئيس ثم تناجزوا الحرب فكان يوماً
من أشد أيام العرب هولاً ولما استحلّ فيه من حرمة مكة التي كانت
مقدسة عند العرب سمي يوم الفجار وكادت الدائرة تدور على قيس
حتى انهزم بعض قبائلها ولكن أدركهم من دعا المتحاربين للصلح على
أن يخصصوا قتلى الفريقين فمن وجد قتلاه اكثر أخذ دية الزائد فكانت
لقيس زيادة أخذوا ديتها من قريش وتعهد بها حرب بن أمية ورهن
لسدادها ولده أبا سفيان وهكذا انتهت هذه الحرب التي كثيراً ما تشبه
حروب العرب تبدوها صغيرات الامور حتى ألف الله بين قلوبهم
وأزاح عنهم هذه الضلالات بانتشار نور الاسلام بينهم

— حلف الفضول —

وعند رجوع قريش من حرب الفجار تداعو لحلف الفضول فتم في دار عبد الله بن جمدعان التيمي أحد رؤساء قريش وكان المتحالفون بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف وبني أسد بن عبد العزى وبني زهرة بن كلاب وبني تيم بن مرة تحالفوا وتعاهدوا ان لا يجدوا بمكة مظلوماً من اهلها أو من غيرهم من سائر الناس الا قاموا معه حتى تردّ اليه مظلمته وقد حضر هذا الحلف رسول عليه السلام مع اعمامه وقال بعد ان شرفه الله بالرسالة (لقد شهدت مع عمومي حلفاً في دار عبد الله بن جدعان ما أحب ان لي به حمر النعم ولو دعيت به في الاسلام لاجبت) وذلك لانه عليه السلام مبعوث بمكارم الاخلاق وهذا منها وقد اقر دين الاسلام على كثير يرشدك الى هذا قوله عليه السلام (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) وقد دعا بهذا الحلف كثير ون فأنصفوا

— رحلته الى الشام المرة الثانية —

ولما بلغ سنه عليه السلام خمساً وعشرين سنة سافر الى الشام المرة الثانية وذلك ان خديجة بنت خويلد الاسدية (١) كانت سيدة تاجرة

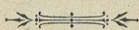
(١) من بني أسد بن عبد العزى بن قصي

ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم اياه فلما سمعت
عن السيد من الامانة وصدق الحديث ما لم تعرفه في غيره حتى سماه
قومه الأمين استأجرته ليخرج في مالها الى الشام تاجراً وتعطيه أفضل
ما كانت تعطي غيره فسافر مع غلامها ميسرة فباعا وابتاعا وزبحاربحاً
عظيماً وظهر للسيد الكريم في هذه السفرة من البركات ما حبه في
قلب ميسرة غلام خديجة

—>>><<<—
— ❖ — زواجه خديجة — ❖ —

فلما قدما مكة ورأت خديجة ربها العظيم سرّت من الامين عليه
السلام وأرسلت اليه تخطبه لنفسها وكان سنها نحو الاربعين وهي من
أوسط قریش حسباً واوسعهم مالاً فقام الامين عليه السلام مع اعمامه
حتى دخل على عمها عمرو بن أسد فخطبها منه بواسطة عمه أبي طالب
فزوجها عمها وقد خطب أبو طالب في هذا اليوم . فقال الحمد لله الذي
جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئىء (١) معدّ وعنصر
مضر وجعلنا حضنة بيته وسوأس حرمه وجعله لنا بيتاً محجوجاً وحرماً
آمناً وجعلنا حكام الناس ثم ان ابن أخي هذا محمد بن عبدالله لا
لا يوزن به رجل شرفاً ونبلاً وفضلاً وان كان في المال قلاً فان
المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مستردّة وهو والله بعد هذا له نبأ

عظيم وخطر جليل وقد خطب اليكم رغبة في كريتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق (كذا) وعلى ذلك تم الأمر . وقد كانت متزوجة قبله بأبي هالة توفي عنها وله منها ولد اسمه هالة وهو ربيب المصطفى عليه السلام



— ٥ — بناء البيت — ٥ —

ولما بلغ سنه عليه السلام خمساً وثلاثين سنة جاء سيل جارف فصعد جدران الكعبة بعد توهينها من حريق كان اصابها قبل فأرادت قریش هدمها ليرفعوها ويسقفوها فانها كانت رضية (١) فوق القامة فاجتمعت قبائلهم لذلك ولكنهم هابوا هدمها لمكانها في قلوبهم فقال لهم الوليد بن المغيرة أتر يدون بهدمها الاصلاح أم الاساءة قالوا بل الاصلاح قال ان الله لا يهلك المصلحين وشرع يهدم فتبعوه وهدموا حتى وصلوا الى أساس اسماعيل وهناك وجدوا صحفاً نقش فيها كثير من الحكم على عادة من يضعون أساس بناء شهير ليكون تذكرة للمتأخرين بعمل المتقدمين ثم ابتدؤا في البناء وأعدوا لذلك نفقة ليس فيها مهر بغي ولا بيع ربا وجعل الاشراف من قریش يحملون الحجارة على اعناقهم وكان العباس ورسول الله فيمن يحمل وكان الذي يلي البناء نجار رومي اسمه باقوم وقد خصص لكل ركن جماعة من العظماء يتقلون

(١) بناء رضيع مبنی بالصخر اه من أساس البلاغة

اليه الحجارة وقد ضاقت بهم النفقة الطيبة عن اتمامه على قواعد اسماعيل
فأخرجوا منها الحجر وبنوا عليه جداراً قصيراً علامة على انه من الكعبة
ولما تم البناء ثمانى عشرة ذراعاً بحيث زيد فيه عن اصله تسع أذرع
ورفع الباب عن الارض بحيث لا يصعد اليه الا بدرج أرادوا وضع
الحجر الاسود موضعه فاختلف اشرفهم فيمن يضعه وتنافسوا في ذلك
حتى كادت تشب بينهم نار الحرب ودام بينهم هذا الخصاص أربع ليال
وكان اسنّ رجل في قریش اذ ذاك ابو امية بن المغيرة المخزومي
عم خالد بن الوليد فقال لهم يا قوم لا تختلفوا وحكموا بينكم من ترضون
بحكمه فقالوا نكل الامر لاول داخل فكان هذا الداخل هو الامين
المأمون عليه الصلاة والسلام فاطمأن الجميع له لما يعهدون فيه من
الامانة وصدق الحديث وقالوا هذا الامين رضينا هذا محمد لانهم
كانوا يتحامون اليه اذ كان لا يداري ولا يماري فلما اخبروه الخبر
بسط رداءه وقال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم وضع فيه الحجر
وامرهم برفعه حتى انتهوا الى موضعه فأخذه ووضعهُ فيه وهكذا انتهت
هذه المشكلة التي كثيراً ما يكون امثالها سبباً في انتشار حروب هائلة
بين العرب لولا ان يمين الله عليهم بعاقل مثل أبي امية يرشدهم الى
الخير وحكيم مثل الرسول صلى الله عليه وسلم يقضي بينهم بما يرضى
جميعهم ولا يستعرب من قریش تنافسهم هذا لان البيت قبلة العرب
وكتبهم التي يحجون اليها فكل عمل فيه عظيم به الفخر والسيادة وهو

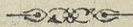
اول بيت وضع للعبادة بشهادة القرآن الكريم قال تعالى في سورة آل عمران (ان اول بيت وُضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً) وكان يلي امره بعد ولد اسماعيل قبيلة جرهم فلما بغوا وظلموا من دخل مكة اجتمعت عليهم خزاعة وأجلوهم عن البيت ووليته خزاعة حيناً من الدهر ثم اخذته منهم قريش في عهد قصي بن كلاب و بسببه آمنوا في بلادهم فكانت قبائل العرب تهاجمهم واذا احتموا به كان حصناً أميناً من اعتداء العادين وامتن الله عليهم بذلك في تنزيله فقال في سورة القصص (أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم)



﴿ معيشته عليه السلام قبل البعثة ﴾

لم يرث عليه السلام من والده شيئاً بل ولد يتيماً عائلاً فاسترضع في بني سعد ولما بلغ مبلغاً يمكنه معه ان يعمل عملاً كان يرعى الغنم مع اخوته من الرضاع في البادية وكذلك لما رجع الى مكة كان يرعاها لاهابا على قراريط كما ذكر ذلك البخاري في صحيحه ووجود الانبياء في حال التجرد عن الدنيا ومشاغلا أمر لا بد منه لانهم لو وجدوا اغنياء لأهتهم الدنيا وشغلوا بها عن السعادة الابدية ولذلك ترى جميع الشرائع الالهية متفقة على استحسان الزهد فيها والتباعد عنها وحال الانبياء السالفين أعظم شاهد على ذلك فكان عيسى عليه السلام

أزهد الناس في الدنيا وكذلك كان موسى وإبراهيم وكانت حلهم في
صغرهم ليست ذات سعة بل كلهم سواء تلك حكمة بالغة أظهرها الله
على انبيائه ليكونوا نموذجاً لمتبعيهم في الامتناع عن التكالب على الدنيا
والتهافت عليها وذلك سبب البلايا والمحن . وكذلك رعاية الغم فما من
نبي الا رعاها كما أخبر عن ذلك الصادق المصدوق في حديث للبخاري
وهذه أيضاً من بالغ الحكم فان الانسان اذا استرعى الغم وهي اضعف
البهائم سكن قلبه الرأفة والطف تعطفاً فاذا انتقل من ذلك الى رعاية
الخلق كان قد هذب أولاً من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي فيكون
في اعدل الاحوال . وما شب عليه السلام كان يتاجر وكان شريكه
السائب بن ابي السائب وذهب بالتجارة لخديجة رضي الله عنها الى
الشأم على جعل يأخذه . وما شرفت خديجة بزواجه وكانت ذات
يسار عمل في مالها وكان يأكل من نتيجة عمله وحقق الله له ما امتنَّ
عليه به في سورة الضحى بقوله جلَّ ذكره (ألم يجدك يتيماً فأوى
ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى) فالايواء والاغناء قبل
النبوة والهداية بالنبوة هداه للكتاب والايمن ودين ابراهيم عليه السلام
ولم يكن يدري ذلك قبل . قال تعالى في سورة الشورى (وكذلك أوحينا
اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن
جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا)



﴿ سيرته في قومه قبل البعثة ﴾

كان عليه السلام أحسن قومه خلقاً وأصدقهم حديثاً وأعظمهم
أمانة وأبعدهم عن الفحش والاخلق التي تدنس الرجال حتى كان
أفضل قومه مروءة وأكثرهم مخالطة وخيرهم جواراً وأعظمهم حملاً
وأصدقهم حديثاً فسموه الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة
الحميدة . والفعل السديدة من الحلم والصبر والشكر والعدل والتواضع
والعفة والجد والشجاعة والحياء حتى شهد له بذلك أعدائه النضر
ابن الحارث من بني عبد الدار حيث يقول قد كان محمد فيكم غلاماً
حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم امانة حتى اذا رأيتم في
صدغية الشيب وجاءكم بما جاءكم قاتم ساحر لا والله ما هو بساحر قال
ذلك في معرض الاتفاق على ما يقولونه للعرب الذين يحضرون الموسم
حتى يكونوا متفقين على قول مقبول يقولونه . ولما سأل هرقل ملك
الروم أبا سفيان قائلاً هل كنتم تتهمون به بالكذب قبل أن يقول ما قال
قال لا فقال هرقل ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله
ورد ذلك في اول صحيح البخاري . وقد حفظه الله في صغره من كل
اعمال الجاهلية التي جاء شرعه الشريف بضدها (١) وبغضت اليه
الاوثان بغضاً شديداً حتى ما كان يحضر لها احتفالاً أو عيداً مما يقوم

(١) الشفاء للقاضي عياض

به عابداً وقال عليه السلام (لما نشأت بغضت اليّ الاوثان و بغض
اليّ الشعر ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين كل ذلك
يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ثم ما هممت بسوء بعدهما حتى
أكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو أبصرت لي غنمي
حتى ادخل مكة فاسمرك كما يسمرك الشباب فخرحت لذلك حتى جئت
اول دار من مكة أسمع عزفاً بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست
لذلك فضرب الله على اذني فتمت فما ايقظني الا مس الشمس ولم أقض
شيئاً ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك) وكان عليه السلام لا يأكل ما
ذبح على النصب (١) وحرم شرب الخمر على نفسه مع شيعه في قومه
شيعواً عظيماً وذلك كله من الصفات التي يحلي الله بها انبياءه ليكونوا
على تمام الاستعداد لتلقي وحيه فهم معصومون من الادناس قبل النبوة
وبعدها أما قبل النبوة فليتأهلوا للامر العظيم الذي سيسند اليهم وأما
بعدها فليكونوا قدوة لاممهم . عليهم من الله أفضل الصلوات واتم التسليمات

— — —
— ✽ — ما أكرمه الله به قبل النبوة ✽ —

أول منحة من الله له ما حصل من البركات على آل حليلة الذين
كان مسترضعاً فيهم فقد كانوا قبل حلوله بناديهم مجديين فلما صار

(١) هي حجارة تنصب تنصب عليها دماء الذابح وتعبد

بينهم صارت غنياتهم تؤوب من مرعاهان وان أضراعها لتسيل لبناً
ويرحم الله البوصيري حيث يقول في همزيته
وإذا سخر الاله أناساً * لسعيد فانهم سعداء

ثم اعقب ذلك ما حصل من شق صدره واخراج حظ الشيطان
منه وليس هذا بالعجب على قدرة الله تعالى فمن استبعد ذلك كان
قليل النظر لا يعرف من قوّة الله شيئاً لأن خرق العادات للانبياء ليس
بالامر المستحدث ولا المستغرب . ومن المكرمات الالهية تسخير الغمامة
له في سفره الى الشام حتى كانت تظله في اليوم الصائف لا يشترك
معه أحد في القافلة كما روى ذلك ميسرة غلام خديجة الذي كان مشاركاً
له في سفره وهذا ما حبه الى خديجة حتى خطبته لنفسها وتيقنت أن له
في المستقبل شأنًا ولذلك لما جاءته النبوة كانت أسرع الناس ايماناً به
ولم تنتظر آية أخرى زيادة على ما علمته من مكارم الاخلاق وما سمعته
من خوارق العادات ومن منن الله عليه ما كان يسمعه من السلام عليه
من الاحجار والاشجار (١) فكان اذا خرج لحاجته أبعد حتى لا
يرى بيناء ويفضي الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر
الا سمع الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وكان يلتفت عن يمينه
وشماله وخلفه فلا يرى أحداً وقد حدث بذلك عن نفسه وليس في

ذلك كبير اشكال فقد سخر الله الجمادات للانبياء قبله فعصا موسى
التقمت ما صنع سحرة فرعون بعد ان تحولت حية تسعى ثم رجعت
كما كانت ولما ضرب بها الحجر نبع منه الماء اثنتي عشرة عيناً لكل
سبط من اسباط بني اسرائيل عين وكذلك غيره من الانبياء سخر
الله لهم ما شاء من انواع الجمادات لتدل العقلاء على عظيم قدرهم
وخطارة شأنهم

— — — — —
❖ تبشير التوراة به ❖

انزل الله التوراة على موسى محتوية على الشرائع التي تناسب
اهل ذاك الزمن ونوره فيها بذكر كثير من الانبياء الذين علم الله انه
سيرسألهم فما جاء فيها تبشيراً برسولنا الكريم خطاباً لسيدنا موسى عليه
السلام (١) (وسوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين اخوتهم واجعل
كلامي في فمه ويكلمهم بكل شيء أمره به ومن لم يطع كلامه الذي
يتكلم به باسمي فانا الذي انتقم منه فأما النبي الذي يجترئ علي
بالكبرياء ويتكلم باسمي بما لم أمره به أو باسم آلهة أخرى فليقتل واذا
احببت ان تميز بين النبي الصادق والكاذب فهذه علامتك ان ما
قاله ذلك النبي باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه

(١) الاصحاح الثامن سفر التثنية

ولذلك لا تخشاه) ويقول اليهود ان هذه البشارة ليوشع بن نون خيفة موسى عليه السلام مع انهم كانوا ينتظرون في مدة المسيح نبياً آخر غير المسيح فانهم (١) أرسلوا ليوحنا المعمدان (يحيى) يسألونه عن نفسه فقالوا له أنت ايليا فقال لا فقالوا انت المسيح فقال لا فقالوا انت النبي فقال لا فقالوا ما بالك اذا تعمد اذا كنت لست ايليا ولا المسيح ولا النبي . فهذه تدل على ان التوراة تبشر بايليا والمسيح ونبي لم يأت حتى زمن المسيح ثم ان التوراة تقول في صفة النبي انه مثل موسى وقد نصت في آخر سفر التثنية على انه لم يقم في بني اسرائيل نبي مثل موسى وورد في هذه البشارة ان النبي الذي يفترى على الله يقتل ويشبه ذلك في القرآن قوله تعالى في سورة الحاقة (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) (٢) ونبينا صلى الله عليه وسلم مكث بين اعدائه الالذاء من مشركين ويهود ثلاثا وعشرين سنة يدعوهم فيها الى الله ومع ذلك عصمه الله منهم وأنزل عليه تطميناً لخاطره في سورة المائدة (والله يعصمك من الناس) اكان يعجز الله وهو القادر على كل شيء ان يعاقب من ينسب اليه ما لم يقله وهو الذي قال في سورة الشورى (ام يقولون افترى على الله كذباً فان

(١) الاصحاح الاول من انجيل يوحنا

(٢) عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه

يشأ الله يحتم على قلبك ويمحُ الله الباطل ويمحق الحق بكلماته انه عليم
بذات الصدور) وقد اخبرتنا هذه البشارة عن العلامة التي نعرف بها
صدق النبي من كذبه وهي الاخبار بما سيأتي وقد اخبر النبي عليه السلام
عن اشياء كثيرة فحدث كما اخبر عنها ومنها ما لا يتفمع معه الحدس
والتخمين كالأخبار بأن الروم سيغلبون بعد ان قهرهم الفرس قهراً
شديداً حتى كادوا يحتلون اقسطنطينية عاصمة ملكهم فالأخبار اذاً بأن
الروم سيردون ما فقد منهم بعد بضع سنين لا يكون الا من عند الله
ولذلك استغربه جداً بعض المشركين من قریش وراهن على ذلك
أبا بكر الصديق رضي الله عنه وقد حقق الله الخبر فاستحق الصديق
الرهن وهذا قليل من كثير سيايتك تفصيله ان شاء الله تعالى

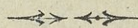
وروي القاضي عياض في الشفاء ان عطاء بن يسار سأل عبد الله
ابن عمرو بن العاص عن صفة رسول الله عليه السلام فقال أجل والله
انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للاميين أنت عبدي ورسولي سميتك
المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب (١) في الاسواق ولا يدفع
السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة
العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعيناً عمياً وآذاناً صماً
وقلوباً غلفاً

وروى مثله عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه الذي كان
رئيس اليهود فلم تعمه الرياسة حتى يترك الدين القويم وكذلك كعب
الاحبار وفي بعض طرق الحديث ولا صخب في الاسواق ولا قوال
للخنا أسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم واجعل السكينة
لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة مقوله والصدق والوفاء
طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى
امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه اهدى به بعد الضلالة واعلم به بعد
الجهالة وارفع به بعد الحلالة واسمى به بعد النكرة واكثر به بعد انقلا
واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واؤلف به بين قلوب مختلفة
واهواء متشتتة وامم متفرقة وأجعل أمته خير امة اخرجت للناس .
وقد اخبر عليه السلام عن صفته في التوراة فقال وهو الصادق الامين
عبدي احمد المختار مولده مكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة وامته
الحمدون الله على كل حال

— ❦ — تبشير الانجيل ❦ —

بشر عيسى عليه السلام قومه في الانجيل بالفارقليط ومعناه قريب
من محمد أو أحمد ويصدق في القرآن قول الله تعالى في سورة الصف
(واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم

مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) وقد وصف المسيح هذا الفارقليط باوصاف لا تنطبق الا على نبينا فقال انه يوبخ العالم على خطيئته وانه يعلمهم جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع وهذا ما ورد في القرآن الكريم في سورة النجم (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحيٌ يوحى) وقد ورد في انجيل برنابا الذي ظهر منذ زمن قريب واخفته حجب (١) الجهالة ذكر اسم الرسول عليه السلام صراحة



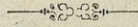
حركة الافكار قبل البعثة

وهذا يسهل لك فهم الحركة العظيمة من الاحبار والرهبان قبيل البعثة فكان اليهود يستفتحون على عرب المدينة برسول متظر فقد حدث عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا انما دعانا للاسلام مع رحمة الله تعالى لنا ما كنا نسمع من احبار يهود كنا اهل شرك واصحاب اوثان وكانوا اهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان نبي يبعث الان نقتلكم معه قتل عادوارم فكثيراً ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله محمداً أجبتنا حين دعانا الى الله

(١) ترجم الى العربية وهو الان يطبع بمصر

وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فإدراهم اليه فأمنوا وكفروا وإنما قال لهم
اليهود تقتلكم معه قتل عادوارم لان من صفته عليه السلام في كتبهم
ان هذا النبي يستأصل المشركين بالقوة ولم يكونوا يظنون ان الحسد
والبغي سيتمكنان من افئدتهم فيبذون الدين القيم فيحق عليهم العذاب
في الدنيا والاخرة وكان امية بن ابي الصلت المنتصر العربي كثيراً ما
يقول اني لاجد في الكتب صفة نبي يبعث في بلادنا . وحدث سلمان
الفارسي رضي الله عنه عن نفسه انه صحب قسيساً فكان يقول له
يا سلمان ان الله سوف يبعث رسولاً اسمه احمد يخرج من جبال تهامة
علامته ان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة . وهذا الحديث كان من اسباب
اسلام سلمان وما راسل عليه السلام ملوك الارض لم يهن كتابه الا
كسرى الذي ليس عنده علم من الكتاب اما جميع ملوك النصارى
كالنجاشي ملك الحبشة والمقوقس ملك مصر وقيصر ملك الروم
فاكرموا وفادة رسله ومنهم من آمن كالنجاشي ومنهم من رد رداً لطيفاً
وكاد يسلم لولا غلبة الملك كقيصر ومنهم من هادى كالمقوقس ولم
يكن عليه السلام في قوة يرهب بها هؤلاء الملوك اللهم ما ذاك الا
لانهم يعلمون ان المسيح عليه السلام بشر برسول يأتي من بعده
ووافقت صفات رسولنا ما عندهم فاجابوا بالتي هي احسن . أما ما سمع
من الهواتف والكهان قبيل زمنه فهو مالا يدخل تحت حصر وليس
بعد ما ذكرته لك زيادة لمستكثر ومع ذلك كله فالاعمال التي جاد

الله بها على يديه والاقوال التي اتانا بها اعظم مقول حجته ومؤيد لدعوته .
وسياتي عليك بيان ذلك كله بأجلى بيان فتأمله ترشد هداك الله الى
الصراط السوي



بدء الوحي

لما بلغ عليه السلام سن الكمال وهو اربعون سنة أرسله الله
للعالمين بشيراً ونذيراً ليخرجهم من ظلمات الجهالة الى نور العلم وكان
ذلك في اول فبراير سنة ٦١٠ من الميلاد كما اوضحه المرحوم محمود
باشا الفلكي . واول ما بدى به من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا
يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وذلك لما جرت به عادة الله في خاتمه
من التدرج في الامور كلها حتى تصل الى درجة الكمال ومن الصعب
جداً على البشر تلقى الوحي من الملك لاول مرة ثم حبب اليه عليه
السلام الخلاء ليمتعد عن ظلمات هذا العالم وينقطع عن الخلق الى الله
فان في العزلة صفاء السريرة وكان يخلو بغار (١) حراء فيتعبد فيه
الليالي ذوات العدد فتارة عشراً وتارة اكثر الى شهر وكانت عبادته
على دين ابيه ابراهيم عليه السلام ويأخذ لذلك زاده فاذا فرغ
رجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء

(١) جبل على مقربة من مكة

فبينما هو قائم في بعض الايام على الجبل اذ ظهر له شخص وقال ابشر يا محمد انا جبريل وانت رسول الله الى هذه الامة ثم قال له اقرأ قال ما انا بقارئ فانه عليه السلام امني لم يتعلم القراءة قبلاً فاخذه فغطه بالتمط الذي كان ينام عليه حتى بلغ منه الجهد ثم ارسله فقال اقرأ فقال ما انا بقارئ فآخذه فغطه ثانية ثم ارسله فقال اقرأ قال ما انا بقارئ فآخذه فغطه الثالثة ثم ارسله فقال (اقرأ باسم ربك الذي خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) فرجع بها عليه السلام يرجف فواده مما ألمَّ به من الروع الذي استلزمته مقابلة الملك لأول مرة فدخل على خديجة زوجه فقال زملوني (١) زملوني لتزول عنه هذه التشعريرة فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال خديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي لان الملك غطه حتى كاد يموت ولم يكن له عليه السلام علم قبل ذلك بجبريل ولا بشكله فقالت كلا والله ما يخزيك الله ابداً انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فلا يسلط الله عليك الشياطين او الاوهام ولا مرء ان الله اختارك لهداية قومك ولتأكد خديجة مما ظنته ارادت ان تثبت من لهم علم بحال الرسل ممن اطلعوا على كتب الاقدمين فانطلقت به حتى أتت ورقة بن نوفل ابن

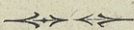
عم خديجة وكان امراً قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب
العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله ان يكتب وكان
شيخاً كبيراً قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن اخيك
فقال يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره عليه السلام خبر ما رأى فقال له
ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى لانه يعرف ان رسول
الله الى انبيائه هو جبريل ثم قال يا ليتني فيها جذعاً (شاباً جلدًا) اذ
يخرجك قومك من بلادك التي نشأت بها لمعادتهم اياك وكرهيتهم
لك حينما تطالبهم بتغيير اعتقادات وجدوا عليها آباءهم فاستغرب عليه
السلام ما نسب لقومه مع ما يعلمه من حبهم له لا تصافه بمكارم الاخلاق
وصدق القول حتى سموه الامين وقال أو مخرجي هم قال لم يأت رجل
قط بمثل ما جئت به الا عودي . وقد نطق بذلك القرآن الكريم قال
تعالى في سورة ابراهيم (وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من
أرضنا أو لتعودنَّ في ملتنا) ولتمام تصديق ورقة برسالة الرسول الاكرم
عليه السلام قال وان يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا (معضدًا)
ثم لم يلبث ورقة أن توفي



○ فترة الوحي ○

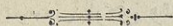
وقتر الوحي مدة لم يتفق عليها المؤرخون وارجح اقوالهم فيها
اربعون يوماً ليشهد شوق الرسول للوحي وقد كان فان الحال اشتدت

به عليه السلام حتى صار كلما أتى ذروة جبل بدا له أن يرمي نفسه منها
حذراً من قطيعة الله له بعد أن أراه نعمته الكبرى وهي اختياره لأن
يكون واسطة بينه وبين خلقه فيتبدى له الملك قائلاً أنت رسول الله
حقاً فيطمئن خاطره ويرجع عما عزم عليه حتى أراد الله أن يظهر
للوجود نور الدين فعاد إليه الوحي



— عود الوحي —

فبينما هو يمشي اذ سمع صوتاً من السماء فرفع إليه بصره فاذا الملك
الذي جاءه بجراء جالس بين السماء والارض فرعب منه لتذكر ما فعله في
المرّة الاولى فرجع وقال دثروني دثروني فانزل الله تعالى عليه (يا ايها
المدثر قم فأندر) حذر الناس من عذاب الله ان لم يرجعوا عن
غيهم وما كان يعبد آباؤهم (وربك فكبر) خصه بالتعظيم ولا تشرك
معه في ذلك غيره (وثيابك فطهر) لتكون مستعداً للوقوف بين يدي
الله اذ لا يليق بالمؤمن ان يكون مستقذراً نجساً (والرجز فاهجر)
أي اهجر اسباب الرجز وهو العذاب بان تطيع الله وتنفذ امره (ولا
تمن تستكثر) ولا تهب احداً هبة وانت تطمع ان تستعيض من
الموهوب له أكثر مما وهبك فهذا ليس من شأن الكرام (ولربك
فاصبر) على ما سيلحقك من أذى قومك حينما تدعوهم الى الله



—o— الدعوة سرا —o—

فقام عليه السلام بالامر ودعا لعبادة الله اقواماً جفاةً لادين لهم
الا ان يسجدوا لاصنام لا تنفع ولا تضر ولا حجة لهم الا انهم متبعون
لما كان يعبد آباؤهم وليس عندهم من مكارم الاخلاق الا ما كان
مرتبطاً بالعزة والانفة وهو الذي كثيراً ما كان سبياً في الغارات والحروب
واهراق الدماء فجاءهم رسول الله بما لا يعرفونه فذوو العقول السليمة
بادروا الى التصديق وخلع الاوثان ومن أعمته الرياسة ادبر واستكبر
كيلا تسلب منه عظمته . وكان اوّل من سطع عليه نور الاسلام خديجة
بنت خويلد وزوجه وعلي بن ابي طالب ابن عمه وكان مقيماً عنده
يطعمه ويسقيه ويقوم بأمره لان قریشاً كانوا قد اصابهم مجاعة وكان
ابو طالب مقلداً كثير الاولاد فقال عليه السلام لعمة العباس بن عبد
المطلب ان اخاك ابا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة
فانطلق بنا اليه لنخفف من عياله تأخذ واحداً وانا واحداً فانطلقا وعرضاً
عليه الامر فأخذ العباس جعفر بن ابي طالب واخذ عليه السلام علياً
فكان في كفالته كاحد اولاده الى ان جاءت النبوة وقد ناهز
الاحتلام فكان تابعاً للنبي في كل اعماله ولم يتدنس بدنس الجاهلية
من عبادة الاوثان واتباع الهوى واجاب ايضاً زيد بن حارثة بن
شرحبيل الكلبي مولاه عليه السلام وكان يقال له زيد ابن محمد لانه

لما اشتراه اعتمقه وتبناه وكان المتبني معتبراً كابن حقيقي يرث ويورث
واجابت ايضاً أم أيمن حاضته التي زوجها لمولاه زيد . وأول من
اجابه من غير اهل بيته ابو بكر بن ابي قحافة بن عامر بن كعب بن
سعد بن تيم بن مرة التيمي القرشي كان صديقاً لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل النبوة يعلم ما اتصف به من مكارم الاخلاق ولم يعهد
عليه كذباً منذ اصطحبها فأول ما أخبره برسالة الله أسرع بالتصديق
وقال بأبي انت وامي اهل الصدق انت اشهد ان لا اله الا الله وانك
رسول الله . كان رضي الله عنه صدرًا معظمًا في قريش على سعة من
المال وكرم الاخلاق وكان من اعف الناس سخياً يبذل المال محبباً
في قومه حسن المجالسة ولذلك كله كان من رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمنزلة الوزير فكان يستشيره في أموره كلها وقال في حقه (ما
دعوت احداً الى الاسلام الا كانت له كبوة غير أبي بكر) وكانت
الدعوة الى الاسلام سرّاً حذراً من مفاجأة العرب بأمر شديد كهذا
فيصعب استسلامهم فكان عليه السلام لا يدعو الا من يثق به ودعا
ابو بكر الى الاسلام من يثق به من رجال قريش فأجابه جمع (منهم)
عثمان بن عفان بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف
الاموي القرشي ولما علم عمه الحكم باسلامه اوثقه كتاباً وقال ترغب
عن دين آبائك الى دين مستحدث والله لا أحلك حتى تدع ما انت
عليه فقال عثمان والله لا ادعه ولا افارقه فلما رأى الحكم صلابته في الحق

تركه وكان شاباً لا يتجاوز العشرين من عمره (ومنهم) الزبير بن العوام
بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي القرشي وامه صفية بنت
عبد المطلب وكان عم الزبير يرسل الدخان عليه وهو مقيد ليرجع الى
دين آبائه فقوَّاه الله بالثبات وكان شاباً لا يتجاوز سن الاحتلام (ومنهم)
عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن
كلاب الزهري القرشي وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسماه عليه
السلام عبد الرحمن (ومنهم) سعد بن ابي وقاص مالك بن أهيب
ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري القرشي ولما علمت أمه حمنة
بنت ابي سفيان بن أمية باسلامه قالت له يا سعد بلغني انك قد صبت
فوالله لا يظلني سقف من الحرِّ والبرد وان الطعام والشراب عليّ حرام
حتى تكفر بمحمد وبقيت كذلك ثلاثة ايام فجاء سعد الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وشكا اليه أمره فنزل في ذلك تعليماً قول الله
تعالى في سورة العنكبوت (ووصينا الانسان بوالديه حسناً وان جاهداك
على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما اليّ مرجعكم فأنبئكم
بما كنتم تعملون) وصاه جل ذكره بوالديه وأمره بالاحسان اليهما
مؤمنين كانا او كافرين اما اذا دعواه للاشراك فالمعصية متحتمة لان
كل حق وان عظم ساقط هنا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم قال
اليّ مرجعكم من آمن منكم ومن اشرك فجازيكم حق جزائكم وفي
ختم هذه الآية فائدتان التنبيه على ان الجزاء الى الله فلا تحدث

نفسك بجفوتها لاشرا كهما والحض على الثبات في الدين لثلاثين
شراً جزءاً في الاخرى (وممنهم) طاحه بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو
ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي القرشي وقد كان عرف من
الرهبان ذكر الرسول وصفته فلما دعاه ابو بكر وسمع من رسول الله ما
نفعه الله به ورأى الدين متيناً بعيداً عما عليه العرب من المثالب بادر
الى الاسلام (وممن) سبقوا الى الاسلام صهيب الرومي وكان من
الموالي وعمار بن ياسر العنسي وقد قال رضي الله عنه رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما معه الا خمسة أعبد وامرأتان وابو بكر وكذلك
اسلم ابوه ياسر وأمه سُمَيَّة (وممن) السابقين الاولين عبد الله بن
مسعود كان يرعى الغنم لبعض مشركي قريش فلما رأى الآيات الباهرة
وما يدعو اليه عليه السلام من مكارم الاخلاق ترك عبادة الاوثان
ولزم رسول الله وكان رضي الله عنه كثير الدخول على الرسول لا يحجب
ويمشي امامه ويستتره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام
فاذا جلس ادخلها في ذراعيه (وممن) السابقين الاولين ابو ذر
الغفاري وكان من اعراب البادية فصيحاً حلو الحديث ولما بلغه مبعث
رسول الله قال لآخيه اركب الى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل
الذي يزعم انه نبي يأتيه الخبر من السماء واسمع من قوله ثم أتتني فانطلق
الاخ حتى قدم مكة وسمع من قول الرسول ثم رجع الى ابي ذر فقال
رأيتني يأمر بمكارم الاخلاق ويقول كلاماً ما هو بالشعر فقال ما شفيتني

مما أردت فتزود وحمل قربة له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد
فالتمس النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه وكره ان يسأل عنه لما يعرفه
من كراهة قریش لكل من يخاطب رسول الله حتى اذا ادركه الليل رآه
عليّ فعرف انه غريب فاضافه عنده ولم يسأل احد منهما صاحبه عن
شيء (على قاعدة الضيافة عند العرب لا يسأل الضيف عن سبب قدومه
الا بعد ثلاث) فلما اصبح احتمل قربته وزاده الى المسجد وظل ذلك
اليوم ولا يراه الرسول حتى امسي فعاد الى مضجعه فمرّ به عليّ فقال
اما نال للرجل ان يعرف منزله الذي اضيف به بالامس فقامه فذهب
معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى اذا كان اليوم الثالث
عاد على مثل ذلك ثم قال له عليّ الا تحدثني ما الذي اقدمك قال ان
اعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت ففعل فاخبره قال فانه حق وهو
رسول الله فاذا اصبحت فاتبعني فاني ان رأيت شيئاً اخافه عليك
فمت كأني اريق الماء فان مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل
فانطلق يتبع اثره حتى دخل على النبي ودخل معه فسمع من قوله واسلم
مكانه فقال له النبي ارجع الى قومك فأخبرهم حتى يأتيك امري قال
والذي نفسي بيده لا صرّخن بها بين ظهرانيهم فخرج حتى اتى المسجد
فنادى باعلى صوته أشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فقام
القوم فضرّبوه حتى اضجعوه واتى العباس فأكبّ عليه وقال ويلكم
أولستم تعلمون انه من غفار وان طريق تجارتكم الى الشام عليه فانقذه

منهم ثم عاد من الغد لثأرها فضر به وثاروا اليه فأكبّ العباس عليه
(رواه البخاري) كان رضي الله عنه من اصدق الناس قولاً وازهدهم
في الدنيا (ومن) السابقين سعيد بن زيد العدوي القرشي وزوجه
فاطمة بنت الخطاب اخت عمر وام الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية
زوج العباس بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن
هاشم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو سلمة عبد الله بن عبد
الاسد الخزومي القرشي ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجه
ام سلمة وعثمان بن مظعون الجمحي القرشي واخواه قدامة وعبد الله
والأرقم بن ابي الارقم الخزومي القرشي (ومن) السابقين الاولين
خالد بن سعيد بن العاص بن امية بن عبد الشمس الاموي القرشي .
كان ابوه سيد قرين اذا اعتم لم يعتم قرشي اجلالاً له وكان
سعيد قد رأى في منامه انه سيقع في هاوية فأدركه رسول الله وخلصه
منها فجاء اليه وقال الامّ تدعوني يا محمد قال ادعوك الى عبادة الله وحده
لا شريك له وان تخلع ما انت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر
ولا يضر ولا ينفع والاحسان الى والديك وان لا تقتل ولدك خشية
الفقر وان لا تقرب الفاحشة ما ظهر منها وما بطن وان لا تقتل نفساً
حرّم الله قتلها الا بالحق وان لا تقرب مال اليتيم الا بالتي هي أحسن
حتى يبلغ أشده وان توفي الكيل والميزان بالتوسط وان تعدل في قولك
ولو حكمت على ذوي قرباك وان توفي لمن عاهدت فأسلم رضي الله عنه

وحينئذٍ غضب عليه ابوه وآذاه حتى منعه القوت فانصرف الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويعيش معه ويغيب عن ابيه في
ضواحي مكة واسلم بعده اخوه عمرو بن سعيد. وهكذا دخل هؤلاء
الاشراف في دين الاسلام ولم يكن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيف يضرب به اعناقهم حتى يطيعوه صاغرين وليس معه ما يرغب
فيه حتى يترك هؤلاء العظماء آباءهم وذوى الثروة منهم ويتبعوا الرسول
ليأكلوا من فضل ماله بل كان الكثير منهم واسع الثروة أكثر منه
عليه السلام كابي بكر وعثمان وخالد بن سعيد وغيرهم والذين اتبعوه
من الموالي اختاروا الاذى والجوع والمشقات مع اتباع الرسول بحيث
لو اتبعوا ساداتهم لكانوا في هذه الدنيا أهدأ بالأمان وانعم عيشة اللهم
ليس ذلك الا من هداية الله وسطوع انوار الدين عليهم حتى ادركوا
ما هم عليه من الضلالة وما عليه رسول الله من الهدى

— — —
الجمهور بالتبليغ

مضت كل هذه المدة والنبي عليه السلام لا يظهر الدعوة في مجامع
قريش العمومية ولم يكن المسلمون يتمكنون من اظهار عبادتهم حذراً
من تعصب قريش فكان كل من اراد العبادة ذهب الى شعاب مكة
يصلي مستخفياً. ولما دخل في الدين ما يربو على الثلاثين وكان من

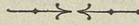
اللازم اجتماع الرسول بهم ليرشدهم ويعلمهم اختار لذلك دار الارقم بن
أبي الارقم وهو من ذكرنا اسلامهم ومكث عليه السلام يدعو سراً
حتى نزل عليه قوله تعالى في سورة الحجر (فاصدع بما تؤمر وأعرض
عن المشركين) فبدل الدعوة سراً بالدعوة جهراً ممثلاً أمر ربه واثقاً
بوعده ونصره فصعد على الصفا فجعل ينادي بابني فهر يا بني عدي
لبطون قريش فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج أرسل رسولاً لينظر
الخبير فجاء أبو لهب بن عبد المطلب وقريشاً فقال عليه السلام أرايتم لو
اخبرتكم ان خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم اكنتم مصدقياً قالوا
نعم ما جر بنا عليك كذباً قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد
فقال أبو لهب تباً لك ألهذا جمعنا فأنزل الله في شأنه (تبّت يد ابني
لهب وتبّ ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلي ناراً ذات لهب وامرأة
حمالة الخطب في جيدها حبل من مسد) والقصد من حمل الخطب
المشي بالنميمة لانها كانت تقول على رسول الله الاكاذيب في نوادي
النساء • ثم نزل عليه في سورة الشعراء (وأنذر عشيرتک الاقربین)
وهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو نوفل وبنو عبد شمس أولاد عبد
مناف (واخفض جناحک لمن اتبعک من المؤمنین فان عصوک) أي
العشيرة الاقربون (فقل اني بريء مما تعملون) فجمعهم عليه السلام
وقال لهم ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعاً ما
كذبتكم ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم والله الذي لا اله الا هو

اني لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون
ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان
احساناً وبالسوء سوءاً وانها لجنة أبدأ أو لنار أبدأ فتكلم القوم كلاماً
ليناً غير عمه أبي لهب الذي كان خصماً لدوداً فانه قال خذوا على يديه
قبل ان تجتمع عليه العرب فان اسلمتموه اذا ذلتم وان منغتموه قتلم
فقال أبوطالب والله لنمنعه ما بقينا ثم انصرف الجمع

ولما جهر رسول الله عليه الصلاة والسلام بالدعوة سخرت منه
قريش واستهزؤا به في مجالسهم فكان اذا مر عليهم يقولون هذا ابن
أبي كبشة يكلم من السماء وهذا غلام عبد المطلب يكلم من السماء لا
يزيدون على ذلك فلما عاب آلهتهم وسفه عقولهم وقال لهم والله يا قوم
لقد خالقم دين أبيكم ابراهيم ثارت في رؤسهم حمية الجاهلية غيرة على
تلك الآلهة التي كان يعبدها آباؤهم فذهبوا الى عمه أبي طالب سيد بني
هاشم الذي أخذ على نفسه حمايته من أيدي أعدائه فطلبوا منه أن
يخلى بينهم وبينه أو يكفه عما يقول فردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه ومضى
رسول الله لما يريد لا يصده عن مراده شيء فتزايد الامر واضمرت
قريش الحقد والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحث بعضهم
بعضاً على ذلك ثم مشوا الى أبي طالب مرة أخرى وقالوا له ان لك
سناً وشرفاً ومنزلة مناوانا قد طابنا منك أن تنهي ابن أخيك فلم تنه
عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه عقولنا وعيب

أهتنا فانهم كانوا اذا احتجوا في استمرارهم على عدم اتباع الحق
ذمهم لعدم استعمال دقولهم فيما خلقت له قال تعالى في سورة البقرة
(واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا
أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) وقال في سورة المائدة
(واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما
وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون) وقال في
سورة لقمان (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا
عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) وقال في
سورة الزخرف في بيان حججهم الداحضة (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على
أمة وانا على آثارهم مهتدون) ولما شبههم بمن قبلهم من الامم في هذه
المقالة الدالة على التعصب والعناد قال (قل أولو جئكم بأهدى مما وجدتم
عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) فلما تمسكوا بحجة التقليد
لآبائهم جر ذلك الى وصف آباءهم بعدم العقل وعدم الهداية فهاج
ذلك أضغانهم وقالوا لابي طالب اما ان تكفه أو ننازله وإياك في ذلك
حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا فعظم على ابي طالب فراق قومه
ولم يطلب نفساً بخذلان ابن اخيه فقال له يا ابن اخي ان القوم جاؤني
فقالوا لي كذا فأبقي على نفسك ولا تحملي من الامر ما لا اطيق فظن
الرسول ان عمه خاذله فقال والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر
في يساري على ان اترك هذا الامر ما فعلت حتى يظهره الله او اهلك

دونه ثم بكى وولى فقال ابو طالب اقبل يا ابن اخي فأقبل عليه فقال
اذهب فقل ما احببت والله لا اسلمك



— ❦ الايذاء ❦ —

ورأى رسول الله من المشركين كثير الاذى وعظيم الشدة
خصوصاً اذا ذهب الى الصلاة عند البيت وكان من اعظمهم اذى
لرسول الله جماعة سموها الكثرة اذاهم بالمستهزئين (فأولهم) واشدهم ابو
جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي قال يوماً يا معشر
قريش ان محمداً قد اتى ما ترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه
احلامكم وسب آباءكم اني اعاهد الله لا اجلسن له غداً بججر لا اطيق حملة
فاذا سجد في صلاته رضخت به رأسه فاسلموني عند ذلك او امنعوني
فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم فلما اصبح اخذ حجراً
كما وصف ثم جلس لرسول الله ينتظره وغدا عليه السلام كما كان يغدو
الى صلاته وقريش في انديتهم ينتظرون ما ابو جهل فاعل فلما سجد
عليه السلام احتمل ابو جهل الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع
منهزماً متقماً لونه من الفزع ورمى حجره من يده فقام اليه رجال من قريش
فقالوا مالك يا ابا الحكم قال قتت اليه لأفعل ما قلت لكم فلما دنوت
منه عرض لي فحل من الابل والله ما رأيت مثله قط هم بي ان يا كني

فلما ذكر ذلك لرسول الله قال ذاك جبريل ولو دنا لآخذه وكان أبو جهل كثيراً ما ينهى الرسول عن صلاته في البيت فقال له مرة بعد ان رآه يصلي ألم انهك عن هذا فأغلظ له رسول الله القول وهدده فقال أتهددني وأنا أكثر اهل الوادي نادياً فأنزل الله تهديداً له في آخر سورة اقرأ (كلا لمن لم ينته لفسقاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب) ومن اذيته للرسول ما حكاه عبد الله بن مسعود من رواية البخاري قال كنا مع رسول الله في المسجد وهو يصلي فقال أبو جهل الارجل يقوم الى فرث جزور بني فلان فيلقيه على محمد وهو ساجد فقام عقبة بن ابي معيط بن ابي عمرو ابن أمية بن عبد شمس وجاء بذلك الفرث فالتقاه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فلم يقدر احد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على القائه عنه لضعفهم عن مقاومة عدوهم ولم يزل عليه السلام ساجداً حتى جاءت فاطمة بنته فاخذت القدر ورمته فلما قام دعا على من صنع هذا الصنع القبيح فقال اللهم عليك الملاء من قريش وسمى اقواماً قال ابن مسعود فرأيتهم قتلوا يوم بدر. ومما حصل لرسول الله مع أبي جهل ان هذا اتباع اجمالاً من رجل يقال له الأراشي فطله بأثمانها فجاء الرجل مجمع قريش يريد منهم مساعدة على اخذ ماله فدلوه على رسول الله لينصفه من أبي جهل استهزاء لما يعلمونه من افعال ذاك الشقي بالرسول فتوجه الرجل اليه وطلب منه المساعدة على ابي جهل فخرج معه حتى

ضرب عليه بابه فقال من هذا قال محمد فخرج متقاعاً لونه فقال له
الرسول أعط هذا حقه فقال ابو جهل لا تبرح حتى تأخذه فلم يبرح
الرجل حتى أخذ دينه فقالت قریش ويك يا أبا الحكم ما رأينا مثل
ما صنعت قال ويلكم والله ما هو الا ان ضرب على بابي حتى سمعت
صوتاً ملئت منه رعباً وان فوق رأسي فحلاً من الابل ما رأيت مثله
(ومن جماعة المستهزين) ابولهب بن عبد المطلب عم رسول الله كان
اشد عليه من الاباعد فكان يرمي القدر علي بابه لانه كان جاراً له
فكان الرسول يطرحه ويقول يا بني عبدمناف اي جوار هذا وكانت
تشاركه في قبيح عمله زوجته ام جميل بنت حرب بن أمية فكانت
كثيراً ما تسب رسول الله وتتكلم فيه بالأمم وخصوصاً بعد ان نزل
فيها وفي زوجها سورة أبي لهب (ومن) المستهزين عقبة بن أبي معيط
كان الجار الثاني لرسول الله وكان يعمل معه كأبي لهب صنع مرة وليمة
ودعا لها كبراء قریش وفيهم رسول الله فقال عليه السلام والله لا آكل
طعامك حتى تؤمن بالله فتشهد فبلغ ذلك أبي بن خلف الجمحي القرشي
وكان صديقاً له فقال ما شيء بلغني عنك قال لا شيء دخل منزلي
رجل شريف فابي ان يأكل طعامي حتى اشهد له فاستحييت ان يخرج
من بيتي ولم يطعم فشهدت له قال أبي وجهي من وجهك حرام ان
لقيت محمداً فلم تطأ عنقه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فلما رأى عقبة رسول
الله فعل به ذلك فأنزل الله فيه في سورة الفرقان (ويوم يعرض الظالم

على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويأتي ليتني لم اتخذ
فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان
خذولاً) ومن اشد ما صنعه ذلك الشقي برسول الله ما رواه البخاري
في صحيحه قال بينما النبي يصلي في حجر الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي
معيط فوضع ثوبه في عنق رسول الله فحرقه خرقاً شديداً فأقبل أبو بكر
حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال (أتقتلون
رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) (ومن)
جماعة المستهزئين العاصي بن وائل السهمي القرشي والد عمرو بن العاص
كان شديد العداوة لرسول الله وكان يقول غرّ محمد اصحابه ان
يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر فقال الله ردّاً عليه في دعواه
في سورة الجاثية (وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا
الا الدهر ما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) وكان عليه دين لخباب
ابن الارت احد رجال المسلمين فتقاضاه اياه فقال العاصي أليس يزعم
محمد هذا الذي أنت على دينه ان في الجنة ما يبتغي أهلها من ذهب
أو فضة أو ثياب أو خدم قال خباب بلى قال فانظرني الى هذا اليوم
فسأوتني مالاً وولداً وأقضيك دينك فانزل الله فيه في سورة مريم
(افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتينّ مالاً وولداً أطلع الغيب أم
اتخذ عند الرحمن عهداً كلاً سنكتب ما يقول ونمدّ له من العذاب مداً
ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً) (ومن) جماعة المستهزئين الاسود بن

عبد يغوث الزهري القرشي من بني زهرة اخوال رسول الله كان اذا رأى
اصحاب النبي مقبلين يقول قد جاءكم ملك الارض استهزاء بهم لانهم
كانوا متقشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن وكان يقول لرسول الله
سخرية اما كلت اليوم من السماء (ومنهم) الاسود بن المطلب الاسدي
ابن عم خديجة كان هو وشيعته اذا مر عليهم المسلمون يتغامزون وفيهم
نزل في سورة التطفيف (ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا
يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا اتقلبوا الى اهلهم اتقلبوا
فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون) (ومنهم) الوليد بن
المغيرة عم ابي جهل كان من عظماء قريش وفي سعة من العيش سمع
القرآن مرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقومه بني مخزوم
والله لقد سمعت من محمد آناً كلاماً ما هو من كلام الانس ولا من
كلام الجن وان له خلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لثمر وان أسفله
لمدق وانهُ يعلوما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد لتصبأ قريش
كلها فقال ابو جهل انا اكيفيكوه فتوجه وقعد اليه حزينا وكلمه بما
احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمداً مجنون فهل رأيتموه يهوس
وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه
يتعاطى شعراً قط وتزعمون انه كذاب فهل جرتم عليه شيئاً من الكذب
فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر قليلاً ثم قال ما هو الا
ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه فارتج النادي

فرحاً فانزل الله في شأن الوليد في سورة المدثر مخاطباً لرسوله (ذرني
ومن خلقت وحيداً . وجعلت له مالاً ممدوداً . وبنين شهوداً . ومهدت
له تمهيداً . ثم يطمع ان ازيد . كلا انه كان لا ياتنا غنيداً . سأرهقه
صعوداً انه فكر وقدّر . فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر
ثم عبس وبسر . ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الاسحر يؤثر . ان
هذا الا قول البشر . سأصليه سقر) وانزل فيه ايضاً في سورة ن (ولا
تطع كل حلاف) كثير الحلف وكفي بهذا زاجراً لمن اعتاد الحلف
(مهين) حقير واراد به الكذاب لانه حقير في نفسه (هماز) عياب
طعان (مشاء بنميم) ينقل الاحاديث للافساد بين الناس (مناع للخير
معتد أثيم . عتل) غليظ جاف (بعد ذلك زنيم) دخيل (ان كان
ذا مال وبنين . اذا تلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين . سنسمه على
الخرطوم) كناية عن الاذلال والتحقير لان الوجه اكرم عضو والانف
اشرف ما فيه ولذلك اشتقوا منه كل ما يدل على العظمة كالانفة وهي
الحمية فالوسم على اشرف عضو دليل الاذلال والاهانة (ومن) المستهزئين
النضر بن الحارث العبدي من بني عبد الدار بن قصي كان اذا جلس
رسول الله مجلساً للناس يحدثهم ويذكرهم ما اصاب من قبلهم قال
النضر هاهوا يا معشر قريش فاني احسن منه حديثاً ثم يحدث عن ملوك
فارس وكان يعلم احاديثهم ويقول ما احاديث محمد الا اساطير الاولين
وفيه نزل في سورة لقمان (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل

عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين . وإذا
تلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره
بعذاب أليم) وكل هؤلاء انتقم الله منهم كما قال تعالى في التنزيل في
سورة الحجر (انا كفيناك المستهزئين • الذين يجعلون مع الله الهاً آخر
فسوف يعلمون) وقد وضع الله جل ذكره الوعد في صورة الماضي
للتحقق من وقوعه لان الآية مكية وهلاك هذه الفئة كان بعد الهجرة
فمنهم من قتل كأبي جهل والنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط ومنهم
من ابتلاه الله بأمراض شديدة فهلك منها كأبي لهب والعاص بن وائل
والوليد بن المغيرة

— — — — —
﴿ إسلام حمزة ﴾

وكان بعض ايدائهم هذا سبباً لاسلام عمه حمزة بن عبد المطلب
فقد أدركته الحمية عند ما عيرته بعض الجواري بايذاء أبي جهل لابن
أخيه فتوجه الى ذلك الشقي وغازبه وسبه وقال كيف تسب محمداً وأنا
على دينه ثم أنار الله بصيرته بنور اليقين حتى صار من أحسن الناس
اسلاماً وأشدهم غيرة على المسلمين وأقواهم شكيمة على أعداء الدين
حتى سمي أسد الله

وكأ أودى الرسول عليه الصلاة والسلام أودى أصحابه لاتباعهم
له وخصوصاً من ليس له عشيرة تحميه وترد كيد عدوه عنه وكل هذا

الاذى كان حلواً فى أعينهم مادام فيه رضا الله فلم يفتنوا عن دينهم بل ثبتهم الله حتى أتم أمره على أيديهم وصاروا ملوك الارض بعد أن كانوا مستضعفين فيها كما قال جل ذكره في سورة القصص (ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين) وقد حقق ما أراد (ومن) الذين أوذوا في الله بلال بن رباح كان مملوكاً لامية بن خلف الجمحي القرشي فكان يجعل في عنقه حبلاً ويدفعه الى الصبيان يلعبون به وهو يقول أحدٌ أحدٌ لم يشغله ما هو فيه عن توحيد الله وكان أمية يخرج به في وقت الظهيرة في الرمضاء وهي الرمل الشديد الحرارة لو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول أحدٌ أحدٌ مر به أبو بكر يوماً فقال يا أمية أما تتقي الله في هذا المسكين حتى متى تعذبه قال أنت أفسدته فانقذه مما ترى فاشتراه منه وأعتقه فأرسل الله فيه وفي أمية في سورة الليل (فأندرتكم ناراً تلتظي • لا يصلها الا الاشقي) أمية ابن خلف (الذي كذب وتولى • وسيجنبها الا اتقى) الصديق (الذي يوتئى ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى • الا ابتغاء وجه ربه الاعلى • ولسوف يرضى) بما يعطيه الله في الاخرى جزاء أعماله . وقد نبه الله جل ذكره على أن بذل الصديق ماله في شراء بلال وعتقه لم يكن الا ابتغاء وجه ربه وكفى بهذا شرفاً وفضلاً للصديق رضي الله

عنه وأرضاه وقد أعتق غير بلال جماعة من الأرقاء أسلموا فعاقبهم
مواليهم (منهم) حمامة أم بلال وعامر بن فهيرة كان يعذب حتى
لا يدري ما يقول وأبو فكيهة كان عبداً لصفوان بن أمية بن خلف
(ومنهم) امرأة تسمى زينزة عذبت في الله حتى عميت فلم يزد هاذلك
الا إيماناً وكان أبو جهل يقول ألا تعجبون لهؤلاء وأتباعهم لو كان ما
أتى به محمد خيراً ما سبقونا إليه أقتسبنا زينزة الى رشد فأنزله الله في
سورة الاحقاف (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا
اليه واذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم) (ومن) أعتق أبو بكر
بعد شرائه أم عيسى كانت أمة لبني زهرة وكان يعذبها الاسود بن
عبد يغوث (ومن) عذب في الله عمار بن ياسر وأخوه وأبوه وأمه كانوا
يعذبون بالنار فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صبراً آل
ياسر فمعدكم الجنة اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت أما أبو عمار وأمه
فماتا تحت العذاب رحمهما الله وأما هو فقتل عليه العذاب فقال بلسانه
كلمة الكفر فان أبا جهل كان يجعل له دروع الحديد في اليوم الصائف
ويلبسه اياها فقال المسلمون كافر عمار فقال عليه السلام عمار مليء
إيماناً من فرقه الى قدمه وأنزل الله في شأنه استثناء في حكم المرتد
فقال جل ذكره في سورة النحل (من كفر بالله من بعد إيمانه الا من
اكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدره فعليهم
غضب من الله ولهم عذاب عظيم) (ومن) أوذى في الله خباب بن

الارتسي في الجاهلية فاشترته أم انمار وكان حداداً وكان النبي
يألفه قبل النبوة فلما شرفه الله بها أسلم خباب فكانت مولاته تعذبه
بالنار فتأتي بالحديدة المحجمة فتجعلها على ظهره ليكفر فلا يزيده ذلك
الا ايماناً وجاء خباب مرة الى رسول الله وهو متوسد برده في ظل
الكعبة فقال يا رسول الله ألا تدعو الله لنا فقعد عليه السلام محمراً
وجبه فقال انه كان من قبلكم ليمشط احدكم بأمشاط الحديد ما دون
عظمه من لحم وعصب ويوضع المشار على فرق رأس أحدكم فيشق
ما يصرفه ذلك عن دينه وليظهرن الله تعالى هذا الامر حتى يسير
الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه
قال ذلك عليه السلام وهو في هذه الحال الشديدة التي لا يتصور فيها
أعقل العقلاء وأنبى النبلاء قوّة منتظرة أو سعادة مستقبلة اللهم الا أن
ذلك وحى يوحى اليه ثم أنزل الله تعالى تثبتاً للمؤمنين أول سورة العنكبوت
(ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون • ولقد فتنا
الذين من قبلم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)
(وممن) أودى في الله أبو بكر الصديق ولما اشتد عليه الاذى أجمع
أمره على الهجرة من مكة الى جهة الحبشة فخرج حتى أتى برك الغماد (١)

(١) موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر وقيل موضع في

اقصى اراضي هجر اه من ياقوت

فلقية ابن الدغنة وهو سيد قبيلة عظيمة اسمها القارة فقال الى ابن
ياأبا بكر فقال أخرجني قومي فأريد أن أسبح في الارض وأعبد ربي
فقال ابن الدغنة مثلك ياأبا بكر لا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل
الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فأنا لك
جار وارجع واعبد ربك ببدك فرجع وارتحل ابن الدغنة معه وظاف في
أشراف قريش فقال لهم أبو بكر لا يخرج مثله أخرجون رجلاً يكسب
المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب
الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا له مرأبا بكر فليعبد
ربه في داره فليصل فيها ما شاء وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا
يستعلن فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي
بكر فلبث بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في
غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجداً ببناء داره وكان يصلي فيه
ويقرأ القرآن فينقذ عليه نساء المشركين وأبنائهم وهم يعجبون منه
وينظرون اليه وكان رجلاً بكاء لا يملك عينه اذا قرأ القرآن فأفزع
ذلك أشراف قريش فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا
كنا قد أجرنا أبا بكر بجوارك على ان يعبد ربه في داره فقد جاوز
ذلك فابتنى مسجداً ببناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد
خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه
ببناء داره فعل وان ابى الا ان يعلن ذلك فسله ان يرد اليك ذمتك

فانا قد كرهنا ان نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان فأتى ابن
الدغنة ابا بكر فقال قد علمت الذي عاقدت لك عليه فاما ان تقتصر
على ذلك واما ان ترجع اليّ ذمتي فاني لا احب ان تسمع العرب اني
اخفرت في رجل عقدت له فقال ابو بكر فاني ارد عليك جوارك
وارضى بجوار الله (رواه البخاري) وكان ذلك سبباً لا يصلح اذى عظيم
الى ابي بكر رضي الله عنه . وبالجملة فلم يخل احد من المسلمين من
اذية لحفته ولكن كل ذلك ضاع سدىً تلقاء ثباتهم وعظيم ايمانهم
فانهم لم يسلموا لغرض دنيويّ يرجون حصوله فيسهل ارجاعهم ولكن
وقفهم الله لادراك حقيقة الايمان فراوا كل شيءً دونه سهلاً

ولما رأى كفار قريش ان ذلك الاذى لم يجدهم نفعاً بل كلما
زادوا المسلمين اذى ازداد يقينهم اجتمعوا للشورى فيما بينهم فقال لهم
عتبة بن ربيعة العبشمي من بني عبد شمس بن عبد مناف وكان سيداً
مطاعاً في قومه يامعشر قريش الا اقوم لمحمد فأكله واعرض عليه
اموراً عليه يقبل بعضها فنعطيه اياها ويكف عنا فقالوا يا ابا الوليد فقم
اليه فكلامه فذهب الى رسول الله وهو يصلي في المسجد وقال يا ابن
اخي انك منا حيث قد علمت من خيارنا حسباً ونسباً وانك قد اتيت
قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفنت احلامهم وعبت آلهتهم
ودينهم وكفرت من مضي من آباءهم فاسمع مني اعرض عليك اموراً
تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال عليه السلام قل يا ابا الوليد اسمع

فقال يا ابن اخي ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا
جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد شرفاً
سوّدناك علينا حتى لا تقطع امرأ دونك وان كنت تريد ملكاً ملكناك
علينا وان كان هذا الذي يأتك رأي من الجن لا تستطيع رده عن
نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربم
غلب التابع على الرجل حتى يداوى فقال عليه السلام لقد فرغت يا ابا
الوليد قال نعم قال فاسمع مني فقراً رسول الله صلى الله عليه وسلم اول
سورة فصلت

(بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب
فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون . بشيراً ونذيراً فأعرض اكثرهم
فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون قل انما انا بشر مثلكم يوحى
اليّ انما الحكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين .
الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون . ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم أجر غير ممنون قل أننكم لتكفرون بالذي خلق الارض
في يومين وتجعلون له انداداً ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي
من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين .
ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعاً او كرهاً
قالتا ائينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل

سماء امرهاوزينا السماء الدنيا بمصاييح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم .
فان عرضوا فقل اندرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل
من بين ايديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل
ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرين) فأمسك عتبة بفيه وناشده الرحمن ان
يكف عن ذلك فلما رجع عتبة سأله فقال والله لقد سمعت قولاً ما
سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ولا بالسحر يامعشر
قريش اطيعوني فاجعلوها لي خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه
فوالله ليكونن لكلامه الذي سمعت نبأ فان تصبئه العرب فقد كفيتموه
بغيركم وان يظهر على العرب فعزه عزكم فقالوا لقد سحرك محمد فقال
هذا رأيي (ثم) عرضوا عليه بعد ذلك ان يشاركهم في عبادتهم
ويشاركونه في عبادته فأنزل الله في ذلك (قل يا ايها الكافرون لا اعبد
ما تعبدون . ولا اتم عابدون ما اعبد . ولا انا عابد ما عبدتم . ولا اتم
عابدون ما اعبد . لكم دينكم ولي دين) فلا تتوهموا اني اجيبكم
اطلبكم من الاشرار بالله فأيسوا منه وطلبوا بعد ذلك ان ينزع من
القرآن ما يعيظهم من ذم الاوثان والوعيد الشديد فيأتي بقرآن غيره
او يبدله فأنزل الله جواباً لهم في سورة يونس (قل ما يكون لي ان
ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي) • وقد حصل له مع
كفار قريش نادرة تكون لمن استهان بالضعيف كمصباح يستضيء به
وهي انه بينما الرسول عليه السلام مع كبراء قريش واشرافهم يتألفهم

ويعرض عليهم القرآن وما جاء به من الدين اذ أقبل عليه عبد الله بن
أم مكتوم الاعمى وهو ممن أسلموا قديماً والنبي مشغول بالقوم وقد لقي
منهم مؤانسة حتى طمع في اسلامهم فقال له عبد الله يارسول الله
علمني مما علمك الله واكثر عليه القول فشق ذلك على الرسول وكره
قطعه لكلامه وخاف عليه السلام ان يكون التفاته لذلك المسكين ينفر
عنه قلب اولئك الاشرف فأعرض عنه فعاتبه الله على ذلك بقوله اول
سورة عبس (عبس وتولى أن جاءه الاعمى . وما يدريك لعله يزكي
او يذكر فتنعه الذكرى . اما من استغنى . فأنت له تصدى . وما عليك
الأ يزكي . واما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهي)
فما عبس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها في وجه فقير وكان اذا
اقبل عليه عبد الله بن أم مكتوم يقول له مرحباً بمن عاتبني فيه ربي
ولما رأى المشركون ان هذه المطالب التي يعرضونها لا تقبل منهم
ارادوا ان يدخلوا من باب آخر وهو تعجيز الرسول بطلب الآيات
فاجتمعوا وقالوا يا محمد ان كنت صادقاً فأرنا آية نطلبها منك وهي ان
تشق لنا القمر فرقتين فأعطاه الله هذه المعجزة وانشق القمر فرقتين
فقال رسول الله اشهدوا وهذه القصة رواها عبد الله بن مسعود وهو
من السابقين الاولين رويت عنه من طرق كثيرة ورواها عبد الله بن
عباس وغيره ورواها عنهم جمع غزير حتى صار الحديث كالمتواتر وقد
ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى اول سورة القمر (اقتربت الساعة

وانشق القمر) فحينما رأى المعاندون هذه الآية الكبرى قال بعضهم لقد سحركم ابن ابي كبشة فانزل الله فيهم (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) ثم سألوا الرسول بعد ذلك آيات لا يقصدون بذلك الا التعنت والعناد فنها ان قالوا كما في سورة الاسراء (لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً . او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفتجيراً . او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً او تأتي بالله والملائكة قبيلاً . او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه) ولم يجيبهم الله الا بقوله (قل سبحان ربي هل كنت الا بشراً رسولا) لان الله علم ما تكنه جوارحهم من التعصب والعناد فلا يؤمنون مهما جاءهم من الينات كما قال جل ذكره في سورة الانعام (وما يُشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون) وكيف يرجي الخير ممن قالوا كما في سورة الانفال (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم) ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه وهذه سنة من سنن الانبياء اذا رأوا من طلاب الآيات عناداً وانهم يطلبونها تعجيزاً لا يسألون الله انفاذ هذه الآيات كيلا يحل بقومهم الهلاك كما حصل لعاد وثمود وغيرهم وهذا هو المراد من قوله تعالى في سورة الاسراء (وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون) وقد حصل للمسيح عليه السلام انه لما وقف امام هيردوس

طلب منه آية فلم يجبه الى طلبه فلما رأى ذلك سخر منه وورده الى عدوه
بيلاطس بعد ان كان يأسف عليه ويتمنى لقاءه وذلك مذكور في
الاصحاح الثالث والعشرين من انجيل لوقا (هذا) ولما رأى المشركون
ضعفهم عن مقاومة المسلمين بالبرهان تحوّلوا الى سياسة القوة التي
اختارها قوم ابراهيم عند ما عجزوا عنه حيث (قالوا حرقوه وانصروا
آلهتكم) كما في سورة الانبياء اما هؤلاء فازدادوا بالاذى على كل من
اسلم رجاء صدهم عن اتباع الرسول عليه السلام ولم يتركوا باباً الا لجوه
فقال عليه السلام لاصحابه تفرقوا في الارض فان الله سيجمعكم فسألوه
عن الوجه فأشار الى ارض الحبشة

— هجرة الحبشة الاولى —

فبعد ذلك تجهز ناس للخروج من ديارهم واموالهم فراراً بدينهم
كما اشار عليه السلام وهذه هي اول هجرة من مكة وعدة اصحابها
عشرة رجال وخمس نسوة وهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت
رسول الله وابو سلمة وزوجه ام سلمة واخوه لأمه ابو سبرة بن ابي رهم
وزوجه ام كلثوم وعامر بن ربيعة وزوجه ليلى وابو حذيفة بن عتبة بن
ربيعة وزوجه سهلة بنت سهل وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون
ومصعب بن عمير وسهيل بن البيضاء والزبير بن العوام وجلهم من
قريش وكان عليهم فيما روى ابن هشام عثمان بن مظعون فساروا على

بركة الله ولما انتهوا الى البحر استأجروا سفينة اوصلتهم الى مقصدهم
فأقاموا آمنين من اذى يلحق بهم من المشركين ولم يبق مع النبي عليه
السلام الا القليل

— ❦ — اسلام عمر ❦ —

وفي ذلك الوقت أسلم الشهم الهمام عمر بن الخطاب العدوي
القرشي بعد ما كان عليه من كراهية المسلمين وشدة أذاهم . قالت
ليلى احدى المهاجرات لارض الحبشة مع زوجها كان عمر بن الخطاب
من أشد الناس علينا في اسلامنا فلما ركبت بعيري أريد أن أتوجه الى
ارض الحبشة اذا انا به فقال لي الى اين يام عبد الله فقالت قد
آذيتونا في ديننا نذهب في ارض الله حيث لا تؤذى فقال صحبكم
الله فلما جاء زوجي عامر اخبرته بما رايت من رقة عمر فقال ترجين ان
يسلم والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب وذلك لما كان يراه من قسوته
وشدته على المسلمين ولكن حصلت له بركة دعوة المصطفى صلى الله
عليه وسلم فانه قال قبيل اسلامه اللهم اعز الاسلام بعمر وكان اسلامه
في دار الارقم بن ابي الارقم التي كان المسلمون يجتمعون فيها وقد
حقق الله باسلامه ما رجاه عليه السلام فقد قال عبد الله بن مسعود
من رواية البخاري (ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر) فانه طلب من رسول
الله ان يعلن صلاته في المسجد ففعل وقد ادرك الكفار كابة شديدة

حينما رأوا عمر اسلم وكانوا قد ارادوا قتله حتى اجتمع جمع منهم حول داره ينتظرونه فجاء العاص بن وائل السهمي وهو من بني سهم حلفاء بني عدي قوم عمر وعليه حلة حبرة وقيص مكفوف بجريير فقال لعمر ما بالك فقال زعم قومك انهم سيقتلونني ان اسلمت قال لاسبيل اليك فاناك جار فامن عمر وخرج العاص فوجد الناس قدسال بهم الوادي فقال اين تريدون قالوا نريد هذا ابن الخطاب الذي صبا قال لاسبيل اليه فرجع الناس من حيث اتوا

رجوع مهاجري الحبشة

وبعد ثلاثة اشهر من خروج مهاجري الحبشة رجعوا الى مكة حيث لا تيسر لهم الاقامة فيها لانهم قليلو العدد وفي الكثرة بعض الانس واطف الى ذلك انهم اشرف قريش ومعهم نساؤهم وهؤلاء لا يطيب لهم عيش في دار غربة بهذه الحالة وقد اوع بعض المؤرخين بحكاية يجعلونها سبباً في رجوع مهاجري الحبشة وهي انه بلغهم اسلام قومهم حينما قرا عليهم الرسول سورة النجم وتكلم فيها كلاماً حسناً عن آلهتهم حيث قال بعد (أفرايم اللات والعزى . ومناة الثالثة الاخرى) تلك الغرائق (جمع غرنوق وهي الطيور ويراد بها الملائكة) العلى وان شفاعتهن لترجي فسجدوا اعظاماً لذلك وفرحاً وهذا مما لا تجوز روايته الا على قلبي الادراك

الذين يقولون كل ما وجدوه غير مثبتين من صحته وهانحن نسوق لك
ادلة النقل والعقل على بطلان ما ذكر . أما الحديث فسنده ومثته قلقان
فالسند قال فيه القاضي عياض في الشفاء لم يخرج احد من أهل الصحة
ولا رواه ثقة بسند سليم واما المتن فليس اصحاب رسول الله ولا
المشركون مجانين حتى يسمعوها مدحا اثناء ذم ويجوز ذلك عليهم فبعد
ذكر الاصنام قال (ان هي الا اسما سميتموها اتم وآباءكم ما انزل الله
بها من سلطان) فالكلام غير منتظم ولو كان ذلك قد حصل لا تأخذ
الكفار عليه حجة يحاجونه بها وقت الخصاص وهم من نعرفهم من العناد
فيما ليس فيه ادني حجة فكيف بهذه وليس ذلك القليل اقل من تحويل
القبلة الى الكعبة وهذا قالوا فيه ما قالوا حتى سماهم الله سفهاء وانزل فيهم
في سورة البقرة (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي
كانوا عليها) ولكن لم يسمع عن اي واحد من رجالهم والمتصدرين
للعناد منهم ان قال مالك ذممت آهنتا بعد ان مدحتها وكان ذلك اولى
لهم من تجريد السيوف و بذل مهج الرجال على ان المؤرخين الذين
ينقلون هذه العبارة ويجعلونها سببا لرجوع مهاجري الحبشة يقولون اثناء
كلامهم ان الهجرة كانت في رجب والرجوع كان في شوال ونزول
سورة والنجم كان في رمضان فالمدة بين نزول السورة ورجوع المهاجرين
شهر واحد والمتأمل ادني تأمل يرى ان الشهر كان لا يكفي في ذلك
الزمن للذهاب من مكة الى الحبشة والاياب منها لانه لم يكن اذ ذلك

مراكب بخارية تسهل السير في البحر ولا تلغراف يوصل خبر اسلام
قريش لمن بالحبشة فلا غرابة بعد ذلك ان قلنا ان هذه الخرافة من
موضوعات اهل الاهواء الذين ابتلى الله بهم هذا الدين ولكن الحمد
لله فقد من علينا بحفظ كتابنا المجيد الذي يحكم بيننا وبين كل مفتر
كذاب في السورة نفسها (وما ينطق عن الهوى) والذي يلقيه
الشیطان من اقبح ما يروى فكيف يقوله عليه السلام او يجري على
لسانه مما ثبت الشكوك في الوحي الامر الذي يريده السفهاء رد الله
كيدهم في نحرهم . والذي ورد في الصحيح في موضوع هذا السجود
ما رواه عبد الله بن مسعود ان النبي عليه السلام قرأ والنجم فسجد
وسجد من كان معه الا رجلا اخذ كفاً من حصى وضعه على جبهته
وقال يكفيني هذا فرأيته قتل بعد كافرين وليس في هذا الحديث
ادنى دلالة على ان الذين سجدوا معه هم مشركون بل الذي يفيد
قوله فرأيته قتل بعد كافراً انه كان مسلماً ثم ارتد وهذا ما حصل من
بعض ضعاف القلوب الذين لم يتحملوا الاذى فكفروا منهم على بن
امية بن خلف . (هذا) ولما رجع مهاجرو الحبشة الى مكة لم يتمكن من
الدخول اليها الا من وجد له مجيراً فدخل ابو سلمة في جوار خاله
ابي طالب ودخل عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة وقدر
عليه جواره حينما رأى ما صنعه بالمسلمين فلم ير ان يكون مرتاحاً واخوانه
يعذبون

— ٥ — كتابة الصحيفة — ٥ —

ولما ضاقت الحيل بكفار قريش عرضوا على بني عبد مناف الذين
منهم الرسول عليه السلام دية مضاعفة ويسلمونه فأبوا عليهم ذلك ثم
عرضوا على ابي طالب ان يعطوه سيداً من شبانهم يتبناه ويسلم اليهم
ابن اخيه فقال عجباً لكم تعطوني ابنكم اغذوه لكم واعطيكم ابني
تقتلونه فلما رأوا ذلك اجمعوا امرهم على منابذة بني هاشم وبني المطلب
ولدي عبد مناف واخراجهم من مكة والتضييق عليهم فلا يبيعونهم
شيئاً ولا يبتاعون منهم حتى يسلموا محمداً للقتل وكتبوا بذلك صحيفة
وضعوها في جوف الكعبة فأنحاز بنو هاشم بسبب ذلك في شعب ابي
طالب ودخل معهم بنو المطلب سواء في ذلك مسلمهم وكافرهم ما عدا
ابا لهب فانه كان مع قريش وانخذل عنهم بنو عميهم عبد شمس ونوفل
ابني عبد مناف فجهد القوم حتى كانوا يأكلون ورق الشجر وكان
اعدائهم يمعنون التجار من مبايعتهم وفي مقدمة المانعين ابو لهب

— ٥ — هجرة الحبشة الثانية — ٥ —

وبعد دخول الرسول وقومه الشعب امر جميع المسلمين ان يهاجروا
للحبشة حتى يساعدوا بعضهم على الاغتراب فهاجر معظمهم وكانوا نحو
ثلاثة وثمانين رجلاً وثمانية عشرة امرأة وكان من الرجال جعفر بن ابي

طالب وزوجه اسماء بنت عميس والمقداد ابن الاسود وعبد الله بن مسعود وعبيد الله بن جحش وامراته ام حبيبة بنت ابي سفيان وتوجه لهم الذين اسلموا من جهة اليمن وهم الاشعريون ابو موسى وبنو عمه ولما رأت قریش ذلك ارسلت في اترهم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدايا الى النجاشي ليسلم المسلمين فرجعا شر رجعة ولم ينالا من النجاشي الا اهانة لما خاطبوه به من اخفار ذمته في قوم لا ذوا به اما بنو هاشم فكثوا في الشعب قريبا من ثلاث سنوات في شدة الجهد والبلاء لا يصلهم شيء من الطعام الاخفة

— تقصص الصحيفة —

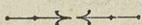
وقد قام خمسة من اشراف قریش يطالبون بنقض هذه الصحيفة الظالمة وهم هشام بن عمرو بن الحارث العامري وهو اعظمهم في ذلك بلاء وزهير بن ابي أمية الخزومي ابن عمه الرسول عاتكة والمطعم بن عدي النوفلي وأبو البختری بن هشام الاسدي وزمعة بن الاسود الاسدي واتفقوا على ذلك ليلاً فلما أصبحوا غدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة أنا كل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكني لا يبيعون ولا يتاعون والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة فقال أبو جهل كذبت فقال زمعة لا يي جهل أنت والله اكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت

فقال أبو البختري صدق زمعة وقال المطعم بن عدي صدقما وكذب
من قال غير ذلك وصدق على ما قيل هشام بن عمرو فقام إليها المطعم بن
عدي فشققها وكانت الأرضة قد أكلتها فلم يبق فيها الا ما فيه اسم الله
وقد أخبر النبي عليه السلام عمه أبا طالب بذلك قبل أن يفعل ما ذكر
فخرج القوم الى مساكنهم بعد هذه الشدة

— ❦ — وفود بجران ❦ —

وقد وفد على الرسول بعد الخروج من الشعب وفد من نصارى
بجران بلغهم خبره من مهاجري الحبشة فسارعوا بالقدوم عليه حتى يروا
صفاته مع ما ذكر منها في كتبهم وكانوا عشرين رجلاً أو قريباً من
ذلك فقرأ عليهم القرآن فآمنوا كلهم فقال لهم أبو جهل ما رأينا ربكاً
أحق منكم أرسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل فصباكم فقالوا سلام
عليكم لا نجاهلكم لكم ما أنتم عليه ولنا ما اخترناه فأنزل الله في ذلك
في سورة القصص (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا
يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين
أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما
رزقناهم ينفقون وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم
أعمالكم سلام عليكم لا ننتغي الجاهلين) وقد كان أهل مكة حيناً عاجزوا
عن أمر رسول الله ولم يتمكنوا من مقارعة الحججة بالحجة رموه بالسحر

مرة وبالكذب أخرى وبالجنون طوراً وبالكهانة مرة كل ذلك شأن العاجز المعاند الذي لا يستحي لمزيد عناده أن يقول (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو آتنا بعذاب أليم)



○ وفاة خديجة رضي الله عنها ○

وبعد خروجه عليه السلام من الشعب بقليل وقبل الهجرة بثلاث سنين توفيت خديجة بنت خويلد زوجة رضي الله عنها كان عليه السلام كثيراً ما يذكرها ويترحم عليها ولا غرابة فهي أول نفس زكية صدقت رسول الله فيما جاء به عن ربه وقد جاء منها بأولاده كلهم ما عدا إبراهيم فمنها زينب وهي أكبر بناته تزوجها في الجاهلية أبو العاص بن الربيع وأعقب منها أمامة التي تزوجها علي بن أبي طالب بعد وفاة فاطمة ومنها رقية وأم كلثوم تزوجها عثمان الأولى بمكة قبل الهجرة وهاجر بها إلى الحبشة والثانية بالمدينة بعد أن ماتت اختها ومنها فاطمة وهي أصغر بناته تزوجها علي بن أبي طالب وقد جاءت خديجة بأولاد توفوا صغاراً ولم يعيش بعد رسول الله من أولاده إلا فاطمة عاشت بعده قليلاً ولما توفيت خديجة حزن عليها رسول الله حزناً شديداً لما كانت عليه من الرقة لرسول الله ومحاجة الكفار عنه لما لها من الجاه في عشيرتها بني زهرة ومنها القاسم وكان به يكنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله الملقب بالطيب والطاهر

— ﴿ زواج سودة ﴾ —

وعقد عليه السلام في الشهر الذي ماتت فيه خديجة على سودة بنت زمعة العامرية القرشية بعد أن توفي عنها زوجها وابن عمها السكران ابن عمرو وقد كانت آمنت بالله وبرسوله وخالفت أقاربها وبني عمها وهاجرت مع زوجها الى الحبشة في المرة الثانية خوف الفتنة وعقب رجوعه من هجرته توفي عنها فلم يكن ثم أجل مما صنعه الرسول بزواج رجل آمن به ولو تركت قومها مع ما هم عليه من الغلظة وكراهة الاسلام لفتوها وكرم نسبا في قومها يمنعها من التزوج برجل أقل منها نسباً وشرفاً

— ﴿ زواج عائشة رضي الله عنها ﴾ —

وبعد ذلك بشهر عقد على عائشة بنت صديقه أبي بكر وهي لا تتجاوز السابعة من عمرها ولم يتزوج عليه السلام بغيرها ودخل عليها بالمدينة أما سودة فدخل عليها بمكة و بعد وفاة خديجة بنحو شهر توفي عمه أبو طالب الذي كان يمنعه من أذى اعدائه ومع انه كان لا يكذب رسول الله فيما جاء به بل يعتقد صدقه لم ينطق بالشهادتين حتى آخر لحظة من حياته وفيه نزل في سورة القصص (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) ولكن لاعماله العظيمة التي عملها مع رسول

الله نرجو أن يخفف عنه وعدم اسلامه بل هو وغالب أقارب الرسول فيه من الحكمة ما لا يخفى فانهم لو بادروا باتباعه لقيل قوم يطلبون سيادة وفخراً ليسا لهم فجاؤا بهذا الامر المفتري ولكن لما رأى المعاندون ان متبعيه هم الغرباء عنه الذين ليسوا من عشيرته بل من أعدائها أحياناً كعثمان بن عفان من بني امية لم يكن عندهم أدنى حجة يقيمونها اللهم الا دعاويهم الكاذبة التي كانوا يمسكون بها حينما تصدعهم الحججة وهو قولهم ساحر يفرق بين المرء وزوجه وكاهن يتكهن بالغيب وقد سمي رسول الله هذا العام الذي فقد فيه وزوجه وعمه عام الحزن ولما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ما لم يمكنها نيله في حياة أبي طالب واشتد الامر عليه حتى كانوا ينثرون التراب على رأسه وهو سائر ويضعون أوساخ الشاة عليه في صلاته وتعلقت به كفار قريش مرة يتجادبونهُ ويقولون له أنت الذي تريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً فما تقدم أحد من المسلمين حتى يخلصه منهم لما هم عليه من الضعف الا أبو بكر فإنه تقدم وقال أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله

— هجرة الطائف —

فلما رأى عليه السلام استهانة قريش به أراد أن يتوجه الى ثقيف بالطائف (١) يرجو منهم نصرة على قومه ومساعدته حتى يتم أمر ربه

(١) بلد في الجنوب الشرقي من مكة

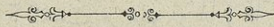
لانهم اقرب الناس الى مكة وله فيهم خوالة فان ام هاشم بن عبد مناف عاتكة السامية من بني سليم بن منصور وهم حلفاء ثقيف فلما توجه اليهم ومعه مولاه زيد بن حارثة قابل رؤساءهم وكانوا ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحييب اولاد عمرو بن عمير الثقفي فعرض عليهم نصرته حتى يؤدي دعوته فردوا عليه رداً قبيحاً ولم ير منهم خيراً وحينذاك طلب منهم ان لا يشيعوا ذلك عنه كيلا تعلم قريش فيشتد اذاهم لانه استعان عليهم بأعدائهم فلم تفعل ثقيف ما رجاه منهم عليه السلام بل ارسلوا سفهاءهم وغلمانهم يقفون في وجهه في الطريق ويرمونهُ بالحجارة حتى ادموا عقبه وكان زيد بن حارثة يدرأ عنه الى أن انتهى الى شجرة كرم واستظل بها وكانت بجوار بستان لعنبة وشيبة ابني ربيعة وهما من اعدائه وكانا في البستان فكره رسول الله مكانهما فدعا الله قائلاً (اللهم اني أشكو اليك ضعف قوتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلمي ان لم يكن بك غضبٌ عليّ فلا أبالي) فلما رآه ابنا ربيعة رقاه وارسلا اليه بقطف من العنب مع مولي لهما نصراني اسمه عدّاس فلما ابتدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل قال (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال عدّاس هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له عليه السلام من اي البلاد أنت وما دينك فقال نصراني من نينوي (١) فقال عليه السلام قرية (١) بلد على شاطئ دجلة وهي آخر ما ينتهي اليه العراق وامامها مدينة الموصل

لما علمه كفار قريش من انه توجه الى الطائف يستنصر بأهلها عليهم
فأرسل عليه السلام الى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف يخبره
انه سيدخل مكة في جواره فأجاب الى ذلك وتسلح هو وبنوه
وتوجهوا مع رسول الله الى المطاف فقال له بعض المشركين اجير انت
ام تابع فقال بل مجير قالوا اذا لا تخفر ذمتك



وفد دوس

وقدم على رسول الله وهو بمكة الطفيل بن عمرو الدوسي من
قبيلة دوس عشيرة ابي هريرة الصحابي الشير وكان الطفيل شريفاً
في قومه شاعراً نبيلاً فلما قرأ عليه القرآن أسلم فقال له رسول الله
اذهب الى قومك فادعهم الى الاسلام ودعاهم رسول الله فقال اللهم
اهد دوساً فتوجه اليهم الطفيل ودعاهم فأمن بدعوته كثير منهم وستاتي
وفادته على الرسول مرة ثانية بقومه في المدينة



الاسراء والمعراج

وقبل الهجرة اكرمه الله بالاسراء والمعراج اما الاسراء فهو
توجهه ليلاً الى بيت المقدس بايلياء ورجوعه من ليلته واما المعراج
فهو صعوده الى العالم العلوي وقد قال جمهور اهل السنة ان ذلك كان
بجسمه الشريف وكانت عائشة رضي الله عنها تمنع رؤيته رسول الله

ربه وتقول من قال ان محمداً رأى ربه فقد اعظم الفرية على الله
والاسراء المذكور في القرآن الكريم قال تعالى في اول سورة الاسراء
(سبحان الذي اسرى بعده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير)
واما المعراج فقد ورد في صحيح السنة واصح احاديثه ما رواه
الشيخان وقله القاضي عياض في شفاؤه عن انس بن مالك رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيت بالبراق وهو دابة فوق
الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى
اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء ثم دخلت
المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فاتاني جبريل باناء من خمر
واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا
الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن
معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا
انا بآدم فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح
جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة يحيى
وعيسى ابن مريم فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء
الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا واذا انا بيوسف واذا هو قد اعطي
شطر الحسن فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة

وذكر مثله فاذا انا بادريس فرحب بي ودعالي بخير قال تعالى في
سورة مريم (ورفعناه مكاناً علياً) ثم عرج بنا الى السماء الخامسة
فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بنا الى
السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعالي بخير ثم
عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم مسنداً ظهره
الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا
يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا اوراقها كاذان الفيلة
واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من امر ربي ماغشيها تغيرت فما احد
من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله اليّ ما اوحى
ففرض عليّ وعلى امتي خمسين صلاة في كل يوم ولبلة فنزلت الى
موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع
الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت
بني اسرائيل قبلك وخبرتهم قال فرجعت الى ربي قلت يا رب
خفف عن امتي فخط عني خمساً فرجعت الى موسى فقلت حط عني
خمساً قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف
قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال سبحانه يا محمد
انهن خمس صلوات كل يوم ولبلة لكل صلاة عشر فلك خمسون
صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعلمها
كتبت له عشرًا ومن هم بسيدة فلم يعملها لم تكتب له شيئاً ومن هم

بسيئة فعملها كتبت له سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى
فاخبرته فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف فقلت قد رجعت الى
ربي حتى استحيت منه ثم رجع عليه السلام من ايلته فلما اصبح غدا
الى نادي قريش فجاء اليه ابو جهل بن هشام فحدثه رسول الله صلى
الله عليه وسلم بما جرى له فقال ابو جهل يا بني كعب بن لؤي هلموا
فاقبل عليه كفار قريش فاخبرهم الرسول الخبر فصاروا بين مصفق
وواضع يده على رأسه تعجباً وانكاراً وارتدّ ناس ممن كان آمن به من
ضعاف القلوب وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد
صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لأصدقه على أبعد من ذلك
فسمي من ذلك اليوم صديقاً ثم قام الكفار يمتحنون رسول الله فسألوه
نعت بيت المقدس وفيهم رجال رأوه اما رسول الله فلم يكن رأه قبل
ذلك فجلاه الله له فصار يصفه لهم باباً باباً وموضعاً موضعاً فقالوا اما
النعت فقد اصاب فاخبرنا عن غيرنا وكانت لهم غير قادمة من الشام
فاخبرهم بعدد جاهلها واحوالها وقل تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس
يقدمها جمل أورق فخرجوا يشهدون ذلك اليوم نحو الثانية فقال قائل
منهم هذه والله الشمس قد اشرقت فقال آخر وهذه والله العير قد
اقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد ثم لم يزدتم ذلك الا كفراً
وعناداً حتى قالوا هذا سحر مبين وفي صبيحة ليلة الاسراء جاء جبريل
وعلم رسول الله كيفية الصلاة ووقاتها فيصلي ركعتين اذا ظهر الفجر

واربع ركعات اذا زالت الشمس ومثلها اذا ضوعف ظل الشيء
وثلاثاً اذا غربت وأربعاً اذا غاب الشفق الاحمر وكان عليه السلام
قبل مشروعية الصلاة يصلي ركعتين صباحاً ومثلها مساءً كما كان
يفعل ابراهيم عليه السلام



— العرض على القبائل —

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يجد من قريش منه
من تأدية الرسالة وتسلم الكبر والعظمة على قلوبهم أراد الله ان
يظهر امر هذا الدين على ايدي غيرهم من العرب فكان عليه السلام
يخرج في المواسم العربية (وهي اسواق كانت العرب تعقدتها للتجارة
والمفاخرة) ويعرض نفسه على القبائل ليحموه حتى يؤدي رسالة ربه
فكان بعضهم يرد رداً جميلاً وآخرون رداً قبيحاً وكان من اقبح
القبائل رداً بنو حنيفة رهط مسيلة الكذاب وطلب منه بنو عامر ان
هم آمنوا به ان يجعل لهم امر الرياسة من بعده فقال لهم الامر لله يضعه
حيث يشاء وكان من الذين يحجون البيت عرب يثرب وهي مدينة
بين مكة والشام يقطنها قبيلتان احدهما من ولد الاوس والثانية من
ولد الخزرج وهما اخوان وكان بين اولادهما من العداوة ما يجعل
الحرب لا تضع اوزارها بين الفريقين فكانوا دائماً في شقاق ونزاع
وكان يجاورهم في المدينة اقوام من اليهود وهم بنو قينقاع وبنو قريظة

ورافع بن مالك من بني زريق وقطبة بن عامر من بني سلمة وعقبة
ابن عامر من بني حرام وجابر بن عبد الله من بني عبيد بن عدي
ودعاهم الى الاسلام والى معاونته في تبليغ رسالة ربه فقال بعضهم
لبعض انه للنبي الذي كانت تعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فآمنوا به
وصدقوه وقالوا انا تركنا قومنا بينهم من العداوة ما بينهم فان يجمعهم
الله عليك فلا رجل اعزُّ منك ووعدوه المقاتلة في الموسم المقبل وهذا
هو بدء الاسلام لعرب يثرب



— ❦ العقبة الاولى ❦ —

فلما كان العام المقبل قدم اثنا عشر رجلاً منهم عشرة من الخزرج
واثنان من الاوس وهم اسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا الحارث
ورافع بن مالك وذكوان بن قيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن
ثعلبة والعباس بن عباد وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر وهؤلاء من
الخزرج وابو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة وهما من الأوس
فاجتمعوا به عند العقبة واسلموا وبايعوا رسول الله على بيعة النساء وذلك
قبل ان يفترض الحرب على الاشركون بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا
يزنوا ولا يقتلوا اولادهم ولا يأتوا بيهتان يفترونه بين ايديهم وارجلهم
ولا يعصونه في معروف فان وفوا فلهم الجنة وان غشوا من ذلك شيئاً
فأمرهم الى الله عز وجل ان شاء غفر وان شاء عذب وهذه هي

العقبة الاولى فأرسل لهم عليه السلام مصعب بن عمير العبدري وعبد
الله بن ام مكتوم وهو ابن خالة خديجة يقرأهم القرآن ويقتنهم
في الدين ونزل مصعب على احد المبايعين أبي امامة اسعد بن زرارة
وصار يدعو بقية الاوس والخزرج للاسلام وبينما هو في بستان مع
اسعد بن زرارة اذ قال سعد بن معاذ رئيس قبيلة الاوس لأسيد بن
حضير ابن عم سعد الا تقوم الى هذين الرجلين اللذين أتيا يسفهان
ضعفاءنا لتزجرهما فقام لهما أسيد بجر بته فلما رآه أسعد قال لمصعب هذا
سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه فلما وقف عليهما قال ما جاء بكما
تسفهان ضعفاءنا اعزلا ان كان لكما بانفسكما حاجة فقال مصعب أو
تجلس فتسمع فان رضيت أمراً قبلته وان كرهته كففنا عنك ما تكره
فقرأ عليه مصعب القرآن فاستحسن دين الاسلام وهداه الله له فتشهد
ورجع الى سعد فسأله عما فعل فقال والله ما رأيت بالرجلين بأساً فغضب
سعد وقام لهما متغيظاً ففعل معه مصعب كسابقه فهداه الله للاسلام
ورجع لرجال بني عبد الاشهل وهم بطن من الاوس فقال لهم ما تعدونني
فيكم قالوا سيدنا وابن سيدنا قال كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى
تسلموا فلم يبق بيت من بيوت بني عبد الاشهل الا أجابه وقد انتشر
الاسلام في دور يثرب حتى لم يكن بينهم حديث الا أمر الاسلام

— ❦ العقبه الثانية ❦ —

ولما كان وقت الحج في العام الذي يلي البيعة الاولى قدم مكة
كثيرون منهم يريدون الحج و بينهم كثير من مشركيهم ولما قابل
وفدهم رسول الله واعدوه المقاتلة ليلا عند العقبه فامرهم ان لا ينيهوا
في ذلك الوقت نائماً ولا ينتظروا غائباً لان كل هذه الاعمال كانت خفية
من قريش كيلا يطلعوا على الامر فيسعدوا في تقض ما أبرم شأنهم مع
رسول الله في اول امره . ولما فرغ الانصار من حجهم توجهوا الى
موعدهم كآمين أمرهم عن معهم من المشركين وكان ذلك بعد مضي
ثلث الليل الاول فكانوا يتسللون الرجل والرجلين حتى تم عددهم ثلاثاً
وسبعين رجلاً منهم اثنان وستون من الخزرج واحد عشر من الاوس
ومعهم امرأتان وهما نسيبة بنت كعب من بني النجار واسماء بنت
عمرو من بني سلمة ووافقهم رسول الله هناك وليس معه الا عمه
العباس بن عبد المطلب وهو على دين قومه ولكن اراد ان يحضر امر
ابن أخيه ليكون متوثقاً له فلما اجتمعوا عرفهم العباس بان ابن أخيه لم
يزل في منعة من قومه حيث لم يمكنوا منه احداً ممن اظهر له العداوة
والبغضاء وتحملوا من ذلك أعظم الشدة ثم قال لهم ان كنتم ترون انكم
واقفون له بما دعوتوه اليه ومانعوه ممن خالفه فاتم وما تحملتم من ذلك
والا فدعوه بين عشيرته فانهم ليمكن عظيم فقل كبيرهم والمتكلم عنهم

البراء بن معرور والله لو كان لنا في انفسنا غير ما نطق به لقلناه
ولكننا نريد الوفاء والصدق وبذل مهجنا دون رسول الله وعند ذلك
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ لنفسك ولربك ما احببت فقال
أشترط لربي أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً ولنفسى ان تمنعوني
مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم متى قدمت عليكم فقال له الهيثم بن
التيهان يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال عهوداً وانا قاطعوها فهل
عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا
فتبسم عليه السلام وقال بل الدم الدم والهدم الهدم اي ان طالتم بدم
طالبت به وان اهدرتموه اهدرته

وحينذاك ابتدئت المبايعة وهي العقبة الثانية فبايعه الرجال على
ما طلب واول من بايع اسعد بن زرارة وقيل البراء بن معرور ثم تخير
منهم اثني عشر تقياً لكل عشيرة منهم واحد تسعة من الخزرج وثلاثة
من الأوس وهم ابو الهيثم بن التيهان واسعد بن زرارة . واسيد بن
حضير . والبراء بن معرور . ورافع بن مالك . وسعد بن ابي خيشمة .
وسعد بن الربيع . وسعد بن عبادة . وعبد الله بن رواحة . وعبد الله
بن عمرو . وعبادة بن الصامت . والمنذر بن عمرو . ثم قال لهم اتم
كفلاء على قومكم ككفالة الحوارين لعيسى بن مريم وانا كفيل على
قومي . ولا مرّ ما اراده الله بلغ خبر هذه البيعة مشركي قريش فجأوا
ودخلوا شعب الانصار وقالوا يا معشر الخزرج بلغنا انكم جئتم اصحابنا

تخرجونه من ارضنا وتبايعونه على حربنا فأنكروا ذلك وصار بعض
المشركين الذين لم يحضروا المبايعة يحلفون لهم انهم لم يحصل منهم شيء
في ليلتهم وعبد الله بن ابي كبير الخزرج يقول ما كان قومي ليقفوا
على بشي من ذلك

— هجرة المسلمين الى المدينة —

ولما رجع الانصار الى المدينة ظهر بينهم الاسلام اكثر من المرة
الاولى اما رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فازداد عليهم اذى
المشركين لما سمعوا انه حالف قوماً عليهم فأمر عليه السلام جميع
المسلمين بالهجرة الى المدينة فصاروا يتسللون خيفة قريش ان تمنعهم
واول من خرج ابو سلمة المخزومي زوج ام سلمة ومعه زوجته وكان
قومها منعوها منه ولكنهم اطلقوها بعد فاحقت به وتتابع المهاجرون فراراً
بدينهم ليتمكنوا من عبادة الله الذي امتزج حبه بلحمهم ودمهم حتى
صاروا لا يعبتون بمفارقة اوطانهم والابتعاد عن آبائهم وبنائهم ما دام
في ذلك رضي الله ورسوله ولم يبق بمكة منهم الا ابو بكر وعلى وصهيب
وزيد بن حارثة وقليلون من المستضعفين الذين لم تمكنهم حالهم من
الهجرة وقد اراد ابو بكر الهجرة فقال له عليه السلام على رسلك فاني
ارجو ان يؤذن لي فقال ابو بكر وهل ترجو ذلك بأبي انت قال نعم

فجس ابو بكر نفسه على رسول الله ليصعبه وعلف راحلتين كانتا عنده
ورق السم استعداداً لذلك

دار الندوة

اما قریش فكانوا كأنهم اصبوا بمس الشيطان حينما طرق
مسامعهم مبايعة الانصار له على الذود عنه حتى الموت فاجتمع رؤسائهم
وقادتهم في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قریش
لا تقضي امراً الا فيها يتشاورون فيها ما يصنعون في امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم حيه خافوه فقال قائل منهم نخرجه من ارضنا كي
نستريح منه فرفض هذا الرأي لانهم قالوا اذا خرج اجتمعت حوله
الجموع لما يرونه من حلاوة منطقه وعدوبة لفظه وقال آخر نوثقه ونحبسه
حتى يدركه ما ادرك الشعراء قبله من الموت فرفض هذا الرأي كسابقه
لانهم قالوا ان الخبر لا يلبث ان يبلغ انصاره ونحن ادرى الناس بمن
دخل في دينه حيث يفضلونه على الآباء والابناء فاذا سمعوا ذلك
جاؤا لتخليصه وربما جر هذا من الحرب علينا ما نحن في غنى عنه وقال
لهم طاعتهم بل تقتله ولنمنع بني ابيه من الاخذ بثاره نأخذ من كل قبيلة
شاباً جلدأ يجتمعون امام داره فاذا خرج ضربوه ضربة رجل واحد
فيتفرق دمه في القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قریش كلهم
بل يرضون بالدية فأقروا على هذا الرأي هذا مكرهم ولكن ارادة الله

فوق كل ارادة (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) فاعلم نبيه
بما دبره الاعداء في سرهم وامره بالحقق بدار هجرته بدار فيها ينشر
الاسلام ويكون فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم العزة والمنعة وهذا
من الحكمة بمكان عظيم فانه لو انتشر الاسلام بمكة لقال المبغضون ان
قريشاً ارادوا ملك العرب فعمدوا الى شخص منهم واوعزوا اليه ان
يدعى هذه الدعوى حتى تكون وسيلة لنيل ما ربههم ولكنهم كانوا
له اعداء ألداء آذوه شديد الأذى حتى اختار الله له مفارقة بلادهم
والبعد عنهم



— هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم —

فتوجه من ساعته الى صديقه ابي بكر واعلمه ان الله قد اذن له
في الهجرة فسأله ابو بكر الصحبة فقال نعم ثم عرض عليه احدى راحتيه
التي كانتا معدتين لذلك فجهزها احت الجهاز وصنعت لهما سفرة في
جراب فقطعت اسماء بنت ابي بكر نطاقها وربطت به على فم الجراب
واستأجرا عبد الله بن ارقط من بني الدليل بن بكر وكان هادياً ماهراً
وهو على دين كفار قريش فأمناه ودفعاه اليه راحتيهما وواعده غار ثور
بعد ثلاث ليال ثم فارق الرسول عليه السلام ابا بكر وواعده المقابلة ليلاً
خارج مكة وكانت هذه الليلة هي ليلة استعداد قريش لتنفيذ ما اقروا
عليه فاجتمعوا حول باب الدار ورسول الله داخله فلما جاء ميعاد

الخروج امر ابن عمه علياً بالمبيت مكانه كي لا يقع الشك في وجوده
اثناء الليل فانهم كانوا يرددون النظر من شقوق الباب ليعلموا وجوده
ثم سبجى علياً ببردته وخرج على القوم وهو يقرأ (وجعلنا من بين
أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) فألقى الله
النوم عليهم حتى لم يره احد ولم يزل عليه السلام سائراً حتى تقابل مع
الصديق وسارا حتى بلغا غار ثور فاختموا فيه . أما المشركون فلما علموا
بفساد مكرهم وانهم انما باتوا يحرسون علي بن ابي طالب لا محمد بن
عبد الله هاجت عواطفهم فأرسلوا الطلب من كل جهة وجعلوا الجوائز
لمن يأتي بمحمد أو يدل عليه وقد وصلوا في طلبهم الى ذلك الغار الذي
فيه طلبتهم بحيث لو نظر أحدهم تحت قدميه لنظرهما حتى أبكى ذلك
أبا بكر فقال له عليه السلام (لا تحزن ان الله معنا) فأعمى الله ابصار
المشركين حتى لم يحن لاحد منهم التفاتة الى ذلك الغار بل صار أعدى
الاعداء أمة بن خلف يعد لهم اختفاء المطوليين في مثل هذا الغار
فأقاما فيه ثلاث ليال حتى يتقطع الطلب وكان يبيت عندهما عبد الله
ابن ابي بكر وهو شاب ثقف لئن فیدلج من عندهما بسحر فيصبح مع
قريش بمكة ككبات بها فلا يسمع أمراً يكتبادان به الاوعاه حتى
يأتيها بخبر ذلك حين يختلط الظلام وكان عامر بن فهيرة يروح عليهما
بقطعة من غنم يراها حين تذهب ساعة من العشاء ويغدو بها عليهما
فاذا خرج من عندهما عبد الله تبع أثره عامر بالغنم كيلا يظهر لقدميه

أثر . ولما انقطع الطلب خرجا بعد أن جاءهما الدليل بالراحتين صباح
ثلاث وسارا متبعين طريق الساحل . وفي الطريق لحقهم طالباً سرقة
ابن مالك بن جشعم وكان قد رأى رسل مشركي قريش يجعلون في
رسول الله وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما هوفي
مجلس من مجالس قومه بني مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام عليهم
وهم جلوس فقال يا سرقة اني رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً
وأصحابه فعرف سرقة أنهم هم ولكنه أراد أن يثني عزم مخبره عن
طلبهم فقال انك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا يتبعون ضالة لهم ثم
لبث في المجلس ساعة وقام وركب فرسه ثم سار حتى دنا من الرسول
ومن معه فغرثت به فرسه فخر عنها ثم ركبها ثانياً وسار حتى صار يسمع
قراءة المصطفى وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات فساخت قوائم
فرس سرقة في الارض حتى بلغت الركبتين فخر عنها ثم زجرها حتى
نهضت فلم تكد تخرج يديها حتى سطع لآثرهما غبار ساطع في السماء
مثل الدخان فعلم سرقة أن عمله ضائع سدىً وداخله رعب عظيم
فنادها بالامان فوقف عليه السلام ومن معه حتى جاءهم ويقول سرقة
وقع في نفسي حين لقيت ما لقيت أن سيظهر امر رسول الله فقلت ان
قومك قد جعلوا فيك الدية واخبرهم بما يريد بهم الناس وعرض عليهم
الزاد والمتاع فلم يأخذوا منه شيئاً بل قالوا له اخف عنا فسأله سرقة ان
يكتب له كتاب امن فأمر ابا بكر فكتب وبذلك انقضت هذه المشكلة

مضيق عليه من مشركي قريش ورسول الله ممنوع من الجهر بعبادة
ربه أما الآن فقد آواه الله هو وصحابته رضوان الله عليهم بعد أن
كانوا قليلاً يتخطفهم الناس

— هجرة الانبياء —

وبهذه الهجرة تمت لرسولنا صلى الله عليه وسلم سنة اخوانه من
الانبياء قبله فما من نبي منهم الا نبت به بلاد نشأته فهاجر عنها من
ابراهيم أبي الانبياء و خليل الله الى عيسى كلمة الله وروحه كلمهم على
عظيم درجاتهم ورفعة مقامهم أهينوا من عشائهم فصبروا ليكونوا مثلاً
لمن يأتي بعدهم من متبعيهم في الثبات والصبر على المكروه مادام ذلك
في طاعة الله فسل مصر وتاريخها تنبئك عن اسرائيل (يعقوب) وبنيه
انهم هاجروا اليها حيناً رأوا من بنيتها ترحيباً بهم وتركهم وما يعبدون
أكراماً ليوسف وحكمته • ولما مضت سنون نسي فيها المصريون تديير
يوسف وفضله عليهم فاضطهدوا بني اسرائيل وأذوهم خرج بهم موسى
وهارون ليتمكنوا من اعطاء الله حقه في عبادته . وهرب المسيح عليه
السلام من اليهود حيناً كذبوه فأرادوا الفتك به حتى كان من ضمن
تعاليمه لتلامذته (طوبى للمطرودين من أجل البر لان لهم ملكوت
السموات) ثم قال بعد (افرحوا وتهلوا لأن أجركم عظيم في السموات
فانهم هكذا طردوا الانبياء الذين قبلكم) وسل القرى التي جلت بها

تقمة الله لكفر اهلها كديار لوط وعاد وحمود تنبئك عن مهاجرة الانبياء
منها قبل حلول التقمة فلا غرابة أن هاجر عليه السلام من بلاد منعه
أهلها من تميم ما أراد الله (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد
لسنة الله تبديلاً)



﴿ أعمال مكة ﴾

هذا ولنين لك مجمل ما دعا اليه الرسول عليه السلام بمكة من
اصول الدين وذلك أمران (الاول) الاعتقاد بوحدانية الله وأن لا
يشرك معه في العبادة غيره سواه كان ذلك الغير صنماً كما يفعل مشركو
مكة أو ابناً أو زوجة أو بنتاً كما عليه بعض الطوائف الاخرى كالنصارى
ولولا الاعتقاد بوحدانية الاله ما كانت أحد نفسه تكاليف الحياة من
آداب الاخلاق بل كان يسير فيما تأمره به نفسه من شهواتها وملذاتها
ما دام ذلك خافياً عن الناس (الثاني) الاعتقاد بالبعث والنشور وان
هناك يوماً ثانياً للانسان يجازي فيه على ما صنعه في الدنيا ان خيراً فخير
وان شراً فشر وعلى هذين الامرين جاء غالب الآي المكية فقلما
ترى سورة من سور مكة الا مشحونة بالاستدلال عليهما وتوبيخ من
تركهما وكل ذلك بأساليب تأخذ بالعقل وبراهين لا تحتاج لفلسفة
الذين يشغلون أنفسهم بما لا طائل تحته مما يضيع الوقت سدى ونزل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من القرآن معظمه وهو ما عدا

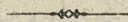
اثنتين وعشرين سورة منه وهي البقرة . آل عمران . النساء . المائدة .
الانفال . التوبة . الحج . المؤمنون . الاحزاب . القتال . الفتح .
الحجرات . الحديد . المجادلة . الحشر . الممتحنة . الصف . الجمعة .
المنافقون . التغابن . الطلاق . التحريم . هذه كلها مدنية و باقي
القرآن مكي

ولما نزل عليه السلام بقاء نزل على شيخ بني عمر وكلثوم بن الهدم
وكان يجلس للناس ويتحدث لهم في بيت سعد بن خيشمة لانه كان
عزباً ونزل أبو بكر بالسنع (محلة بالمدينة) على خارجة بن زيد من
بني الحارث بن الخزرج



مسجد قباء

وأقام رسول الله بقاء ليالي أسس فيها مسجد قباء الذي وصفه
الله بأنه مسجد أسس على التقوى من أول يوم وصلى فيه عليه السلام
بمن معه من الانصار والمهاجرين وهم آمنون مطمئنون وكانت المساجد
على عهد رسول الله في غاية من البساطة ليس فيها شيء مما اعتاده بناء
المساجد في القرون الاخيرة لان الرسول واصحابه لم يكن جل همهم
الا منصرفاً لتزيين القلوب وتنظيفها من حظ الشيطان فكان سور
المسجد لا يتجاوز القامة وفوقه مظلة يتقي بها حر الشمس



— ﴿ الوصول الى المدينة ﴾ —

(ثم) تحول عليه السلام الى المدينة والانصار محيطون به متقلدي
سيوفهم وهنا حدث ولا جرح عن سرور أهل المدينة فكان يوم
تحوله عليهم يوماً سعيداً لم يروا فرحين بشيء فرحهم برسول الله وخرج
النساء والصبيان والولائد يقطن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع

وكان الناس يسيرون وراء رسول الله ما بين ماش وراكب
يتنازعون زمام ناقته كل يريد أن يكون نزيله

— ﴿ أول جمعة ﴾ —

وأدركنه عليه السلام صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف فنزل
وصلاها وهذه أول جمعة له عليه السلام وأول خطبة خطبها عليه السلام
حمد الله واثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فقدموا لانفسكم تعامن
والله ليصعقن احدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه
ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولي فبلغك
وآيتك مالا وافضلت عليك فما قدمت لنفسك فليظرن يمينا وشمالا

فلا يرى شيئاً ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع ان
يقي وجهه من النار ولو بشق تمره فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها
محزبي الحسنة عشر امثالها الى سبعائة ضعف والسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته

—><—
﴿ النزول على ابي ايوب ﴾

ثم ساروا كلما مروا على دور من دور الانصار يتضرع اليه اهلها
بأن ينزل عندهم ويأخذون بزمام الناقة فيقول دعوها فانها مأمورة ولم
تزل سائرة حتى اتت بفناء بني عدية بن النجار وهم اخواله الذين
تزوج منهم هاشم جده فبركت بمحلة من محلاتهم امام دار ابي ايوب
الانصاري واسمها خالد بن زيد (١) وذلك محل مسجد الشريف
فقال عليه السلام ههنا المنزل ان شاء الله (رب انزلي منزلاً مباركاً
وانت خير المنزلين) فاحتمل ابو ايوب رحله ووضعها في منزله وجاء
اسعد بن زرارة فأخذ بزمام ناقته فكانت عنده وخرجت ولائد بني
النجار يقطن

نحن جوار من بني النجار يا حبيدا محمد من جار
فقال عليه السلام لهنّ تحبينني فقلن نعم فقال الله يعلم ان قلبي

(١) توفي زمن معاوية في حصار القسطنطينية ودفن هناك خارج المدينة

يُمكنٌ واختار عليه السلام النزول في الدور الاسفل من دار ابي ايوب
ليكون اريح لزاثيره ولكن لم يرض رضى الله عنه ذلك كرامة لرسول
الله لما يمكن ان يصيبه من التراب الذي يحدثه وطىء الاقدام او الماء
الذي يهراق فقد اتفق ان كسرت من زوجته جرّة ماءً بالليل تقام هو
وهي بقطيفتهما التي ليس لهما غيرها يمسحان الماء خوفاً على رسول الله
ولذلك لم يزل ابو ايوب يستعطفه حتى كان في العلو وكانت تأتيه الجفان
كل ليلة من سراة الانصار كسعد بن عباد و اسعد بن زرار و ام زيد
بن ثابت فما من ليلة الا وعلى بابه اثلاث او الاربع من جفان الثريد

— نزول المهاجرين —

ولما تحوّل مع رسول الله اغلب المهاجرين تنافس فيهم الانصار
فحكوا القرعة بينهم فما نزل مهاجري على انصاري الا بقرعة

— أخوة الاسلام —

ومن يتأمل الى هذه المحبة التي يستحيل ان تكون بتأثير بشر
بل بفضل من الله ورحمته يفهم كيف انتصر هؤلاء الاقوام على معانديهم
من المشركين وأهل الكتاب مع قلة العدد والعدد
وكان الانصار يؤثرون اخوانهم المهاجرين على أنفسهم قال تعالى
في سورة الحشر (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من

هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم
ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وهذا
أعلى درجات الاخوة وكل ذلك كانوا يرونه قليلاً بالنسبة لما وجب
عليهم لاخوانهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكن بينهم الاخاء
آخي بين المهاجرين والانصار فكان كل أنصاري ونزيله أخوين في
الله ومن العث ان نكلف القلم أن يوضح للقارئ أن هذه الاخوة
كانت أرقى بكثير من الاخوة العصبية بل نكل ذلك للاحاساس
الاسلامي فانه أفصح منطقاً من القلم وعلى الاجمال فتلك قلوب الف
الله بينها حتى صارت شيئاً واحداً في اجسام متفرقة وعسى الله ان
يوفق مسلمي عصرنا الى هذا الاخاء حتى يسودوا كما ساد المتحدون.
وكان هذا الاخاء على المواسة والحق وان يتوارثوا بعد الموت دون
ذوي الارحام وكان عليه السلام يقول لكل اثنين (تأخيا في الله
اخوين اخوين) ودام هذا الميراث الى ان نسخه الله بقوله في سورة
الاحزاب (واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله)

﴿ هجرة أهل البيت ﴾

ولما استقر عليه السلام بالمدينة ارسل زيد بن حارثة وابا رافع
الى مكة ليأتيا بمن تخلف من اهله وارسل معهما عبد الله بن اريقط
يدلها على الطريق فقدا بفاطمة وأم كلثوم بنتيه عليه السلام وسودة

زوجه وام ايمن زوج زيد وابنها اسامة . اما زينب فمنعها زوجها ابو
العاص بن الربيع وخرج مع الجميع عبد الله بن ابي بكر بأمر رومان
زوج ابيه وعائشة اخته واسماء زوج الزبير بن العوام وكانت حاملا
بابنها عبد الله وهو اول مولود للمهاجرين بالمدينة



— ﴿ حى المدينة ﴾ —

ولم يكن هواء المدينة في البدء موافقاً للمهاجرين من اهل مكة
فأصاب كثيراً منهم الحمى وكان رسول الله يعوذبهم فلما شكوا اليه الامر
قال اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة واشد وبارك لنا في مداها
وفي صاعها وانقل وباءها الى الجحفة (١) فاستجاب الله جل وعلا
دعوته وعاش المهاجرون في المدينة بسلام

— ﴿ منع المستضعفين من الهجرة ﴾ —

ومنع مشركو مكة بعضاً من المسلمين عن الهجرة وحبسوهم وعذبوهم
منهم الوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وهشام بن العاص فكان عليه
السلام يدعو لهم في صلواته وهذا اصل القنوت وقد حصل في اوقات
مختلفة ومحال في الصلوات مختلفة فكان في وتر العشاء وصلاة الصبح

(١) قرية على اثنين وثمانين ميلاً من مكة وهي ميقات اهل الشام

بعد الركوع وقبله فروى كل صحابي ما رآه وهذا سبب اختلاف الأئمة
في مكان القنوت

— ❦ —
❦ السنة الأولى . بناء المسجد ❦ —

ثم شرع عليه السلام في بناء مسجده في مبرك ناقته امام محلة بني
النجار وكان محله مرزبداً للتمر يملكه غلامان يتيمان في حجر اسعد ابن
زرارة فدعا الغلامين وساوهم المرزبداً ليتخذ مسجداً فقالا بل نهبه
لك يا رسول الله فأبى عليه السلام ان يقبله منهما هبة بل ابتاعه منهما
وكان فيه قبور للمشركين وبعض حفر ونخل فأمر بالقبور فبشت وبالحفر
فسويت وبالنخل فقطع ثم أمر بأخذ اللبن فاتخذ وشرعوا في البناء به
وجعلوا عضادتي الباب من الحجارة وسقفوه بالجريد وجعلت عمده من
جدوع النخل ولا يزيد ارتفاعه عن القامة الا قليلا وقد عمل فيه رسول
الله بنفسه ليرغب المساهين في العمل وصاروا يرتجزون وهو يقول معهم *
اللهم لا خير الاخير الآخرة * فارحم الانصار والمهاجرة * وجعلت
قبلة المسجد في شماله الى بيت المقدس وجعل له ثلاثة ابواب ثم حصبت
ارضه لان المطر كان قد اثر فيه فأمر عليه السلام بحصبه ولم يزين
المسجد بفرش حتى ولا بالحصر وبني بجانبه حجرتان احدهما سودة
بنت زمة والاخرى لعائشة ولم يكن عليه السلام متزوجاً غيرها اذذاك

وكانت الحجرتان مجاورتين وملاصقتين للمسجد على شكل بناءه
وصارت الحجرات تبني كلما جاءت زوج

— بدء الاذان —

اوجب الله الصلاة على المسلمين ليكونوا دائماً متذكرين عظمة
العلي الاعلى فيتعلمون اوامره ويحفظون نواهيه ولذلك قال في محكم
كتابه في سورة العنكبوت (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)
وجعل أفضل الصلاة ما كان جماعة ليذاكر المسلمون بعضهم بعضاً في
شؤونهم واحتياجاتهم ويقووا روابط اللفة والاتحاد بينهم ومتى حان
وقت الصلاة لا بد من عمل ينبه الغافل ويذكر الساهي حتى يكون
الاجتماع عاماً فأتم النبي عليه الصلاة والسلام مع الصحابة فيما يفعل
لذلك فقال بعضهم نرفع راية اذا حان وقت الصلاة ليراها الناس فلم
يرتضوا ذلك لانها لا تفيد النائم ولا الغافل وقال آخرون نشعل ناراً على
مرتفع من الهضاب فلم يقبل أيضاً وأشار آخرون ببوق وهو ما كانت
اليهود تستعمله لصلواتهم فكرهه رسول الله لأنه لم يكن يجب تقليد
اليهود في عمل ما وأشار بعضهم بالناقوس وهو ما يستعمله النصراني
فكرهه الرسول أيضاً وأشار بعضهم بالنداء فيقوم بعض الناس اذا حانت
الصلاة وينادي بها فقبل هذا الرأي وكان احد المنادين عبد الله بن
زيد الانصاري فيمنما هو بين النائم واليقظان اذ عرض له شخص وقال

الا اعلمك كلمات تقولها عند النداء بالصلاة قال بلى فقال له قل الله اكبر الله اكبر مرتين وتشهد مرتين ثم قل حي على الصلاة مرتين ثم حي على الفلاح مرتين ثم كبر ربك مرتين ثم قل لا اله الا الله فلما استيقظ توجه الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره خبر رؤياه فقال انها لرؤيا حق ثم قال له لئن ذلك بلالاً فانه اندى صوتاً منك وبيننا بلال يؤذن اذ جاء عمر يجر رداءه فقال والله لقد رايت مثله يا رسول الله • وكان بلال احد مؤذنيه بالمدينة والآخر عبد الله بن ام مكتوم وكان بلال يقول في اذان الصبح بعد حي على الفلاح الصلاة خير من النوم مرتين واقره الرسول على ذلك وكان عليه السلام يأمر في فجر رمضان بأذنين اولهما يوقظ به الغافلون حتى يتبهاوا للسحور والثاني للصلاة * اما الاذان للجمعة فكان اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد نداء آخر على الزوراء رواه البخاري ولما تولى هشام بن عبد الملك اخذ الاذان الذي زاده عثمان بالزوراء وجعله على المنار ثم نقل الاذان الذي كان على المنار حين صعود الامام على المنبر في العهد الاول بين يديه

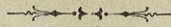
فعلم بذلك أن الاذان في المسجد بين يدي الخطيب بدعة أحدثها هشام بن عبد الملك ولا معنى لهذا الاذان لانه انما هو نداء الى الصلاة ومن هو في المسجد لا معنى لبدائه ومن هو خارج المسجد

لا يسمع النداء اذا كان النداء في المسجد ذكر ذلك الشيخ محمد بن
الحاج في المدخل

قال الحافظ في فتح الباري . وأما ما أحدث الناس قبل الجمعة
من الدعاء اليها بالذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهو في
بعض البلاد دون بعض واتباع السلف الصالح أولى اهـ

فعلم من ذلك كله ان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أذان
الجمعة انه كان اذا جلس على المنبر أذن مؤذنه على المنار فاذا انتهت
الخطبة أقيمت الصلاة وما عدا ذلك فكله ابتداء

أما الاقامة وهي الدعوة للصلاة في المسجد فقد اختلفت الروايات
في نصها فرواها محمد بن ادريس الشافعي مفردة اللفظ قد قامت
الصلاة فمثنى ورواها مالك بن أنس مفردة كلها ورواها ابو حنيفة النعمان
مثنى كلها



X

يهود المدينة

(هذا) وكما ابتلى الله المسلمين في مكة بمشركي قريش ابتلاهم
في المدينة بيهودها وهم بنو قينقاع وقریظة والنضير فانهم اظهروا العداوة
والبغضاء حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحق وكانوا
قبل مجيء الرسول يستفتحون على المشركين من العرب اذا شبت
الحرب بين الفريقين بنبي يبعث قد قرب زمانه فلما جاءهم ما عرفوا

استعظم رؤسائهم أن تكون النبوة في ولد اسماعيل فكفروا بما أنزل
الله بغياً مع انهم يرون أن رسول الله محمداً لم يأت الا مصداقاً لما بين
يديه من كتب الله التي أنزلها على من سبقه من المرسلين مييناً ما افسده
التأويل منها ولكنهم بندوه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . ومما عابوه
على الاسلام نسخ الاحكام وما دروا ان القادر العليم يعلم ما يحتاجه
الانسان اكثر منهم فانه ميل بطبعه للترقي والرسول عليه السلام وجد
بأدى بدء بين جماعة من العرب أميين ليسوا على شيء من الاعتقادات
الالهية فكانت الحكمة داعية لان يكون التشريع لهم على التدرج لانه
لو حرم الله عليهم شرب الخمر واكل الربا وأمرهم بالصلاة والزكاة
وهكذا الى آخر الاوامر والمناهي التي جاء بها الشرع الاسلامي لما اجابه
أحد من هؤلاء النافرة قلوبهم المختلفة أهواؤهم الذين كانوا منغمسين
في كثير من الاضاليل فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر شيئاً
فشيئاً حتى رُوِّضت عقولهم وهذبت نفوسهم وكانت الاحكام لا ينزلها
الله عليه الا عقب الحوادث التي تقتضيها ليكون التأثير في النفوس أشد
ولكن اليهود أرادوا علّ يد القدرة عن أن تفعل الا ما يشتهون وقد
حججهم القرآن الشريف بما يدل على انهم يعلمون من نفوسهم البعد عن
الحق فقال في سورة البقرة (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله
خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) ثم حتم جل
ذكره عدم اجابته بقوله (ولن يتمنوه ابداً بما قدمت ايديهم والله عليم

iii. 144.

ii. 89.

س

بالظالمين) فلو كانوا يعلمون من انفسهم انهم على الحق لما تأخروا عما
 طلب منهم مع سهولته وجزئتهم على تكذيب الصادق الامين ولم يُقَلَّ
 لنا عن احد منهم انه تمنى ذلك ولو نطقا باللسان وقد تبين الهدى
 لاحد رؤساء بني قينقاع وهو عبد الله بن سلام فترك هواه واسلم بعد
 أن سمع القرآن وبعد أن كان اليهود يعدونه من رؤسائهم عدوه من
 سفهائهم حينما بلغهم اسلامه فلبس ما اشترىوا لانفسهم ^{ان يكفروا بها اضل الله} ولما استحسنت
 في قلوبهم عداوة الاسلام صاروا يجهدون انفسهم في اطفاء نوره
 (ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون)

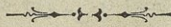
ix.32

— ❖ — المنافقون ❖ —

(وكان) يساعدهم على مقاصدهم جماعة من عرب المدينة اعمى
 الله بصائرهم فأخفوا كفرهم خوفاً على حياتهم وكان يرأس هذه الجماعة
 عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي الذي كان مرشحاً لرياسة أهل
 المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شك ان ضرر
 المنافقين أشد على المسلمين من ضرر الكفار لان اولئك يدخلون بين
 المسلمين فيعلمون أسرارهم ويشيعونها بين الاعداء من اليهود وغيرهم
 كما حصل ذلك مراراً والاساس الذي كان عليه رسول الله أن يقبل
 ما ظهر ويترك لله ما بطن ولكنه عليه السلام مع ذلك كان لا يأمنهم
 في عمل ما فكثيراً ما كان يتعيب عن المدينة ويولي عليها بعض

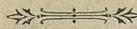
بعضها ان ينزل
 على من يشاء

الانصار ولكن لم يُعهد أنه ولي رجلاً ممن عهدَ عليه النفاق لأنه عليه السلام يعلم ما يكون منهم لو ولوا عملاً فانهم بلا شك يتخذون ذلك فرصة لاضرار المسالمين وهذا درس مهم لرؤساء الاسلام يعلمهم انهم لا يثقون في الاعمال المهمة الا بمن لم تظهر عليهم شبهة النفاق أو اظهر ما يخالف ما في الفؤاد



○ معاهدة اليهود ○

هذا وقد علمت انه كان يصاد المسالمين في المدينة فثتان اليهود والمنافقون ولكن الرسول قبل من هؤلاء ظواهرهم وعقد مع أولئك عهداً مقتضاه ترك الحرب والاذى فلا يحاربهم ولا يؤذيه ولا يعينون عليه احداً وان دهمه بالمدينة عدوً ينصرونه وأقرهم على دينهم



○ مشروعية القتال ○

قد علم مما تقدم أن رسول الله عليه السلام لم يقاتل أحداً على الدخول في الدين بل كان الامر قاصراً على التبشير والانذار وكان الله سبحانه ينزل عليه من الآي ما يقويه على الصبر امام ما كان يلاقه من اذى قريش ومن ذلك قوله في سورة الاحقاف (فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) وكان كثيراً ما يقص الله عليه

انباء اخوانه من المرسلين قبله ليثبت به فؤاده ولما ازداد طغيان اهل
مكة الجؤوه الى الخروج من داره بعد ان اُتْمِرُوا على قتله فكانوا هم
البادئين بالعداء على المسلمين حيث اخرجوهم من ديارهم بغير حق
فبعد الهجرة اذن الله للمهاجرين بقتال مشركي قريش بقوله في سورة
الحج (١) (اِذْ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ
الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ) ثم
امرهم بذلك في قوله في سورة البقرة (وقاتلوا في سبيل الله الذين
يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين واقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
ثَبَتْتَهُمْ وَاخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا
تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلَكُم فِيهِ فَإِنْ قَاتَلَكُم فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ
جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ
فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظالمين)
وبذلك لم يكن الرسول يتعرّض الا لقريش دون سائر العرب فلما
تملأ على المسلمين غير اهل مكة من مشركي العرب واتحدوا عليهم
مع الاعداء امر الله بقتال المشركين كافة بقوله في سورة التوبة (وقاتلوا
المشركين كافةً كما يقاتلونكم كافةً) وبذلك صار الجهاد عاماً لكل
من ليس له كتاب من الوثنيين وهذا مصداق قوله عليه السلام (امرت

xiii, no. 31.

ii. 136.

ix 36.

(١) آية مدنية في ضمن سورة معظمها مكي

ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم
واموالهم الاجمها وحسابهم على الله) ولما وجد المسلمون من اليهود
خيانة للعهد حيث انهم ساعدوا المشركين في حروبهم امر الله بقتالهم
بقوله في سورة الانفال (وَاِمْا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَاَنْبِذْ اليهم على
سواءٍ اِنَّ اللهَ لا يَجِبُ الخائنين) وقتالهم واجب حتى يدينوا او يعطوا
الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ليأمن المسلمون جانبهم وصار قتال رسول
الله للاعداء على هذه المبادئ الآتية

٤٤٤

٤٥٥

٤٦٥

↓

(١) اعتبار مشركي قريش محاربين لانهم بدأوا بالعدوان فصارت
للمسلمين قتالهم ومصادرة تجارتهم حتى يأذن الله بفتح مكة او تعقيد
هدنة وقتية بين الطرفين

(٢) متى رُوي من اليهود خيانة وتحيز للمشركين قوتلوا حتى
يومن جانبهم بالنفي أو القتل

(٣) متى تعدت قبيلة من العرب على المسلمين أو ساعدت
قريشاً قوتلت حتى تدين بالاسلام

(٤) كل من بدأ بعداوة من أهل الكتاب كالنصارى قوتل
حتى يذعن بالاسلام او يعطى الجزية عن يد وهو صاغر

(٥) كل من اسلم فقد عصم دمه وماله الا بجمعه والاسلام يقطع
ما قبله

↑

وقد انزل الله في القرآن الكريم كثيراً من الآي تحريضاً على

الاقدام في قتال الاعداء وتبعيداً عن الفرار من الزحف فقال في
 الموضوع الاول في سورة النساء (فليقاتل في سبيل الله الذين يَشْرُونَ
 الحياة الدنيا بالآخرة ومن يُقاتل في سبيل الله فيقتل او يَغِيبُ
 فسوف نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) وقال في الموضوع الثاني في سورة الانفال
 (يا ايها الذين آمنوا اذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْاَدْبَارَ
 وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمئذٍ ذُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ
 بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئسَ الْمَصِيرُ)

iv. 76

viii. 15

— — — — —
 ❦ بدء القتال ❦ — — — — —

كانت عادة قريش ان تذهب بتجارها الى الشام لتبيع وتبتاع
 ويسمى الركب السائر بهذه التجارة عيراً وكان يسير معها لحراستها
 كثير من اشراف القوم وسرّاتهم ولا بدّ لوصولهم الى الشام من المرور
 على دار الهجرة فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصادرتجارهم
 ذاهبة وآية ليكون في ذلك عقاب لمشركي مكة حتى تضعف قوتهم
 المالية فيكون ذلك ادعي لخذلانهم في ميدان القتال الذي لا بدّ ان
 يكون لان قريشاً لم تكن لتسكت عن سفه احلامهم وعاب عبادتهم
 خصوصاً وهم قِدوة العرب في الدين

سُورَةُ الْاَنْعَامِ ٦

احلام com accithas ple. of حِلْم = dream or of حِلْم = aristocratic unpopularity of omph
 here it divides up to the latter and not to their dream of riches from their commerce.

سرية (١)

ففي شهر رمضان ارسل عمه حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين رجلاً من المهاجرين وعقد له لواء ايض حمله ابو مرثد حليف حمزة ليعترض عيراً لقريش آية من الشام فيها ابو جهل وثلاثمائة من اصحابه المشركين فسار حمزة حتى وصل ساحل البحر من ناحية العيص (٢) فصادف العير هناك فلما تصافوا للقتال حجز بين الفريقين مجدى بن عمرو الجهني فأطاعوه وانصرفوا وشكر عليه السلام مجدياً على عمله لما كان من قلة عدد المسلمين وكثرة عدوهم

وفي شوال ارسل عبدة بن الحارث ابن عم حمزة في ثمانين ركباً من المهاجرين وعقد له لواء ايض حمله مسطح بن اثانة ليعترض عيراً لقريش فيها مائتا رجل فوافوا العير ببطن رابع (٣) فكان بينهم الرمي بالنبل ثم خاف المشركون ان يكون للمسلمين كمين فانهمزوا ولم يتبعهم المسلمون وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن الاسود وعُتْبة بن غزوان وكانا قد اسلما وخرجا ليلحقا بالمسلمين

(١) السرية قطعة من الجيش وتريد بها كل غزاة لم يكن فيها رسول الله والتي كان فيها تسمى غزوة

(٢) عرض من اعراض المدينة اي ناحية منها

(٣) واد بين الحرمين قرب البحر

وفيات

وفي هذه السنة توفي من المهاجرين عثمان بن مظعون اخو رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الرضاع اسلم قديماً وهاجر المهجرتين ولما
دفن أمر عليه السلام بأن يرش قبره بالماء ووضع على قبره حجراً وقال
أتعلم به قبر أخي وأدفن اليه من مات من أهلي وهذا كان القصد من
وضع الاحجار على المقابر لاما يقصده أهل العصور الاخيرة من تشييد
الهياكل على القبور وتصويرها بصور ترى في عين الناظر كالاصنام
ليأتي أقارب الميت ويصنعوا عندها احتفالات كثيراً ما تشبه ما كان
يفعله مشركو مكة عند معابدهم ومن العبت فعل شيء لم يفعله رسول
الله مما يتعلق بأموال الآخرة

ومات من الانصار أسعد بن زرارة أحد النقباء الاثني عشر كان
رضي الله عنه تقيب بني النجار ولما مات اختار رسول الله نفسه للنقابة
عليهم لان ابن اخت القوم منهم و مات أيضاً البراء بن معرور أحد
النقباء وهو الذي كان يتكلم عن القوم في العقبة الثانية و مات من
مشركي مكة في هذه السنة الوليد بن المغيرة ولما احتضر جزع فقال له
أبو جهل ما جزعك ياعم فقال والله ما بي من جزع من الموت ولكن
أخاف أن يظهر دين ابن أبي كبشة بمكة فقال أبو سفيان لا تخف اني

ضامن أن لا يظهر وفيها ايضاً مات العاصي بن وائل السهمي وقد كفى
الله المسلمين شر هذين الشقيين

— السنة الثانية غزوة ودّان —

ولاثنتي عشرة ليلة خلت من السنة الثانية خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم من المدينة بعد أن استخلف عليها سعد بن عبادة ليعترض
عيراً لقريش فسار حتى بلغ ودّان (١) وكان يحمل لواءه عمه حمزة ولم
يلتق هناك حرباً لان العير كانت قد سبقته وفي هذه الغزوة صالح بني
ضمرة على انهم آمنون على انفسهم ولهم النصر على من رامهم وان عليهم
نصرة المسلمين اذا دعوا ثم رجع الى المدينة بعد مضي خمس عشرة ليلة

— غزوة بواط —

Yaqut. i. 750.

ولم يمض على رجوعه غير قليل حتى بلغه ان عيراً لقريش آية
من الشام فيها أمة بن خلف ومائة من قريش وألفان وخمسمائة بعير
فسار اليها في مائتين من المهاجرين وذلك في ربيع الاول وكان يحمل
لواءه سعد بن ابي وقاص فسار حتى بلغ بواط (٢) فوجد العير قد فاتته

(١) قرية بين مكة والمدينة بينها وبين الابداء ستة أميال

(٢) جبال جبينه على ابراد من المدينة جهة ينبع

فرجع ولم يلق كيداً وذلك كله لما كان يأخذه المشركون من الخدر على أنفسهم والاجتهاد في تعمية أخبارهم عن أهل المدينة

— غزوة العشيرة —

وأعقب رجوعه عليه السلام خروج قريش بأعظم عير لها فقد جمعوا فيها أموالهم حتى لم يبق بمكة قرشي أو قرشية لها متقال فصاعداً إلا بعث به في تلك العير وكان يرأسها أبو سفيان بن حرب ومعه بضعة وعشرون رجلاً فخرج لها الرسول في مجادبي الأولى ومعه مائة وخمسون من المهاجرين واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد وحمل لواءه عمه حمزة ولم يزل سائراً حتى بلغ العشيرة فوجد العير قد مضت وحالف عليه السلام في هذه الغزوة بني مدلج وحلفاءهم ثم رجع عليه السلام إلى المدينة ينتظر هذه العير حينما ترجع

— غزوة بدر الأولى —

وبعد رجوعه عليه السلام بقليل جاء كرز بن جابر الفهري وأغار على سرح المدينة وهرب فخرج الرسول في طلبه واستخلف على المدينة زيد بن حارثة الأنصاري وحمل لواءه علي بن أبي طالب فسار حتى بلغ سفوان (١) وفاته كرز فلم يلق حرباً وتسمى هذه الغزوة بدر الأولى

(١) واد من ناحية بدر

— سرية —

وفي رجب من هذه السنة أرسل سرية عدتها ثمانية رجال يرأسها عبد الله بن جحش واعطاه كتاباً محتوماً لا يفضّه الا بعد أن يسير يومين ثم ينظر فيه فسار عبد الله يومين ثم فتح الكتاب فاذا فيه (اذا نظرت كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم) وانما لم يخبرهم عليه السلام بمقصدهم وهم بالمدينة حذراً من شيوخ الخبر فيدل عليهم أحد الاعداء من المنافقين أو اليهود فترصد لهم قريش ولا يخفى أن عدد السرية قليل لا تمكنه المقاومة ثم سار عبد الله رضي الله عنه وفي اثناء السير تخلف سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان لانهما اضلاً بغيرهما الذي كانا يعتقبانه وسار الباقون حتى وصلوا نخلة فمرت بهم غير قرشية تريد مكة فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبد الله بن المغيرة واخوه نوفل والحكم بن كيسان فأجمع المسلمون امرهم على ان يحملوا عليهم ويأخذوا ما معهم فحملوا عليهم في آخر يوم من رجب فقتلوا عمرو بن الحضرمي واسروا عثمان والحكم وهرب نوفل واستاقوا العير وهي اول غنيمة غنمها المسلمون من اعدائهم قريش ثم رجعوا ولم يتمكن المشركون من اللحاق بهم فلما قدموا المدينة وشاع انهم قاتلوا في الاشهر الحرم وعابتهم قريش واليهود بذلك عنفهم المسلمون وقال لهم عليه السلام ما امرتكم بقتال

الامة الاسلامية وكان عليه السلام قبل ذلك يصوم ثلاثة ايام من كل شهر والصيام من دعائم هذا الدين والفرائض التي بها يتم النظام فان الانسان مجبول على حب نفسه والسعي فيما يعود عليها بالنفع الخاص تاركاً ما وراء ذلك من حاجات الضعفاء والمساكين فلا بد من وازع يزعجه لحاجات قوم اقعدهم قواهم عن ادراك حاجاتهم ولا اقوى من ذوق قوارص الجوع والعطش اذ بهما تلين نفسه ويتهذب خلقه فيسهل عليه بذل الصدقات

— — — — —
﴿ ○ صدقة الفطر ○ ﴾

ولذلك اوجب الشارع الحكيم عقب الصوم زكاة الفطر فترى الانسان يبذلها بسخاءٍ ونفس ومحنة خالصة

— — — — —
﴿ ○ زكاة المال ○ ﴾

وفي هذا العام فرضت زكاة الاموال وهذه هي النظام الوحيد الذي به يأكل الفقراء والمساكين من اخوانهم الاغنياء بلا ضرر على هؤلاء فاذا بلغت الدنانير عشرين أو الدراهم مائتين وحال عليها الحول وجب عليك أن تؤدّي ربع عشرها اي اثنين ونصفاً في كل مائة وما زاد فبحسابه واذا بلغت الشياه اربعين والبقر ثلاثين والابل خمساً وحال عليها الحول وجب عليك كذلك ان تؤدّي منها جزءاً

مخصوصاً حدده الشارع ومثلها عروض التجارة ومحصولات الزراعة
كل هذا يقبضه الامام ويوزعه على مستحقه من الفقراء والمساكين
وبقية المذكورين في آية الصدقة (انما الصدقات للفقراء والمساكين
والعالمين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين) وفي سبيل الله
وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) واللييب العاقل البعيد
عن التعصب يحكم لاول نظرة ان هذا النظام مع عدم اضارته بالاغنياء
مقلل لمصايب الفقر التي الجأت كثيراً من فقراء الامم ان يخالفوا نظام
دولهم ويؤسسوا مبادئ تقويض العمران وتداعي الامم كما يفعله
الاشتراكيون وغيرهم

ix. 60.
i.e. those who are
in bondage (and) to
their enemies. Those
who are in bondage
socially by debt.

— o o o —
غزوة بدر الكبرى

لم يطل العهد بتلك العير العظيمة التي خرج لها عليه السلام وهي
متوجهة الى الشام فلم يدركها ولم يزل مترقباً رجوعها فلما سمع برجوعها
ندب اليها اصحابه وقال هذه عير قريش فاخرجوا اليها لعل الله ان
ينفلكموها فاجاب قوم وتقل آخرون لظنهم ان الرسول عليه السلام لم
يرد حرباً فانه لم يحتفل بها بل قال من كان ظهره حاضراً فليركب معنا
ولم ينتظر من كان ظهره غائباً فخرج لثلاث ليال خلون من رمضان بعد
ان ولي على المدينة عبد الله ابن ام مكتوم وكان معه ثلثمائة وثلاثة
عشر رجلاً مائتان ونيف واربعون من الانصار والباقيون من المهاجرين

ومعهم فرسان وسبعون بعيراً يعتقونها والحامل للواء مُصعب بن عمير
العديري * ولما علم أبو سفیان بخروج الرسول صلى الله عليه وسلم استأجر
راكباً ليأتي قريباً ويخبرهم الخبر فلما علموا بذلك ادركتهم حَمِيَّتُهُمْ
وخافوا على تجارتهم ففروا سراعاً ولم يتخلف من أشرفهم الا أبو لهب
ابن عبدالمطلب فانه أرسل بدله العاص بن هشام بن المغيرة واد أمية
ابن خلف ان يتخلف لحديث خذته اياه سعد بن معاذ حينما كان معتمراً
بعد الهجرة بقليل حيث قال كما رواه البخاري سمعت من رسول الله
يقول انهم قاتلوك قال بمكة قال لا أدري ففرغ لذلك وحلف ان لا
يخرج فعابه ابو جهل ولم يزل به حتى خرج قاصداً الرجوع بعد قليل
ولكن ارادة الله فوق كل ارادة فان مَنِيَّتُهُ ساقته الى حتفه رغم انه
وكذلك عزم جماعة من الاشراف على القعود فغيب عليهم ذلك وبهذا
اجمعت رجال قريش على الخروج فخرجوا على الصعب والذلول امامهم
القَيْنَات يغنين بهجاء المسامين و (زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا
غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم) وقد ضرب الله عمل الشيطان
هذا مثلاً يعتبر به ذوو الرأي من بعدهم فقال في سورة الحشر (كمثل
الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني
اخاف الله رب العالمين) وهكذا كان عمله في هذه الواقعة (فلما تراءت
الفتتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون
اني اخاف الله والله شديد العقاب) وكان عدة من خرج من المشركين

viii. 50

viii. 16

viii. 50

تسعمائة وخمسين رجلا معهم مائة فرس وسبعائة بعير (اما) رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن يعرف شيئاً مما فعله المشركون ولم يكن خروجه الا للغير فعسكر ببيوت السقياً خارج المدينة واستعرض الجيش فرد من ليس له قدرة على الحرب ثم ارسل اثنين يتجسسان الاخبار عن العير ولما بلغ الروحاء (١) جاءه الخبر بمسير قریش لمنع عيرهم وجاءه مخبراه بأن العير ستصل بدرأ غدا او بعد غد فجمع عليه السلام كبراء الجيش وقال لهم (ايها الناس ان الله قد وعدني احدى الطائفتين انها لكم العير او النفير) فتبين له عليه السلام ان بعضهم يريدون غير ذات الشوكة وهي العير ليستعينوا بما فيها من الاموال فقد قالوا هلا ذكرت لنا القتال فنستعد وجاء مصداق ذلك قوله تعالى في سورة الانفال (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) ثم قام المقداد ابن الاسود رضي الله عنه فقال يا رسول الله امض لما امرك الله فوالله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اذهب انت و ربك فقاتل انا ههنا قاعدون) ولكن اذهب انت و ربك فقاتل انا معكما مقاتلون والله لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فدعا له بخير ثم قال عليه السلام اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار لان بيعة العقبة ربما يفهم منها انه لا

Musn. 114, 132.

(١) موضع على ثلاثين او اربعين ميلا جنوب المدينة الغربى

تجب عليهم نصرته الا ما دام بين اظهرهم فان فيها يا رسول الله انا
برئ من ذمتك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت اليها فاننت في ذمتنا
نمنعك مما تمنع منه ابناءنا ونساءنا فقال سعد بن معاذ سيد الاوس كانك
تريدنا يارسول الله فقال اجل فقال سعد قد آمنتك وصدقناك واعطيناك
عهدنا فامض لما امرك الله فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر
فخضته لنخوضنه معك وما نكره ان تكون تلقى العدو بنا غداً انا لصبر
عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر
على بركة الله فأشرق وجهه عليه السلام وسر بذلك وقال كما في رواية
البخاري (أبشروا والله لكأني أنظر الى مصارع القوم) فعلم القوم من
هذه الجملة ان الحرب لا بد حاصلة وحقبة حصلت فان ابا سفيان لما
علم بخروج المسلمين له ترك الطريق المسلوكة وسار متبعاً ساحل البحر
فتجا وارسل الى قریش يعاينهم بذلك ويشير عليهم بالرجوع فقال أبو
جهل لا ترجع حتى نحضر بدرًا (١) فقيم فيه ثلاثاً نحر الجزر ونظم
الطعام ونسقى الخمر وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابونا أبدأ فقال
الاخنس بن شريق الثقفي لبني زهرة وكان حليفاً لهم ارجعوا يا قوم فقد نحى
الله أموالكم فرجعوا ولم يشهد بدرًا زهري ولا عدوي ثم سار الجيش

(١) محل بين مكة والمدينة وهو الى المدينة اقرب في الجنوب
الغربي منها على الطريق السلطاني وكان به سوق يعقد كل سنة ثمانية ايام

حتى وصلوا وادي بدر فنزلوا عُدوته القصى (١) عن المدينة في ارض
سهلة لينة اما جيش المسلمين فانه لما قارب بدرًا أرسل عليه السلام علي
ابن ابي طالب والزبير بن العوام ليعرفا الاخبار فصادفا سقاة لقريش
فيهم غلام لبني الحجاج و غلام لبني العاص السهميين فأتيا بهما والرسول
عليه السلام قائم يصلي ثم سألاهما عن انفسهما فقالا نحن سقاة لقريش
بعثونا نسقيهم الماء فضر باهما لانهما ظننا ان الغلامين لابي سفيان فقال
الغلامان نحن لابي سفيان فتركاهما ولما اتم الرسول عليه السلام صلته
قال اذا صدقاكم ضربتموها واذا كذباكم تركتموها صَدَقَا والله انهما
لقريش ثم قال لهما اخبراني عن قريش قالا هم وراء هذا الكتيب فقال
لها كم هم فقالا لا ندري قال كم ينحرون كل يوم قالا يوماً تسعاً ويوماً
عشراً قال القوم ما بين التسعمائة والالف ثم سألها عن في النفير من
أشراف قريش فذكر له عددا عظيما فقال عليه السلام لاصحابه هذه
مكة قد أتت اليكم أفلاذ كبدها (٢) ثم ساروا حتى نزلوا بعدوة الوادي
الدينا من المدينة بعيدا عن الماء في ارض سبخة فاصبح المسلمون عطاشاً
بعضهم جُنِبَ وبعضهم مُحْدَثٌ فحذتهم الشيطان بوسوسته ولولا فضل
الله عليهم ورحمته لثبت عزائمهم فانه قال لهم ما ينتظر المشركون منكم
الا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤوا

(١) عدوة الوادي شاطئه (٢) قطع كبدها

جُنِبَ - means ritually polluted.
مُحْدَثٌ - having voided urine.

فَأَرْسَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْغَيْثَ حَتَّىٰ سَالَ الْوَادِي فَشَرَبُوا وَاتَّخَذُوا الْحِيَاضَ عَلَىٰ
 عُدُوَّةِ الْوَادِي وَاعْتَسَلُوا وَتَوَضَّؤْا وَمَاؤُا الْاَسْقِيَّةِ وَلَبَدَتِ الْاَرْضُ حَتَّىٰ
 ثَبَتَتْ عَلَيْهَا الْاَقْدَامُ اَعْلَىٰ حَيْثُ اِنْ كَانَ هَذَا الْمَطْرُ مَصِيْبَةً عَلَى الْمَشْرِكِيْنَ
 فَانْهَ وَحَلَّ الْاَرْضُ حَتَّىٰ لَمْ يَعُوْدُوا يَقْدِرُوْنَ عَلَى الْاِرْتِحَالِ وَمَصْدَقُ هَذَا
 قَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِي سُوْرَةِ الْاِنْفَالِ (وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ لِيَطَهَّرَ بِهٖ
 وَيُذِيْهَبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَيُرِيْبَطَ عَلَىٰ قُلُوْبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهٖ الْاَقْدَامَ)
 وَقَدْ اَرَى اللَّهُ رَسُوْلَهُ فِي مَنَامِهِ الْاَعْدَاءَ (كَمَا اَرَاهُمُوْهُ) وَقَدْ التَّقَاءُ قَلِيْلِي
 الْعِدَّةُ كَيْلًا يَفْشَلُ الْمُسْلِمُوْنَ وَيَقْضِي اللَّهُ اَمْرًا كَانَ مَفْعُوْلًا. قَالَ تَعَالَىٰ
 فِي سُوْرَةِ الْاِنْفَالِ (اِذْ يَرِيْكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيْلًا وَلَوْ اَرَاكُمْ كَثِيْرًا
 لَفَشَلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْاَمْرِ وَلٰكِنْ اِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ اِنَّ اللَّهَ عَالِمُ بَدَاةِ الصُّدُوْرِ
 وَاِذْ يَرِيْكُوْهُمُ اِذْ التَّقِيْمُ فِيْ اَعْيُنِكُمْ قَلِيْلًا وَيَقْلَقُكُمْ فِيْ اَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ
 اَمْرًا كَانَ مَفْعُوْلًا وَاِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْاُمُوْرُ) ثُمَّ سَارَ جِيْشُ الْمُسْلِمِيْنَ حَتَّىٰ
 نَزَلَ اَدْنَىٰ مَاءٍ مِنْ بَدْرٍ فَقَالَ لَهُ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْاَنْصَارِيُّ وَكَانَ
 مَشْهُوْرًا بِجُوْدَةِ الرَّأْيِ يَا رَسُوْلَ اللَّهِ اَهْذَا مَنَزَلٌ اَنْزَلَكُھُ اللَّهُ لَيْسَ لَنَا اِنْ
 تَقَدَّمَ عَنْهُ اَوْ تَاَخَّرَ اَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيْدَةُ فَقَالَ بَلْ هُوَ الرَّأْيُ
 وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيْدَةُ فَقَالَ يَا رَسُوْلَ اللَّهِ لَيْسَ لَكَ هَذَا بِمَنَزَلٍ فَانْهَضَ
 بِالنَّاسِ حَتَّىٰ تَاَتْيَ اَدْنَىٰ مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ فَانِيْ اَعْرَفَ غَزَاةَ مَائِهِ وَكَثْرَتَهُ
 فَنَزَلَهُ وَنَعُوْرًا مَا عَدَاهُ مِنَ الْاَبَارِ ثُمَّ نَبِيْ عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمَلُوْهُ مَاءً فَشَرَبَ
 وَلَا يَشْرَبُوْنَ فَقَالَ الرَّسُوْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَقَدْ اَشْرَتْ بِالرَّايِ وَنَهَضَ حَتَّىٰ

أتى أدنى ماء من القوم ثم أمر بالآبار التي خلفهم فغورت ليقطع أمل
المشركين في الشرب من وراء المساهين وبنى حوضاً على القلب الذي
نزل عليه ثم قال له سعد بن معاذ سيد الاوس يا نبي الله ألا نبي لك
عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلتقى عدونا فان أعزنا الله
تعالى وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وان كانت الاخرى
جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبي
الله ما نحن بأشد لك حباً منهم ولا أطوع لك منهم لهم رغبة في الجهادونية
ولو ظنوا انك تلتقي حرباً ما تخلفوا عنك انما ظنوا انها العير يمنعك الله
بهم ويناصحونك ويجاهدون معك فقال عليه السلام أو يقضي الله
خيراً من ذلك ثم بنى للرسول عريش فوق تل مشرف على ميدان
الحرب ولما اجتمعوا عدل عليه السلام صفوفهم منا كبهم متلاصقة
فصاروا كأنهم بنيان مرصوص ثم نظر لقريش فقال (اللهم هذه قريش
قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولاك اللهم فنصرك الذي
وعدتني به) وفي هذا الوقت وقع خلف بين رؤساء عسكر المشركين
فان عتبة بن ربيعة أراد أن يمنع الناس من الحرب ويحمل دم حليفه
عمرو ابن الحضرمي الذي قتل في سرية عبد الله بن جحش ويحمل
ما أصيب من غيره ودعا الناس الى ذلك فلما بلغ أبا جهل الخبر وسمه
بالجبن وقال والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وقبل ان تقوم
الحرب على ساقها خرج من صفوف المشركين الاسود بن عبد الاسد

ancient well

contract

الحزومي وقال أعاهد الله لا شر بن من حوضهم أولاً هدمته أولاً موتن
دوننه فخرج اليه حمزة بن عبد المطلب وضربه ضربة قطع بها قدمه
بنصف ساقه فوقع على ظهره فزحف على الحوض حتى اقتحم فيه لير
قسمه فاتبعه حمزة فقتله ثم وقف عليه السلام يحرّض الناس على الثبات
والصبر وكان فيما قال (وان الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به
الهم وينجي به من الغم) ثم ابتدأ القتال بالمبارزة فخرج من صفوف
المشركين ثلاثة نفر عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبه وابنه الوليد فطلبوا
أكفاهم فخرج اليهم ثلاثة من الانصار فقالوا لا حاجة لنا بكم انما
نريد أكفاهنا من بني عمنا فخرج لهم عليه السلام عبدة بن الحارث
ابن عبد المطلب للاول وحمزة بن عبد المطلب للثاني وعلي بن أبي طالب
لثالث فاما حمزة وعلي فقتلا صاحبيهما وأما عبدة وعتبة فاختلفا
بضربتين كلاهما جرح صاحبه فحمل رفيقا عبدة على عتبة فأجهز عليه
وحمل عبدة من بين الصفوف جريماً يسيل مخ ساقه واضجموه الى
جانب موقفه صلى الله عليه وسلم فأفرشه رسول الله قدمه الشريفة
فوضع خده عليها وبشره عليه السلام بالشهادة فقال وددت والله ان
أبا طالب كان حياً ليعلم اننا أحق منه بقوله

ونسامه حتى نضرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وبعد انقضاء هذه المبارزة وقف عليه السلام بين الصفوف يعدلها
بقتضيب في يده فمر بسواد بن عَزِيَّة حليف بني النجار وهو خارج من

الجمع وولوا الدُّبُرَ وتبعهم المساهون يقتلون ويأسرون فقتل من
المشركين نحو السبعين منهم من قریش عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد
ابن عتبة قتلوا مبارزة أول القتال وأبو البختری بن هشام والجراح
والد ابي عبيدة قتله ابنه بعد ان ابتعد عنه فلم يزدجر وقتل أمية بن
خلف وابنه علي اشترك في قتلها جماعة من الانصار مع بلال بن رباح
وعمار بن ياسر وقد سعيا في ذلك لما كان يفعله بهما أمية في مكة ومن
القتلى حنظلة بن ابي سفيان وابو جهل بن هشام أخيه فتيان صغيران من
الانصار لما كانا يسمعانه من انه كان شديد الايذاء لرسول الله واجهز
عليه عبد الله بن مسعود وقتل نوفل بن خويلد قتله علي بن ابي طالب
وقتل عبيدة والعاصي ولدا ابي احيحة سعيد بن العاص بن أمية وقتل
كثيرون غيرهم اما الاسرى فكانوا سبعين ايضاً قتل منهم عليه السلام
وهو راجع عقبه بن ابي معيط والنضر بن الحارث اللذين كانا بمكة
من اشد المستهزئين

10. حنظلة بن ابي سفيان

وقد امر عليه السلام بالقتلى فقتلوا من مصارعهم التي كان الرسول
عليه السلام اخبر بها قبل حصول الموقعة الى قليب بدر لانه عليه
السلام كان من سننه في مغازيه اذا مرَّ بحقيقة انسان امر بها فدفت
لا يسأل عنه مؤمناً او كافراً ولما التي عتبة والد ابي حذيفة احد السابقين
الى الاسلام تغير وجه ابنه ففطن الرسول عليه السلام لذلك فقال
لعلك دخلك من شأن ابيك شيء فقال لا والله ولكني كنت اعرف

من ابي رايًا وحلمًا وفضلاً فكنت ارجو ان يهديه الله للاسلام فلما
رأيت ما مات عليه حزني ذلك فدعاه الرسول عليه السلام بخير ثم
امر عليه السلام براحته فشد عليها حتى قام على شفة القليب الذي رمي
فيه المشركون فجعل يناديهم بأسمائهم واسماء آبائهم يا فلان ابن فلان
ويا فلان ابن فلان ايسرکم انکم کتم اطعمم الله ورسوله فاننا قد وجدنا
ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربکم حقاً فقال عمر يا رسول الله
ما تكلم من اجساد لا ارواح فيها فقال والذي نفس محمد بيده ما اتم
بأسمع لما اقول منهم وتقول عائشة رضي الله عنها انما قال انهم الآن
ليعلمون ان ما كنت اقول لهم حق ثم قرأت انك لا تسمع الموتى
وما انت بسمع من في القبور تقول يعلمون ذلك حينما تبوؤوا مقاعدهم
من النار (رواه البخاري) ثم ارسل عليه السلام المبشرين فأرسل
عبدالله بن رواحة لاهل العالية (١) وارسل زيد بن حارثة لاهل السافلة
راكباً على ناقه رسول الله وكان المنافقون والكفار من اليهود قد ارجفوا
بالرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين عادة الاعداء في اذاعة الضراء
يقصدون بذلك فتنة المسلمين فجاء أولئك المبشرون بما سر أهل المدينة
وكان ذلك وقت انصرفهم من دفن رقية بنت رسول الله وزوج
عثمان ثم قفل رسول الله راجعاً. وهنا وقع خلف بين بعض المسلمين

(١) قرى بظاهر المدينة وهي العوالي

xxvii 80/82

W. To spread about
announcing news.

في قسمة الغنائم فالشبان يقولون بأشرنا القتال فهي لنا خاصة والشيوخ يقولون كنا ردءاً لكم فنشارككم ولما كان هذا الاختلاف مما يدعو الى الضعف ويزرع في القلوب العداوة والبغضاء المؤدبين الى تشتت الشمل انزل الله حسماً لهذا الخلاف أول سورة الانفال (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فسطع على افئدتهم نور القرآن فتألفت بعد ان كادت تفترق وتركوا أمر الغنائم لرسول الله يضعها كيف شاء كما حكم القرآن قسمةا عليه السلام على السواء الراجل مع الراجل والفارس مع الفارس وادخل في الاسهام بعض من لم يحضر لامر كُتِبَ بِهِ وهم أبو لبابة الانصاري لانه كان محلفاً على أهل المدينة والحارث بن حاطب لان الرسول عليه السلام خلفه على بني عمرو بن عوف ليحقق أمراً بلغه والحارث بن الصمة وخوات بن جبير لانهما كسرا بالروحاء فلم يتمكننا من السير وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد لانهما ارسلنا يتجسسان الاخبار فلم يرجعا الا بعد انتهاء الحرب وعثمان بن عفان لان الرسول عليه السلام خلفه على ابنته رقية يمرضها وعاصم بن عدي لانه خلفه على اهل قباء والعالية وكذلك أسهم لمن قتل بيدروهم أربعة عشر منهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ابن هاشم الذي جرج في المبارزة الاولى فانه رضي الله عنه مات عند رجوع المسلمين من بدر ودفن بالصفراء ولما قارب عليه السلام المدينة

تلقته الولائد بالدفوف يقطن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
 وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
 أيها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع

← → ← → ← →
 ❖ أسرى بدر ❖

ولما دخلوا المدينة استشار عليه السلام أصحابه فيما يفعل بالأسرى
 فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله قد كذبوك وقتلوك وأخرجوك
 فأرى ان تمكنني من فلان لقريب له فأضرب عنقه وتمكن حمزة من
 أخيه العباس وعلياً من أخيه عقیل وهكذا حتى يعلم انه ليس في قلوبنا
 مودة للمشركين ما ارى ان تكون لك اسرى فأضرب اعناقهم هؤلاء
 صناديدهم وأمتهم وقادتهم وواقفه على ذلك سعد بن معاذ وعبد الله بن
 رواحة وقال ابو بكر يا رسول الله هؤلاء اهلك وقومك قد اعطاك الله
 الظفر والنصر عليهم ارى ان تستبقيهم وتأخذ الفداء منهم فيكون ما
 اخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى ان الله يهديهم بك فيكونوا لك
 عضداً فقال عليه السلام ان الله ليأين قلوب اقوام حتى تكون الين من
 اللين وان الله ليشدد قلوب اقوام حتى تكون اشد من الحجارة وان
 مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال (فمن تبعني فانه مني ومن عصاني
 فانك غفورٌ رحيم) وان مثلك يا عمر مثل نوح قال (رب لا تدّر على

الغريب

Xiv. 39

وذو

lxvi. 27. الارض من الكافرين دياراً ورأى عليه السلام رأى أبي بكر بعد
ان مدح كلاً من الصاحبين لان الوجهة واحدة وهي اعزاز الدين
وخذلان المشركين ثم قال لاصحابه اتم اليوم عالة فلا يفلتن احد من
اسراكم الا بفداء وقد بلغ قريشاً ما عزم عليه الرسول في امر الاسرى
فناحت على القتلى شهراً ثم اشير عليهم من كبارهم ان لا يفعلوا كيلا
يبلغ محمداً واصحابه جزعهم فيشتموا بهم فسكتوا وصموا ان لا يبكوا
قتلام حتى يأخذوا بشارهم وتواصلوا فيما بينهم ان لا يعجلوا في طلب
الفداء لتلا يتغالى المسلمون فيه

— — — — —
الفداء

فلم يلتفت الى ذلك المطلب بن أبي وداعة السهمي وكان أبوه
(خَفِيَّةٌ) من الاسرى فخرج خَفِيَّةً حتى أتى المدينة وفدى أباه بأربعة آلاف
درهم وعند ذلك بعثت قريش في فداء أسراها وكان أربعة آلاف
الى الف درهم ومن لم يكن معه فداء وهو يحسن القراءة والكتابة أعطوه
عشرة من غلمان المدينة يعلمهم وكان ذلك فداءه (ومن) الاسرى
عمرو بن أبي سفيان ولما طلب من أبيه فداؤه أبي وقال والله لا يجمع
محمد بين ابني ومالي دعوه يمسكوه في أيديهم ما بدا لهم فينما أبو سفيان
بمكة اذ وجد سعد بن النعمان الانصاري معتمراً فعدا عليه فحبسه بابنه
عمرو ففضى قوم سعد الى رسول الله وأخبروه الخبر فأعطاهم عمراً ففكوا

به سعداً (ومن) الاسرى أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت
الرسول وكان عليه السلام قد أثنى عليه خيراً في مصاهرته فانه لما
استحكمت العداوة بين قريش ورسول الله بمكة طلبوا من أبي العاص
أن يطلق زينب كما فعل ابنا أبي لهب بابنتي الرسول فامتنع وقال والله
لا أفارق صاحبتى وما أحب ان لي بها امرأة من قريش ولما أسر
أرسلت زينب في فدائه قلادة لها كانت حلتها بها أمها خديجة ليلة عرسها
فلما رأى عليه السلام تلك القلادة رق لها رقة شديدة وقال لاصحابه
ان رأيتم ان تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها قلادتها فأفعلوا فرضى
الاصحاب بذلك فاطقه عليه السلام بشرط ان يترك زينب تهاجر
الى المدينة فلما وصل الى مكة امرها باللاحاق بأبيها وكان الرسول ارسل
لها من يأتي بها فاحتملوها (هذا) ولما اسلم ابو العاص بن الربيع قبيل
الفتح رد عليه امراته بالنكاح الاول (ومن) الاسرى سهيل بن عمرو
وكان من خطباء قريش وفصحائها وطالما آذى المسلمين بلسانه فقال
عمر بن الخطاب دعني يارسول الله انزع ثنيتي سهيل يدلع (١) لسانه
فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً فقال عليه السلام لا أمثل فيمثل
الله بي وان كنت نبياً وعسى أن يقوم مقاماً لا تدمه وقدم بفدائه مكرز
ابن حفص ولما ارتضى معهم على مقدار حبس نفسه بدله حتى جاء

(١) يخرج

*A. i. e. Uthra who had married from Kullthina
and Uthra who had married Abuqays. Both
these daughters were afterwards given to Uthman b. Affan wife.*

بالفداء . هذا وقد حقق الله خبر الرسول في سهيل فانه لما مات
عليه السلام أراد اهل مكة الارتداء كما فعل غيرهم من الاعراب فقام
سهيل هذا خطيباً وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله
أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله
فإن الله حي لا يموت ألم تعلموا أن الله قال (انك ميتٌ وانهم ميّتون)
وقال (وما محمدٌ إلاّ رسولٌ قد خلت من قبله الرسلُ أفأنت مات
أو قُتلَ انتلبتم على أعقابكم) ثم قال والله اني اعلم ان هذا الدين
سيمتدُّ امتداد الشمس في طلوعها فلا يغرّثكم هذا (يريد أبا سفيان)
من انفسكم فانه ليعلم من هذا الامر ما اعلم لكنّه قد ختم على صدره
حسد بني هاشم وتوكلوا على ربكم فان دين الله قائمٌ وكنّته تامه وان
الله ناصر من نصره وموّد دينه وقد جمعكم الله على خيركم (يريد أبا بكر)
وان ذلك لم يزد الاسلام الاقوة فمن رأيناه ارتدّ ضربنا عنقه فتراجع
الناس عما كانوا عزموا عليه وكان هذا الخبر من معجزات نبينا صلى
الله عليه وسلم (ومن) الاسرى الوليد بن الوليد افتكّه اخواه خالد
وهشام فلما افتدى ورجع الى مكة اسلم فقبل له هلالاً اسلمت قبل الفداء
فقال خفت ان يعدوا اسلامي خوفاً ولما اراد الهجرة منعه اخواه ففرّ
الى النبي في عمرة القضاء (ومن) الاسرى السائب بن يزيد وكان
صاحب الراية في تلك الحرب فدى نفسه وهو الجلد الخامس للامام
محمد بن ادريس الشافعي (ومنهم) وهب بن عمير الجمحي كان ابوه

ارتداد

xxxix. 31.

ii. 139.

p. 225.

Standard version

عمير شيطاناً من شياطين قريش كثير الايذاء لرسول الله جلس يوماً بعد انتهاء هذه الحرب مع صفوان بن امية يتذاكران مصاب بدر فقال عمير والله لولا دين عليّ ليس عندي قضاؤه وعيال اخشى عليهم الفقر بعدي كنت آتي محمداً فأقتله فان ابني اسير في ايديهم فقال له صفوان دينك عليّ وعيالك مع عيالي فأخذ عمير سيفه وشحذه وسمه وانطلق حتى قدم المدينة فيينا عمر مع نفر من المسلمين اذ نظر الى عمير متوشحاً سيفه فقال هذا الكلب عدو الله ما جاء الا بشر ثم قال للنبي عليه السلام هذا عدو الله عمير قد جاء متوشحاً سيفه فقال أدخله عليّ فأخذ عمر بحمائل سيفه وادخله فلما رآه عليه السلام قال أطلقه يا عمر ادن يا عمير فدنا وقال انعموا صباحاً فقال عليه السلام قد ابدلنا الله تحية خيراً من تحيتك وهي السلام ثم قال ما جاء بك يا عمير قال جئت لهذا الاسير الذي في ايديكم فاحسنوا فيه قال فما بال السيف قال قبحها الله من سيوف وهل اغنت عنا شيئاً فقال عليه السلام اصدقني ما الذي جئت له قال ما جئت الا لذلك قال عليه السلام كلا بل قعدت انت وصفوان في الحجر وقتلما كيت وكيت فأسلم عمير وقال كنا نكذبك بما تأتي به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا امر لم يحضره الا انا وصفوان فقال عليه السلام فقهوا اخاكم في دينه واقروه القرآن واطلقوا اسيره فعاد عمير الى مكة واظهر اسلامه (ومن) الاسرى ابو عزيز بن عمير اخو مصعب بن عمير مر به اخوه فقال للذي اسره شديدك

به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك فقال له يا اخي هذه وصايتك
بي . بعثت امه بفدائه اربعة آلاف درهم (ومن) الاسرى العباس
ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد خرج لهذه
الحرب مكرهاً ولما وقع في الاسر طلب منه فداء نفسه وابن اخيه عقيل
ابن ابي طالب فقال علام ندفع وقد استكرهنا على الخروج فقال عليه
السلام لقد كنت في الظاهر علينا فاخذت منه فدية نفسه وابن اخيه
ثم قال للرسول لقد تركتني فقير قريش ما بقيت قال كيف وقد تركت
لام الفضل اموالاً وقلت لها ان مت فقد تركتك غنية فقال العباس
والله ما اطلع على ذلك احد . وهذا العمل غاية ما يفعل من العدل
والمساواة فانه عليه السلام لم يعاف عمه مع علمه بأنه انما خرج مكرها
وقد عاف غيره جماعة تحقق له فقرهم فهكذا العدل ولا غرابة فذلك
أدب قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله
ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين) (ومن) الاسرى ابو عزة
الجمحي الشاعر كان شديد الابداء لرسول الله بمكة فلما اسر قال يا محمد
اني فقير وذو عيال وذو حاجة قد عرفتها فامن علي فمن عليه فضلاً منه

على ما

١٧ ١٣٤

—><— العتاب في الفداء —><—

ولما تم الفداء أنزل الله في شأنه (ما كان لني أن يكون له أسرى
حتى يشحن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله

viii. 68.

عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) ٧٥
نهى سبحانه عن اتخاذ الاسرى قبل الاتحان في قتل الذين يصدون
عن سبيل الله ويمنعون دين الله من الانتشار وعاب بعض المسلمين
على ارادة عرض الدنيا وهو الفدية ولو لاحكم سابق من الله أن لا يعاقب
مجتهداً على اجتهاده ما دام المقصد خيراً لكان العذاب ثم أباح لهم
الكل من تلك الفدية المبني أخذها على النظر الصحيح وهذا من
أقوى الأدلة على صدق نبينا عليه السلام فيما جاء به لانه لو كان من
عنده ما كان يعاتب نفسه على عمل عمله بناء على رأي كثير من الصحابة
وقد وعد الله الاسرى الذين يعلم في قلوبهم خيراً بأن يؤتيهم خيراً
مما أخذ منهم ويغفر لهم فقال (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى
ان يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله
غفور رحيم) وهذه الغزوة هي التي أعز الله بها الاسلام وقوى أهله
ودمغ فيه الشرك وخرب محله مع قلة المسلمين وكثرة عدوهم فهي آية
ظاهرة على عناية الله تعالى بالاسلام وأهله مع ما كان عليه العدو من
القوة بسوانغ الحديد والعدّة الكاملة والخييل المسومة والخيلاء الزائدة
ولذلك قال الله ممتنا على عباده بهذا النصر (ولقد نصركم الله بيدر
وأتم أدلة) اي قليل عددكم لتعلموا ان النصر انما هو من عند الله
فهي اعظم غزوات الاسلام اذ بها كان ظهوره وبعد وقوعها اشرق
على الافاق نوره فقد قتل فيما من صناديد قريش من كانوا الاعداء

٧٥٥. ٦٥.

نصها

١١٩. ١١١.

١١٩. ١١١.

الألداء للإسلام ودخل الرعب في قلوب العرب الآخرين فكانت
للمسلمين هيبة بها يكسرون الجيوش ويهزمون الرجال فلا جرم ان شكرنا
العلي الاعلى على هذه العناية واتخذنا يوم النصر في بدر وهو السابع
عشر من رمضان عيداً تذكّر فيه نعمة الله على رسوله وعلى المسلمين.

— غزوة قينقاع —

هذا واذا كان للشخص عدوان فانتصر على احدهما حرك ذلك
شجوا الآخر وهاج فواده فتبدوا بفضاؤه غير مكترث بعاقبة عدائه
وهذا ما حصل من يهود بني قينقاع عند تمام الظفر في بدر فانهم نبذوا
ما عاهدوا المسلمين عليه واظهروا مكنون ضمائرهم فبدت البغضاء من
افواههم وانتهكوا حرمة سيدة من نساء الانصار وهذا مما يدعوا المسلمين
للتحرز منهم وعدم اتمانهم في المستقبل اذا شبت الحرب في المدينة
بين المسلمين وغيرهم فانزل الله في سورة الانفال (واما تخافن من قوم
خيانة فأربئذ (١) اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين) فدعا عليه
السلام رؤساءهم وحذرهم عاقبة البغي ونكت العهد فقالوا يا محمد لا يغرنك
ما لقيت من قومك فانهم لا علم لهم بالحرب ولو لقيتنا لتعلمن انا نحن

(١) أي فاطرح اليهم العهد على طريق مستوق قصد بأن تظهر لهم
نبد العهود ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد لان ذلك خيانة
والذا قال (ان الله لا يحب الخائنين)

١١٠. ١٠. ١١.

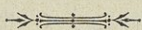
الناس وكانوا اشجع يهود فانزل الله في سورة آل عمران (قل للذين
كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فتيين
التقتا فقتلتا في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين
والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار) وعند
ذلك تبرأ من حلفهم عبادة بن الصامت أحد رؤساء الخزرج وتشبث
بالحلف عبد الله بن ابي وقال اني رجل اخشى الدوائر فانزل الله تعليما
للمسلمين في سورة المائدة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منهم ان الله لا يهدي
القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون
نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده
فيصبحوا على ما أسروا في انفسهم نادمين) وعندما تظاهر يهود قينقاع
بالعداوة وتحصنوا بحصونهم سار اليهم عليه السلام في نصف شوال من
هذه السنة يحمل لواءه عمه حمزة وخلف على المدينة أبا لبابة الانصاري
فحاصروهم خمس عشرة ليلة

٧٠. ٥٦.

جلاء قينقاع

ولما رأوا من أنفسهم العجز عن مقاومة المسلمين وأدركهم الرعب
سألوا رسول الله أن يخلى سبيلهم فيخرجوا من المدينة ولهم النساء
والذريرة والمسلمين الاموال فقبل ذلك عليه السلام ووكل بجلائهم

عبادة بن الصامت وأمهم ثلاث ليال فذهبوا الى اذرعات (١) ولم
يحل عليهم الحول حتى هلكوا كلهم وخمس عليه السلام أموالهم وأعطى
سهم ذوي القربى لبني هاشم ولبني المطلب دون بني أخويهما عبد
شمس ونوفل وما سئل عن ذلك قال انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء
واحد في الجاهلية والاسلام هكذا وشبك بين أصابعه



— غزوة السويق —

كان أبو سفيان متهيجاً لانه لم يشاهد بدر التي قتل فيها ابنه
وذوو قريبه فحلف ان لا يمس رأسه الماء حتى يغزو محمداً وليبر بقسمه
خرج بمائتين من أصحابه يريد المدينة ولما قاربها أراد ان يقابل اليهود
من بني النضير ليهيجمهم ويستعين بهم على حرب المسلمين فأتى سيدهم
حيي بن أخطب فلم يرض مقابلته فأتى سلام بن مشكم فأذن له واجتمع
به ثم خرج من عنده وأرسل رجالاً من قريش الى المدينة فحرقوا
بعض نخلها ووجدوا انصارياً قتلوه ولما علم بذلك رسول الله خرج أثرهم
في مائتين من أصحابه لحمس خلون من ذي الحجة بعد ان ولى على
المدينة بشير بن عبد المندر ولكن لم يلحقهم لانهم هربوا وجعلوا
يخفون ما يحملونه ليكونوا أقدر على الاسراع فالتقوا ماعهم من جرب
السويق فأخذه المسلمون ولذلك سميت هذه الغزوة بغزوة السويق

*parted branches
used for making a
quill.*

١ - حجاب - leather bag for carrying provisions.

(١) بلد بالشام

X

— ﴿٥﴾ صلاة العيد ﴿٥﴾ —

وفي هذا العام سن الله للعالم الاسلامي سنة عظيمة بها يتمكن أبناء
البلد الواحد من المسلمين ان يجددوا عهود الاخاء ويقووا عروة الدين
الوثقى وهي الاجتماع في يومي عيد الفطر وعيد الاضحى وكان عليه السلام
يجمع المسلمين في صعيد واحد ويصلي بهم ركعتين تضرعاً الى الله ان
لا يفصم عروتهم وان ينصرهم على عدوهم ثم يخطبهم حاضاً لهم على
الاتلاف ومذكراً لهم ما يجب عليهم لانفسهم ثم يصفح المسلمون
بعضهم بعضاً وبعد ذلك يخرجون لاداء الصدقات للفقراء والمساكين
حتى يكون السرور عاماً لجميع المسلمين فبعد الفطر زكاته وبعد الاضحى
تضحيته نسأله تعالى ان يؤلف قلوبنا ويوفقنا لاعمال سلفنا

— ﴿٥﴾ زواج علي بفاطمة عليهما السلام ﴿٥﴾ —

وفي هذه السنة تزوج علي بن ابي طالب وعمره احدى وعشرون
سنة بفاطمة بنت رسول الله وسنها خمس عشرة سنة وكان منها عقب
رسول الله بنو الحسن والحسين وزينب (وفيها) دخل عليه السلام
بعائشة بنت ابي بكر وسنها اذ ذاك تسع سنوات



— السنة الثالثة —

يا لله يُقْضَى عَلَى الشَّقِيِّ بِالشَّقَاوَةِ حَتَّى لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ فَيَتَّخِذُ
الغَدْرَ رِذَاءً وَالخِيَانَةَ شِعَارًا فَلَا يَنْجِحُ مَعَهُ إِلَّا أَرَاخَةَ الْعَالَمِ مِنْ شَرِّهِ هَذَا ^{teaching}
كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ الْيَهُودِيُّ عَظِيمُ بَنِي النَّضِيرِ أَعَمَّتْهُ عِدَاوَةُ الْمُسْلِمِينَ
حَتَّى خَلَعَ بَرْقِعَ الْحِيَاءِ وَصَارَ يَحْرُضُ قَرِيشًا عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ وَيَهْجُوهُ ^{can't}
بِالشَّعْرِ وَيَجْتَهِدُ فِي إِثَارَةِ الشُّحْنَاءِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَكَلَّمَا جَبْرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
كَسْرًا هَاضِمًا هَذَا الشَّقِيُّ بِمَا يَنْفَعُهُ مِنْ سَمُومِ لِسَانِهِ ^{can't}

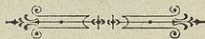
— قتل كعب بن الأشرف —

وَمَا اتَّصَرَ الْمُسْلِمُونَ بِيَدِ رَأْيِ الْأَسْرَى مَقْرَنِينَ فِي الْجِبَالِ خَرَجَ
إِلَى قَرِيشَ يَبْكِي قَتْلَاهُمْ وَيَحْرُضُهُمْ عَلَى حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَانْهَ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ
الْأَنْصَارِيُّ الْأَوْسِيُّ أَحَبُّ أَنْ أَقْتَلَهُ قَالَ نَعَمْ قَالَ أَنْتَ لَكِ بِهِ وَأُذُنٌ لِي
أَنْ أَقُولَ شَيْئًا أَمْكُنُ بِهِ فَأُذِنَ لَهُ ثُمَّ خَرَجَ وَمَعَهُ أَرْبَعَةٌ مِنْ قَوْمِهِ حَتَّى
أَتَى كَعْبًا فَقَالَ لَهُ أَنْ هَذَا الرَّجُلُ (يُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ) قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةَ
وَأَنَّهُ قَدْ عَانَا وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ اسْتَسْلَفْتُكَ قَالَ وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمْلِكَنَّهُ قَالَ أَنَا قَدْ
اتَّبَعْتَهُ فَلَا نَحْبُ أَنْ نَدْعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ وَقَدْ
أَرَدْنَا أَنْ تَسْلِفَنَا وَسَقَا أَوْ وَسَقَيْنَ قَالَ نَعَمْ وَلَكِنْ أَرَهْنُونِي قَالُوا أَيُّ شَيْءٍ

sure as surety

camel load

تريد قال ارهنوني نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وانت أجمل العرب
قال فارهنوني ابناءكم قالوا كيف نرهنك ابناءنا فيسب أحدهم فيقال
رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكن نرهنك الأمة يعني السلاح
فرضى فواعده ليلاً ان يأتيه فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة أخو كعب من
الرضاع وعباد بن بشر والحارث بن أوس وابو عبس بن جبر وكلهم
اوسيون فناده محمد بن مسلمة فاراد ان ينزل فقالت له امرأته ابن
تخرج الساعة وانك امرؤ تحارب فقال انما هو ابن اخي محمد بن مسلمة
ورضيبي ابو نائلة ان الكريم لو دعي الى طعنة لبيل لاجاب ثم قال محمد
لمن معه اذا جاءني فاني آخذ بشعره فاشمه فاذا رايتوني استمكنت من
راسه فاضربوه فنزل اليهم كعب متوشحاً سيفه وهو ينفخ منه ريح
المسك فقال محمد ما رايت كاليوم ريحاً اطيب اتأذن لي ان اشم راسك
قال نعم فشمه فلما استمكن منه قال دونكم فاقتلوه ففعلوا وراح الله
المسلمين من شر اعماله التي كان يقصدها بهم ثم اتوا النبي فأخبروه
وكان قتل هذا الشقي في ربيع الاول من هذا العام وكان عليه السلام
اذا راى من رئيس غدرًا ومقاصد سوء ومحبة لا تارة الحرب ارسل له
من يريجه من شره وقد فعل كذلك مع ابي عفاك اليهودي وكان مثل
كعب في الشر



— غزوة غطفان —

بلغ رسول الله ان بني ثعلبة ومحارب من غطفان تجمعوا برياسة
رئيس منهم اسمه دعثور يريدون الغارة على المدينة فاراد عليه السلام
ان يغل ايديهم كيلا يتمكنوا من هذا الاعتداء فخرج اليهم من المدينة
في اربعمائة وخمسين رجلا لثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول
وخلف على المدينة عثمان بن عفان ولما سمعوا بسير رسول الله هربوا
الى رؤس الجبال ولم يزل المسلمون سائرين حتى وصلوا ماء يسمى ذا
أمر فعمسكروا به وحدث انه عليه السلام نزع ثوبه يجففه من مطر بله
وارتاح تحت شجرة والمسلمون متفرقون فابصره دعثور فاقبل اليه بسيفه
حتى وقف على رأسه وقال من يمنعك مني يا محمد فقال الله فادركت الرجل
هية ورعب أسقطا السيف من يده فتناوله عليه السلام وقال لدعثور
من يمنعك مني قال لا أحد فعفا عنه فاسلم الرجل ودعا قومه للاسلام
وحول الله قلبه من عداوة رسول الله وجمع الناس لحر به الى محبته وجمع
الناس له ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا ما ينتجه حسن المعاملة
والبعد عن الغضاظة وغلظ القلب (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت
فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم
وشاورهم في الامر)

— غزوة بجران —

بلغه عليه السلام أن جمعاً من بني سليم يريدون الغارة على المدينة فسار اليهم في ثلاثمائة من أصحابه لست خلون من جمادى الأولى وخلف على المدينة ابن أم مكتوم ولما وصل الى بجران (١) تفرقوا ولم يلق كيذا فرجع

— سرية —

لما تيقنت قريش أن طريق الشام من جهة المدينة أغلق في وجه تجارتهم ولا يمكنهم الصبر عنها لان بها حياتهم أرسلوا عيرا الى الشام من طريق العراق وكان فيها جمع من قريش منهم أبو سفيان ابن حرب وصفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى فجاءت أخبارهم لرسول الله فإرسل لهم زيد بن حارثة في مائة راكب يترقبونهم وكان ذلك في جمادى الآخرة فسارت السرية حتى لقيت العير على ماء اسمه (القردة) بناحية نجد فاخذت العير وما فيها وهرب الرجال وقد خمس الرسول عليه السلام هذه العير حينما وصلت له

(١) موضع بناحية الفرع وهذا موضع من اضخم اعراض المدينة

غزوة أحد

لما أصاب قريشاً ما أصابها بيدر وأغلقت في وجوههم طرق التجارة
اجتمع من بقي من أشرفهم الى أبي سفيان رئيس تلك العير التي
جلبت عليهم المصائب وكانت موقوفة بدار الندوة ولم تكن سلمت
لاصحابها بعد فقالوا ان محمداً قد وترنا وقتل خيارنا وانا رضينا ان نترك
رج أموالنا فيها استعداداً لحرب محمد وأصحابه وقد رضي بذلك كل
من له فيها نصيب وكان ربحها نحواً من خمسين الف دينار فجمعوا لذلك
الرجال فاجتمع من قريش ثلاثة آلاف رجل ومعهم الاحابيش وهم
حلفاؤهم من بني المصطلق وبني الهون بن خزيمة ومعهم أبو عامر الراهب
الاسوي وكان قد فارق المدينة كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه عدد ممن هم على شاكلته وخرج معهم جماعات من أعراب كنانة
وتهمامة وقال صفوان بن أمية لابي عزة الشاعر الذي لا ينسى القارئ
ان الرسول من عليه بيدر واطلقه من غير فداء انك رجل شاعر فأعنا
بلسانك فقال اني عاهدت محمداً أن لا أعين عليه وأخاف ان وقعت
في يده مرة ثانية أن لا أنجو فلم يزل به صفوان حتى أطاعه وذهب
يستنفر الناس لحرب المسلمين ودعا جبير بن مطعم غلاماً حبشياً له
اسمه وحشي وكان رامياً قلما يخطيء فقال له اخرج مع الناس فان أنت
قتلت حمزة بعبي طعيمة فانت حر ثم خرج الجيش ومعهم القيان

والدفوف والمعازف والخمور واصطحب الاشراف منهم نساءهم كيلا
 ينهزموا ولم يزالوا سائرين حتى نزلوا مقابل المدينة بذي الخليفة . أما
 رسول الله عليه الصلاة والسلام فكان قد بلغه الخبر من كتاب بعث
 به اليه عمه العباس بن عبد المطلب الذي لم يخرج مع المشركين في هذه
 الحرب محتجاً بما أصابه يوم بدر ولما وصلت الاخبار باقتراب المشركين
 جمع عليه السلام أصحابه وأخبرهم الخبر وقال ان رأيتم أن تقيموا بالمدينة
 وتدعوهم حيث نزلوا فان هم أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا
 قاتلناهم فكان من رأيه شيوخ المهاجرين والانصار ورأى ذلك أيضاً
 عبد الله بن أبي أما الاحداث وخصوصاً من لم يشهد بدرًا منهم فأشاروا
 عليه بالخروج وكان من رأيهم حمزة بن عبد المطلب وما زال هؤلاء
 بالرسول حتى تبع رأيهم لانهم الاكثرون عدداً والاقوون جلدًا فصلى
 الجمعة بالناس في يومها لعشر خلون من شوال وحضهم في خطبتها على
 الثبات والصبر وقال لهم (لكم النصر ما صبرتم) ثم دخل حجرته
 ولبس عدته فظاهر بين درعين (١) وتقلد السيف وألقى الترس وراء
 ظهره ولما رأى ذوو الرأي من الانصار أن الاحداث استكرهوا الرسول
 على الخروج لاموهم وقالوا ردوا الامر لرسول الله فما أمر ائتمرنا فلما

(١) أي لبس درعاً فوق درع وهما ذات الفضول وفضة التي

أصابها من بني قينقاع

خرج عليه السلام قالوا يارسول الله تتبع رأيك فقال ما كان لني لبس
سلاحه أن يضعه حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ثم عقد الالوية
فاعطى لواء المهاجرين لمصعب بن عمير ولواء الخزرج للحباب بن المنذر
ولواء الاوس لاسيد بن الحضير وخرج من المدينة بألف رجل فلما
وصلوا رأس الثنية نظر عليه السلام كتيبة كبيرة فسأل عنها فقبل هؤلاء
حلفاء عبد الله بن أبي من اليهود فقال انا لا نستعين بكافر على
مشرك وأمر بردهم لانه لا يأمن جانبهم من حيث لهم اليد الطولى في
الخيانة ثم استعرض الجيش فرد من استصغر وكان فيمن رد رافع بن
خديج وسمرة بن جندب ثم أجاز رافعاً لما قيل له انه رام فبكى سمرة وقال
لزوج أمه أجاز رسول الله رافعاً وردني مع اني أصرعه فبلغ رسول
الله الخبر فامرهما بالمصارعة فكان الغالب سمرة فاجازه ثم بات
عليه السلام محله ليلة السبت واستعمل على حرس الجيش محمد بن
مسلمة وعلى حرسه الخاض ذكوان بن قيس وفي السحر سار
الجيش حتى اذا كان بالشوط وهو بستان بين أحد والمدينة رجع
عبد الله بن أبي بثلاثمائة من أصحابه وقال عصاني وأطاع الولدان
فعلام تقتل أنفسنا فتبعهم عبد الله بن عمرو والجد جابر وقال يا قوم
اذكركم الله ان تحذلوا قومكم ونيكم قالوا (لو نعلم قتالاً لاتبعناكم) فقال
لهم أبعدم الله فسيغني الله عنكم نبيه . ولما فعل ذلك عبد الله بن أبي
همت طائفتان من المؤمنين ان تفشلا بنو حارثة من الخزرج وبنو

detachment.

بعضهم بعض

١٧٠٩٥

سَلِمَةٌ مِنَ الْاَوْسِ فَعَصَمَهَا اللَّهُ وَقَدْ افترق المسلمون فرقتين فيما يفعلون بالمتخذين قوم يقولون نقاتلهم وقوم يقولون نتركهم فأنزل الله في سورة النساء (فما لكم في المنافقين فئتين والله أَرْكَسَهُمْ بما كسبوا أتريدون أن هَدُوا مَنْ اضَلَّ اللهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) ثم سار الجيش حتى نزل الشعب من أحد (١) وجعل ظهره للجبل ووجهه للمدينة أما المشركون فنزلوا بطن الوادي من قبل أحد وكان على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى اليسرة عكرمة ابن أبي جهل وعلى المشاة صفوان بن أمية فجعل عليه السلام الزبير ابن العوام بازاء خالد وجعل آخرين أمام الباقيين واستحضر الرماة وكانوا خمسين رجلاً يرأسهم عبد الله بن جبير الانصاري فوقفهم خلف الجيش على ظهر الجبل وقال لا تبرحوا ان رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وان رأيتموهم ظهرنا علينا فلا تبرحوا ثم عدل عليه السلام الصفوف وخطب المسلمين وكان فيما قال (ألقى في قلبي الرُّوحَ الامين أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وان أبطأ عنها فاتقوا ربكم وأجملوا في طلب الرزق لا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد اذا اشتكى تداعي له سائر جسده) ثم ابتداء القتال بالمبارزة

(١) جبل شمال المدينة الشرقي

duel of individual combatants

فخرج رجل من صفوف المشركين فبرز له الزبير فقتله ثم حمل اللواء
طلحة بن ابي طلحة فقتله على فحمل اللواء اخوه عثمان فقتله حمزة فحمله
أخ لها اسمه ابو سعيد فرماه سعد بن أبي وقاص بسهم قضى عليه
فتناوب اللواء بعده اربعة من اولاد طلحة بن ابي طلحة وكلهم
يقتلون وخرج من صفوف المشركين عبد الرحمن بن ابي بكر يطلب
البراز فاراد ابوه ان يبرز له فقال له عليه السلام مَعْنًا بنفسك يا ابا
بكر ثم حملت خيالة المشركين على المسلمين ثلاث مرات وفي كلها
ينصّحهم المسلمون بالنبل فيتقهرون ولما التقت الصفوف وحيت
الحرب ابتداء نساء المشركين يضر بن بالدفوف وينشدن الاشعار تهيبجا
لعواطف الرجال وكان عليه السلام كما سمع نشيد النساء يقول (اللهم
بك احول وبك اصول وفيك اقاتل ^{اناملت} حسبي الله ونعم الوكيل) وفي
هذه المعركة قتل حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله سيد الشهداء
غافل ^{جاءه} وحشي وهو يجول في الصفوف وضر به بحربة لم تحط ^{جاءه} ثانيا بطنه
(هذا) ولما قتل حملة اللواء من المشركين ولم يقدر أحد على الدنو
منه ولوا الادبار ونساوهم بيكين ويولولن وتبعهم المسلمون يجمعون
الغنائم والاسلاب فلما رأى ذلك الرماة الذين يحمون ظهور ^{هـ}
المسلمين فوق الجبل قالوا مالنا في الوقوف من حاجة ونسوا امر السيد
الحكيم صلى الله عليه وسلم فذكرهم رئيسهم به فلم يلتفتوا وانطلقوا
يتهبون اما رئيسهم ثبت ومعه قليل منهم فلما رأى خالد بن الوليد

cavalry

take mawares

أحد رؤساء المشركين خلو الجبل من الرماة انطلق ببعض الجيش فقتل
من ثبت من الرماة وأتى المسلمين من ورأهم وهم مشتغلون بديانهم فلما
رأوا ذلك البلاء دهشوا وتركوا ما بأيديهم وانقضت صفوفهم واختلطوا
من غير شعور حتى صار يضرب بعضهم بعضاً ورفعت إحدى نساء
المشركين اللواء فاجتمعوا حوله وكان من المشركين رجل يقال له ابن
قمنة قتل مصعب بن عمير صاحب اللواء وأشاع ان محمداً قد قتل فدخل
الفسل في المسلمين حتى قال بعضهم علام تقاتل اذا كان محمد قد قتل
فارجعوا الى قومكم يؤمنوكم وقال جماعة اذا كان محمد قد قتل فقاتلوا عن
دينكم وكان من نتيجة هذا الفشل ان انهزم جماعة من المسلمين من
بينهم الوليد بن عقبة وخارجة بن زيد ورفاعة بن المعلى وعثمان بن عفان
وتوجهوا الى المدينة ولكنهم استحيوا أن يدخلوها فرجعوا بعد ثلاث
وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة منهم أبو طلحة
الانصاري استمر بين يديه يمنع عنه بجحفته وكان رامياً شديداً الرمي
فثر كنانته بين يدي رسول الله وصار يقول وجهي لوجهك فداء وكل
من كان ير ومعه كنانة يقول له عليه السلام انثرها لابي طلحة وكان
ينظر الى القوم ليرى ماذا يفعلون فيقول له أبو طلحة يا نبي الله بأبي
انت وامى لا تنظر يصيبك سهم من سهام القوم نخري دون تحرك
(ومن) ثبت سعد بن ابي وقص فكان عليه السلام يقول له ارم
سعد فذاك ابي وامى (ومنهم) سهل بن حنيف وكان من مشاهير

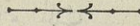
الرماة نضح عن رسول الله بالنبل حتى انفرج عنه الناس (ومنهم) ابو
دجانة سماك بن خرشة الانصاري تترس على رسول الله فصار النبل
يقع في ظهره وهو منحني حتى كثر فيه (وكان) يقاتل عن الرسول
زيادة بن الحارث حتى اصابته الجراح مقاتله فأمر به فأدنى منه ووسده
قدمه حتى مات (وقد) اصابه عليه السلام شدائد عظيمة تحملها بما
اعطاه الله من الثبات فقد اقبل ابي بن خلف يريد قتله فأخذ عليه
السلام الحربة ممن كانوا معه وقال خلوا طريقه فلما قرب منه ضربه
ضربة كانت سبب هلاكه وهو راجع ولم يقتل رسول الله غيره لاني
هذه الغزوة ولا في غيرها (وكان) ابو عامر الراهب قد حفر حفراً
وغطاها ليقع فيها المسلمون فوقع الرسول في حفرة منها فأغشى عليه
وخذشت ركبته فأخذ علي بيده ورفع له طلحة بن عبيد الله وهما ممن
ثبت حتى استوى قائماً فرماه عتبة بن ابي وقاص بحجر كسر ربا عيته
فتبعه حاطب بن ابي بلتعة فقتله وشج وجهه عليه السلام عبد الله بن
شهاب الزهري وجرحته وجتته بسبب دخول حلقتي المعفر فيهما من
ضربة ضرب به بها ابن قنينة غضب الله عليه فجاء ابو عبيدة وعالج الحلقتين
حتى نزعهما فكسرت في ذلك ثنيتاه وقال حينئذ عليه السلام كيف
يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فأنزل الله في سورة آل عمران (ليس
لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون) وكان
اول من عرف رسول الله بعد هذه الدهشة كعب بن مالك الانصاري

فنادى يامعشر المسلمين ابشروا فأشار اليه الرسول ان اصمت ثم سار بين سعد بن ابي وقاص وسعد بن عباد يريد الشعب ومعه جمع منهم ابو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير والحارث بن الصمت واقبل عليه اذ ذاك عثمان بن عبد الله بن المغيرة يقول اين محمد لا نجوت ان نجنا فعثر به فرسه ووقع في حفرة فمضى اليه الحارث بن الصمة وقتله ولما وصل الشعب جاءت فاطمة فغسلت عنه الدم وكان علي يسكب الماء ثم اخذت قطعة من حصير فاحرقتها ووضعتها على الجرح فاستمسك الدم ثم اراد عليه السلام ان يعلو الصخرة التي في الشعب فلم يمكنه القيام لكثرة ما نزل من دمه فحمله طلحة بن عبيد الله حتى اصعده فنظر الى جماعة من المشركين على ظهر الجبل فقال لا ينبغي لهم ان يعلونا اللهم لا قوة لنا الا بك ثم ارسل اليهم عمر بن الخطاب في جماعة فانزلوهم (وقد) اصاب المسلمين الذين كانوا يحوطون رسول الله كثير من الجراحات لان الشخص منهم كان يتلقى السهم خوفاً ان يصل للرسول فوجد بطلحة نيف وسبعون جراحة وشلت يده واصاب كعب ابن مالك سبع عشرة جراحة اما القتلى فكانوا نيفاً وسبعين منهم ستة من المهاجرين والباقيون من الانصار (ومن) المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير ومن الانصار حنظلة بن ابي عامر وعمر و ابن الجوح وابنه خلاد بن عمرو واخو زوجته والد جابر بن عبد الله فانت زوجة عمرو وهند بنت حرام وحملهم زوجها وابنها واخاها على

بعير لتدفعهم بالمدينة فتهى عليه السلام عن الدفن خارج احد فرجعوا
(وقتل) سعد بن الربيع وارسل عليه السلام من يأتبه بخبره فوجده
بين القتلى وبه رمق فقيل له ان رسول الله يسأل عنك فقال لمباغته قل
لقومي يقول لكم سعد بن الربيع الله الله وما عاهدتم عليه رسوله ليلة
العقبة فوالله مالكم عندي عذر (وقتل) انس بن النضر عم انس بن
مالك فانه لما سمع بقتل رسول الله قال يا قوم ما تصنعون بالبقاء بعده
موتوا على ما مات عليه اخوانكم فلم يزل يقاتل حتى قتل رضي الله عنه
ومثلت قریش بقتلى احد حتى ان هنداً زوج ابي سفيان بقرت بطن
حمزة واخذت كبده لتأكلها فلا كتبها ثم ارسلتها وفعالوا قريباً من ذلك
باخوانه الشهداء (ثم) ان ابا سفيان صعد الجبل ونادى باعلى صوته
نعمت فعال ان الحرب سجل يوم بيوم بدر وموعدكم بدر العام المقبل
ثم قال انكم ستجدون في قتلاكم مثلة لم أمر بها ولم تسؤني . ثم ان
المشركين رجعوا الى مكة ولم يرجعوا على المدينة وهذا مما يدل على
ان المسلمين لم ينهزموا في ذلك اليوم والا لم يكن بد من تعقب
المشركين لهم حتى يغيروا على مدينتهم . ثم تقعد عليه السلام القتلى
وحزن على عمه حمزة حزناً شديداً ودفن الشهداء كلهم بأحد كل شهيد
بثوبه الذي قتل فيه وكان يدفن الرجاين والثلاثة في لحد واحد
لما كان عليه المسلمون من التعب فكان يشق عليهم ان يحفروا لكل
شهيد حفرة (ولما) رجع المسلمون الى المدينة سخر بهم اليهود والمنافقون

وأظهروا ما في قلوبهم من البغضاء وقالوا لاخوانهم (لو كانوا عندنا ماتوا
وما قتلوا)

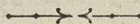
وهذا الذي ابتلى به المسلمون درس مهم لهم يذكركم بأمرين
عظيمين تركهما المسلمون فأصيبوا (أولهما) طاعة الرسول في أمره فقد
قال للرماة لا تبرحوا من مكانكم ان نحن نصرنا او قهرنا فعضوا أمره
ونزلوا (الثاني) ان تكون الاعمال كلها لله غير منظور فيها لهذه الدنيا
التي كثيراً ما تكون سبباً في مصائب عظيمة وهؤلاء ارادوا عرض
الدنيا والتهاوا بالغنائم حتى عوقبوا وفي ذلك انزل الله في سورة آل عمران
التي فصت غزوة احد (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسبونهم باذنه
حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتهم من بعد ما اراكم ما تحبون
منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم
ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين) فسبب هذا الابتلاء
التنازع فينبغي الاتفاق . والفشل فينبغي الثبات . والعصيان فينبغي طاعة
الرئيس . نسأل الله التوفيق



— غزوة حمراء الاسد —

لما رجع عليه السلام الى المدينة اصبح حذراً من رجوع المشركين
الى المدينة ليتمموا انتصارهم فنادى في أصحابه بالخروج خلف العدو

وان لا يخرج الا من كان معه بالامس فاستجابوا لله وللرسول من بعد
ما أصابهم القرح فمضوا جراحاتهم وخرجوا واللواء معقود لم يحل
فأعطاه علي بن أبي طالب وولى على المدينة بن أم مكتوم ثم سار الجيش
حتى وصلوا حمراء الاسد (١) وقد كان مآظنه الرسول حقاً فان المشركين
تلاوموا على ترك المسلمين من غير شن الغارة على المدينة حتى يتم لهم
النصر فاصروا على الرجوع ولكن لما بلغهم خروج الرسول في اثرهم ظنوا
انه قد حضر معه من لم يحضر بالامس والتقى الله الرعب في قلوبهم
فتمادوا في سيرهم الى مكة وظفر عليه السلام وهم في حمراء الاسد بأبي
عزة الشاعر الذي منّ عليه بيدر بعد ان تعهد ان لا يكون على المسلمين
فأمر بقتله فقال يا محمد اقلني وامن علي ودعني لبني واعطيك عهداً
ان لا أعود لمثل ما فعلت فقال عليه السلام لا والله لا تمسح عارضيك
بمكة تقول خدعت محمداً مرتين (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)
اضرب عنقه يازيد فضرب عنقه وفي هذا تأديب عظيم من صاحب
الشرع الشريف فان الرجل الذي لا يحترز مما اصيب منه ليس بعاقل
فلا بد من الحزم لاقامة دعائم الملك



(١) موضع على ثمانية اميال من المدينة في طريق مكة

— ❦ — حوادث ❦ —

في هذه السنة زوج عليه السلام بنته أم كلثوم لعثمان بن عفان بعد ان ماتت رقية عنده ولذلك كان يسمى ذا النورين (وفيها) تزوج عليه السلام حفصة بنت عمر بن الخطاب واما اخت عثمان ابن مظعون وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمي رضي الله عنه فتوفى عنها بجراحة اصابته بيدر (وفيها) تزوج عليه السلام زينب بنت خزيمة الهلالية من بني هلال بن عامر كانت تدعى في الجاهلية ام المساكين لرأفتها واحسانها اليهم وكانت قبله تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها باحد وهي اخت ميمونة بنت الحارث لامها (وفيها) ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما (وفيها) حرمت الخمر وكان تحريمها بالتدرج لما كان عليه العرب من المحبة الشديدة لها فيصعب اذاً تحريمها دفعة واحدة وكان ذلك التحريم تابعاً لحوادث تنفر عنها لان المنكر اذا اسند تحريمه لحادثة اقر الجميع على تقييحها كان ذلك اشد تأثيراً في النفس فاول ما بين فيها قوله تعالى في سورة البقرة (يستلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس) فمنفعة الميسر التصدق بربحه على الفقراء كما كانت عادة العرب ومنفعة الخمر تقوية الجسم ولما شر بها بعض المسلمين وخط في القراءة حرمت الصلاة على السكران فقال تعالى في سورة النساء (يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم

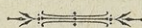
سكاري حتى تعلموا ما تقولون) ولما حدث من شربها اعتداء بعض المسلمين على اخوانهم حرمت قطعياً بقوله تعالى في سورة المائدة (يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب (١) والازلام (٢) رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون) وقد اجاب المسلمون على ذلك بقولهم اتهمينا فليجب المسلمون الآن

— o — السنة الرابعة — o —

في بدء السنة الرابعة بلغ رسول الله ان طليحة وسلمة ابني خويلد الاسديين يدعوان قومهما بني اسدٍ لحر به عليه السلام فدعا ابا سلمة ابن عبد الاسد المخزومي وعقد له لواء وقال له سر حتى تنزل ارض بني اسد بن خزيمه فأغر عليهم وارسل معه رجلاً فسار في هلال المحرم حتى بلغ قطناً (٣) فاغار عليهم فهربوا عن منازلهم ووجد ابو سلمة ابلا

- (١) هي حجارة تصب عليها دماء الذبح وتعبد
- (٢) هي القداح التي كانوا يستقسمون بها وفي قرن الخمر والميسر بالانصاب والازلام نهاية التنفير ولذلك قال عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن اه (٣) جبل لبني اسد بناحية فيد شرقي المدينة

وشاء فأخذها ولم يلق حرباً ورجع بعد عشرة أيام من خروجه (وفي)
بدنها أيضاً بلغه عليه السلام ان سفیان ابن خالد بن نبیح الهذلي المقيم
بعُرة (١) يجمع الجموع لحربه فأرسل له عبد الله بن أنيس الجهني
وحده ليقتله فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول حتى
يتمكن فأذن له وقال انتسب لخزاعة فخرج لخمس خلون من المحرم ولما
وصل اليه قال له سفیان ممن الرجل قال من خزاعة سمعت بجمعاك
لمحمد فجت لا كون معك فقال له اجل اني لفي الجمع له فشى عبد الله
معه وحديثه وسفيان يستحلي حديثه فلما انتهى الى خبائه تفرق الناس
عنه فجلس معه عبد الله حتى نام فقام وقتله ثم ارتحل حتى أتى المدينة
ولم يلحقه الطلب وكفى الله المؤمنين القتال



— سرية —

وفي صفر أرسل عليه الصلاة والسلام عشرة رجال عيوناً على
قريش مع رهط عضل والقارة الذين جاؤا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يطلبون من يفتقروا في الدين وأمر عليهم عاصم بن ثابت الانصاري
فخرجوا يسرون الليل ويكننون النهار حتى اذا كانوا بالرجيع (٢) غدر

(١) موضع قريب من عرفات

(٢) ماء لبني هذيل بين مكة وعسفان

بهم أولئك الرهط ودلو عليهم هذياناً قوم سفيان بن خالد الهذلي الذي قتله عبد الله بن أنيس ففروا اليهم فيما يقرب من مائتي رام واقتفوا آثارهم حتى قربوا منهم فلما أحس بهم رجال السرية لجؤا الى جبل هناك فقال لهم الاعداء انزلوا ولكم العهد ان لا تقتلكم فنزل اليهم ثلاثة اغتروا بعهدهم وقتلهم الباقون ومعهم عاصم غير راضين بالنزول في ذمة مشرك ولما رأى الثلاثة الذين ساموا عين الغدر امتنع احدهم فقتلوه واما الاثنان فباعوهما بمكة ممن كان له ثار عند المسلمين وهناك قتلا وقد قال أحدهما وهو خبيب بن عدي حين أرادوا قتله

ولست أبالي حين أقتل مساماً على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشأ يبارك على أوصال شلو ممزّع

سرية

في صفر وفد على رسول الله أبو عامر بن مالك ملاعب الاسنة وهو من رؤس بني عامر فدعاه عليه السلام الى الاسلام فلم يسلم ولم يبعد بل قال اني ارى امرك هذا حسناً شريفاً ولو بعثت معي رجالاً من اصحابك الى أهل نجد فدعوهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال عليه السلام اني أخشى عليهم أهل نجد فقال أبو عامر أنا لهم جار فأرسل معهُ المنذر بن عمرو في سبعين من اصحابه كانوا يسمون القراء لكثرة ما كانوا يحفظون من القرآن فساروا حتى نزلوا

بئر معونة (١) فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب الى عامر بن الطفيل
سيد بني عامر فلما وصل اليه لم يلتفت الى الكتاب بل عدا على حرام
فقتله ثم استصرخ على بقية البعثة أصحابه من بني عامر فلم يرضوا ان
يخفروا جوار ملاعب الاسنة فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم وهم
رعل وذكوان وعصية فأجابوه وذهبوا معه حتى اذا التقوا بالقراء
أحاطوا بهم وقتلوهم حتى قتلوهم عن آخرهم بعد دفاع شديد لم يجدهم
نفعاً لقلة عددهم وكثرة عدوهم ولم ينج الا كعب بن زيد وقع بين القتلى
حتى ظنَّ انه منهم وعمرو بن أمية كان في سرح القوم وأبلغ عليه
السلام خبر القراء فخطب في أصحابه وكان فيما قال (ان اخوانكم قد
لقوا المشركين وقتلوهم وانهم قالوا ربنا بلغ قومنا انا قد لقينا ربنا فرضينا
عنه ورضي عنا) وكان وصول خبر هذه السرية وسرية الرجيع في يوم
واحد فحزن عليهم صلى الله عليه وسلم حزناً شديداً وأقام يدعو على
الغادرين بهم شهراً في الصلاة

...==><==...

— غزوة بني النضير —

يا لله ما أسوأ عاقبة الطيش فقد تكون الامة مرتاحة البال هادئة
الخواطر حتى تقوم جماعة من رؤسائها بعمل غدر يظنون من ورائه
النجاح فيجلب عليهم الشرور ويشتمهم من ديارهم وهذا ما حصل

(١) شرقي المدينة بين ارض بني عامر وحره بني سليم

اليهود بني النضير حلفاء الخزرج الذين كانوا يجاورون المدينة فقد كان
بينهم وبين المسلمين عهد يأمّن بها كل منهم الآخر ولكن بنو النضير
لم يوفوا بهذه العهد حسداً منهم وبقياً فبينما رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبعض من أصحابه في ديار بني النضير إذ أثمر جماعة منهم على
قتله بأن يأخذ أحد منهم صخرة ويلقيها عليه من علو فاطلع عليه السلام
على قصدهم فرجع وتبعه أصحابه ثم أرسل لهم محمد بن مسلمة يقول لهم
اخرجوا من بلادي فقد همتم بما همتم من الغدر (إذ الحزم كل
الحزم أن لا يتهاون الانسان مع من عرف منه الغدر) قهياً القوم
للرحيل فأرسل لهم اخوانهم المنافقون يقولون لا تخرجوا من دياركم
ونحن معكم (لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً
وان قوتكم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن اخرجوا لا يخرجون
معهم ولئن قوتوا لا ينصرونهم ولئن نصرهم ليولنّ الادبار ثم لا ينصرون)
ولكن اليهود طمعوا بهذا الوعد وتأخروا عن الجلاء فأمر عليه السلام
بالتهيؤ لقتالهم فلما اجتمع الناس خرج بهم واستعمل على المدينة ابن أم
مكتوم وأعطى رايته علياً أما بنو النضير فتحصنوا في حصونهم وظنوا
أنها ما نعتهم من الله فحاصرهم عليه السلام ست ليال ثم امر بقطع
نخيلهم ليكون ادعى الى تسليمهم فخذف الله في قلوبهم الرعب ولم يروا
من عبد الله بن ابيّ مساعدة بل خذلهم كما خذل بني قينقاع من قبلهم
فسألوا رسول الله ان يجليهم ويكف عن دماءهم وأن لهم ما حملت

ابن عبد الله بن أبيّ ولم يزلوا سائرين حتى أتوا بدرًا فلم يجدوا بها
أحدًا لأن ابا سفيان أشار على قریش بالخروج على نية الرجوع بعد
مسير ليلة أو ليلتين ظانًا أن ارجاف نعيم يفيد فيكون الخلف هم المسلمون
فسار حتى أتى مجنة وهي سوق معروف من ناحية مرّ الظهران فقال
لقومه ان هذا عام جذب ولا يصلحنا الاعام عشب فارجعوا أما المسلمون
فأقاموا بيدرلا يشاركهم في تجارتهم أحد (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل
لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) ولما
سمع بذلك صفوان بن أمية قال لابي سفيان قد والله نهيتك ان تعد
القوم وقد اجترأ علينا ورأوا انا اخلفناهم

— ❦ حوادث ❦ —

وفي هذا العام ولد الحسين بن علي (وفيه) توفيت زينب بنت
خزيمة ام المؤمنين (وفيه) توفي ابو سلمة رضي الله عنه ابن عمه رسول
الله واخوه من الرضاعة واول من هاجر الى الحبشة (وفيه) تزوج
عليه السلام ام سلمة هنداً زوج ابو سلمة بعد وفاته

— ❦ السنة الخامسة غزوة دومة الجندل ❦ —

في ربيع الاول من هذا العام بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان

الدنيا وفي أثناء مسيره عليه السلام التقى بعين بني المصطلق فسأله عن
أحوال العدو فلم يجب فأمر بقتله . ولما بلغ الحارث رئيس الجيش مجيء
المسلمين لحر به وأنهم قتلوا جاسوسه خاف هو وجيشه خوفاً شديداً
حتى تفرق عنه بعضهم ولما وصل المسلمون الى المريسيع (١) تصاف
الفريقان للقتال بعد أن عرض عليهم الاسلام فلم يقبلوا فتراموا بالنبل
ساعة ثم حمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد فلم يتركوا الرجل من
عدوهم مجالاً للهرب بل قتلوا عشرة منهم وأسروا باقيهم مع النساء
والذرية واستاقوا الابل والشاء وكانت الابل التي بعير والشاء خمسة
آلاف استعمل الرسول على ضبطها مولاه شقران وعلى الاسرى بريدة
وكان في نساء المشركين برة بنت الحارث سيد القوم وقد أخذ من
قومها مائتا بيت اسرى وزعت على المسلمين وهنا يظهر حسن السياسة
ومنتهى الكرم فان بني المصطلق من أعز العرب داراً فاسر نسائهم
بهذه الحال صعب جداً فأراد عليه السلام أن يجعل المسلمين يمتنون
على النساء بالحرية من تلقاء أنفسهم فتزوج برة بنت الحارث التي
سماها جويرية فقال المسلمون أصهار رسول الله لا ينبغي أسرهم في
أيدينا فنوا عليهم بالعتق فكانت جويرية أئمن امرأة على قومها كما
قالت عائشة رضي الله عنها وتسبب عن هذا الكرم العظيم وهذه المعاملة

(١) ماء نلزاعة على يوم من الفرع

الجليلة أن أسلم بنو المصطلق على بكرة أبيهم وكانوا للمسلمين بعد أن كانوا عليهم (وقد) حصل في هذه الغزوة نادران لولا أن صاحبتهما حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعادتا بالتفريق على المسلمين (فأولاهما) أن أجييراً لعمر بن الخطاب اختصم مع حليف للخزرج فضرب الأجير الحليف حتى سال دمه فاستصرخ بقومه الخزرج واستصرخ الأجير بالمهاجرين فأقبل الذعر من الفريقين وكادوا يقتلون لولا أن خرج عليهم رسول الله فقال ما بال دعوى الجاهلية (وهي ما يقال في الاستغاثة يا فلان) فأخبر بالخبر فقال دعوا هذه الكلمة فإنها متنة ثم كلم المضروب حتى أسقط حقه وبذلك سكنت الفتنة فلما بلغ عبد الله بن أبيّ هذا الخصام غضب وكان عنده رهط من الخزرج فقال ما رأيت كالיום مذلة أو قد فعلوها نافرونا في ديارنا والله ما نحن والمهاجرون إلا كما قال الأوّل سمن كلبك يا كلك أما والله (لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنّ الأعرض منها الأذلّ) ثم التفت إلى من معه وقال هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتهم عنهم بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم غرضاً للمنايا دون محمد فأيتتم أولادكم وقتلتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من عنده وكان في مجلسه شاب حديث السنّ قويّ الإسلام اسمه زيد بن أرقم فأخبر رسول الله الخبر فتغير وجهه وقال يا غلام لعلك غضبت عليه فقلت ما قلت فقال

والله يارسول الله لقد سمعته قال لعله أخطأ سمعك فاستأذن عمر الرسول في قتل ابن أبي أو أن يأمر احداً غيره بقتله فهناه عن ذلك وقال كيف ياعمر اذا تحدث الناس أن محمداً يقتل اصحابه ثم اذن بالرحيل في وقت لم يكن يرتحل فيه حين اشتد الحر يقصد بذلك عليه السلام شغل الناس عن التكلم في هذا الموضوع فجاءه أسيد بن حضير وسأله عن سبب الارتحال في هذا الوقت فقال او ما بلغك ما قال صاحبكم زعم انه ان رجع الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال أنت والله يارسول الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وأنت العزيز ثم سار عليه السلام بالناس سيراً حثيثاً حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الارض حتى وقعوا نياماً وكلم رجال من الانصار عبد الله بن ابي في ان يطب من الرسول الاستغفار فلوى رأسه واستكبر وهما نزل على الرسول سورة المنافقين التي فضحت عبد الله بن ابي واخوانه وصدقت زيد بن ارقم ولما بلغ ذلك عبد الله بن عبد الله بن ابي استأذن رسول الله في قتل ابيه حذراً من أن يكلف بذلك غيره فيكون عنده من ذلك أضغان واحقاد فأمره عليه السلام بالاحسان الى ابيه



— ❦ حديث الافك ❦ —

(النادرة الثانية) وهي أفضع من الاولى وأجلب منها للخصائب

وهي رمي عائشة الصديقية زوج رسول الله بالافك فاتهموها بصفوان
ابن المعطل السلمي وذلك انهم لما دنوا من المدينة آذن عليه السلام
ليلة بالرحيل وكانت السيدة قد مضت لقضاء حاجتها حتى جاوزت
الجيش فلما قضت شأنها أقبلت الى رحلها فلمست صدرها فاذا عقد لها
من جزع ظفار قد انقطع فرجعت تلمس عقدها فحسبها ابتغاؤه فاقبل
الرهط الذين كانوا يرحلون فاحتملوا هودجها ظانين أنها فيه لان النساء
كن اذ ذاك خفافاً لم يعشن اللحم فلم يستنكر القوم خفة الهودج
وكانت عائشة جارية حديثة السن فجاءت منزل الجيش بعد ان وجدت
عقدها وليس بالمنزل داع ولا مجيب فغلبتها عينها فنامت وكان الذي
يسير وراء الجيش يفقد ضاعته صفوان بن المعطل فاصبح عند منزلها
فعرفها لانه كان رآها قبل الحجاب فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه
وسترت وجهها بجلبابها فأناخ راحلته وأركبها من غير أن يتكلمها بكلمة
ثم انطلق يقود بها الراحلة حتى وصل الجيش وهو نازل للراحة فقامت
قيامه أهل الافك وقالوا ما قالوا في عائشة و صفوان والذي تولى كبر
الافك عبد الله بن أبي ولما قدموا المدينة مرضت عائشة شهراً والناس
يفيضون في قول أهل الافك وهي لا تشعر بشيء وكانت تعرف في
رسول الله رقة اذا مرضت فلم يعطها نصيباً منها في هذا المرض بل كان
ير على باب الحجر لا يزيد على قوله كيف حالكم مما جعلها في ريب
عظيم فلما نقبت خزجت هي وأم مسطح بن أثاثة أحد أهل الافك

التبرز خارج البيوت فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح
فقالت عائشة بئس ما قلت أتسيين رجلاً شهد بدرًا فقالت ياهتاه أولم
تسمعي ما قالوا فسأتمها عائشة عن ذلك فاخبرتها الخبر فازدادت مرضاً
على مرضها ولما جاءها عليه السلام كمادته استأذنته أن تمرض في بيت
أيها فاذن لها فسألت أمها عما يقول الناس فقالت يا بنية هوني عليك
فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضائر إلا أكثرن
عليها فقالت عائشة سبحان الله أو لقد تحدث الناس بهذا وبكت تلك
الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم وفي خلال ذلك
كان عليه السلام يستشير كبار أهل بيته فيما يفعل فقال له أسامة بن
زيد لما يعلمه من براءة عائشة أهلك أهلك ولا نعم عليهم إلا خيراً
وقال علي بن أبي طالب لم يضييق الله عليك والنساء سواها كثير ووسل
الجارية تصدقك فدعا عليه السلام بريرة جارية عائشة وقال لها هل
رأيت من شيء يريك فقالت والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها امرأ
قط اغمصه غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجينها فتأتي الداجن
فتأكله فقام عليه السلام من يومه وصعد المنبر والمسلمون مجتمعون
وقال من يعذرني من رجل قد بلغني اذاه في أهلي والله ما علمت على
أهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما يدخل
على أهلي إلا معي فقال سعد بن معاذ أنا يارسول الله اعذرک منه فان
كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج

امرنا ففعلنا امرك فقام سعد بن عبادة الخزرجي وقال كذبت لعمر الله
لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما احببت انه يقتل فقام
اسيد بن حضير وقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لتقتله
فانك منافق تجادل عن المنافقين وكادت تكون فتنة بين الاوس
والخزرج لولا ان رسول الله نزل من فوق المنبر وخفضهم حتى سكتوا
اما عائشة فبقيت ليلتين لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم . وبينما هي
مع ابويها اذ دخل النبي عليه السلام فسلم ثم جلس فقال اما بعد يا عائشة
انه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت
الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف وتاب
تاب الله عليه فتخلص دمع عائشة وقالت لابويها اجيبا رسول الله فقال
والله ما ندري ما تقول فقالت اني والله لقد علمت انكم سمعتم هذا
الحديث حتى استقر في انفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم اني بريئة
لا تصدقوني وان اعترفت لكم بأمر والله يعلم اني منه بريئة لتصدقني
فوالله لا اجدي ولكم مثلاً الا ابا يوسف قال (فصبر جميل والله
المستعان على ماتصفون) ثم تحولت واضطجعت على فراشها ولم يزاول
رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى نزلت عليه الآيات من
سورة النور براءة السيدة المطهرة عائشة الصديقة (ان الذين جاؤا
بالافك عصبه منكم لا تحسبوه شرّاً لكم بل هو خير لكم لكل
امرى منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم

له عذاب عظيم . لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات
بأنفسهم خيراً وقالوا هذا افك مبين . لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء
فاذ لم ياتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون . ولولا فضل الله
عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم .
اذ تلقونه بالسلك وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه
هيناً وهو عند الله عظيم . ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم
بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم . يعظكم الله ان تعودوا مثله ابداً ان
كنتم مؤمنين . ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم . ان الذين
يجبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا
والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن
الله رؤف رحيم . يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن
يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم
ورحمته مازكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع
عليم (فسرى عن رسول الله وهو يضحك وبشر عائشة بالبراءة
فقال لها أمها قومي فاشكري رسول الله فقالت لا والله لا اشكر الا الله
الذي برأني و بعد ذلك امر عليه السلام بان يجلد من صرح بالافك
ثمانين جلدة وهي حد القاذف وكانوا ثلاثة حمنة بنت جحش ومسطح
ابن اثابة وحسان بن ثابت وكان ابو بكر ينفق على مسطح بن اثابة
لقرابته منه فلما تكلم بالافك قطع عنه النفقة فأنزل الله (ولا يأتل أولو

الفضل منكم والسعة ان يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في
سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور
رحيم) فقال ابو بكر بل نحب ذلك يا رسول الله واعاد النقة على
مسطح . فهذه مضار المنافقين الذين يدخلون بين الامم مظهرين لهم
الحجة وقلوبهم مملوءة حق - دأيت بصون الفتن فمتى رأوا باباً لها ولجوه
فنعوذ بالله منهم



غزوة الخندق

لم يقر لعطاء بنى النضير قرار بعد جلائهم عن ديارهم وارث
المسلمين لها بل كان في نفوسهم دائماً ان يأخذوا ثارهم ويستردوا بلادهم
فذهب جمع منهم الى مكة وقابلوا رؤساء قريش وحرصوهم على حرب
رسول الله ومنوهم المساعدة فوجدوا منهم قبولاً لما طلبوه ثم جاؤا الى
قبيلة غطفان وحرصوا رجالها كذلك واخبروهم بمبايعة قريش لهم على
الحرب فوجدوا منهم ارتياحاً فتجهزت قريش واتباعها برأسهم ابوسفيان
ويحمل لواءهم عثمان بن طلحة بن ابي طلحة العبدري وعددهم اربعة
آلاف معهم ثلاثمائة فرس والى الف بغير وتجهز غطفان برأسهم عيينة بن
حصن الذي جازى احسان رسول الله كفراً فانه كما قدمنا اقطعه ارضاً
يرعى فيها سوائمه حتى اذا سمن خفه وحافره قام يقود الجيوش لحرب
من انعم عليه وكان معه الف فارس وتجهزت بنو مرة برأسهم الحارث

ابن عوف المرّي وهم أربعمائة وتجهزت بنو أشجع يرأسهم ابو مسعود
ابن رخیلة وتجهزت بنو سلیم يرأسهم سفیان بن عبد شمس وهم سبعائة
وتجهزت بنو اسد يرأسهم طلیحة بن خویلد الاسدي وعدة الجميع عشرة
آلاف محارب قائدهم العام أبو سفیان ولما بلغه عليه السلام أخبار هاتيه
التجهيزات استشار أصحابه فيما يصنع أيكث بالمدينة أم يخرج للقائه
هذا الجيش الجرار فأشار عليه سلمان الفارسي بعمل الخندق وهو عمل
لم تكن العرب تعرفه فأمر عليه السلام المسلمين بعمله وشرعوا في حفره
شمالی المدينة من الحرة الشرقية الى الحرة الغربية وهذه هي الجهة التي
كانت غورة توّقي المدينة من قبلها أما بقية حدودها فمشتبكة بالبيوت
والنخيل لا يتمكن العدو من الحرب جهتها وقد قاسى المسلمون صعوبات
جسيمة في حفر الخندق لانهم لم يكونوا في سعة من العيش حتى يتيسر
لهم العمل وعمل معهم عليه الصلاة والسلام فكان ينقل التراب متمثلاً
بشعر ابن رواحة

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا صلينا
فأنزلنا سكينتنا علينا وثبت الاقدام ان لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا وان أرادوا فتنة أينا

واقام الجيش في الجهة الشرقية مسنداً ظهره الى سلع وهو جبل
مطل على المدينة وعدتهم ثلاثة آلاف وكان لواء المهاجرين مع زيد بن
حارثة ولواء الانصار مع سعد بن عبادة أما قريش فنزلت بمجمع الاسيال

واما غطفان فنزلت جهة أحد وكان المشركون معجبين بمكيدة الخندق التي لم تكن العرب تعرفها فصاروا يترامون مع المساهين بالنبل ولما طال المطال عليهم أكره جماعة منهم أفراسهم على اقتحام الخندق منهم عكرمة ابن ابي جهل وعمرو بن ودّ وآخرون وقد برز علي بن ابي طالب لعمر و ابن ودّ فقتله وهرب اخوانه وهوى في الخندق نوفل بن عبد الله فاندقت عنقه (ورُوي) سعد بن معاذ رضي الله عنه بسهم قطع اكمله وهو شريان الذراع واستمرت المناوشة والمرامة بالنبل يوماً كاملاً حتى فانت المساهين صلاة ذلك اليوم وقضوها بعد وجعل عليه السلام على الخندق حراساً حتى لا يقتحمه المشركون بالليل وكان يجرس بنفسه ثلثة فيه مع شدة البرد وكان عليه السلام يبشر اصحابه بالنصر والظفر ويعدّم الخير أما المنافقون فقد اظهروا في هذه الشدة ما تكنه ضمائرهم حتى قالوا (ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً) وانسحبوا قائلين ان بيوتنا عورة نخاف ان يغير عليها العدو (وما هي بعورة ان يريدون الا فراراً) واشتدّ الحال بالمسلمين فان هذا الحصار صاحبه ضيق على فقراء المدينة والذي زاد الشدة عليهم ما بلغهم من ان يهود بني قريظة الذين يساكنونهم في المدينة قد اتهموا هذه الفرصة لقص العهود وسبب ذلك ان حيي بن اخطب سيد بني النضير المجلين توجه الى كعب بن اسد القرظي سيد بني قريظة وكان له كالشيطان اذ قال للانسان آكفّر فحسن له تقض العهد ولم يزل به حتى اجابه لقتال

المسلمين . ولما بلغت هذه الاخبار رسول الله أرسل مسleme بن أسلم
في مائتين وزيد بن حارثة في ثلاثمائة لحراسة المدينة خوفاً على النساء
والذراري وأرسل الزبير بن العوام يستجلي له الخبر فلما وصلهم وجدهم
حاققين يظهر على وجوههم الشر ونالوا من رسول الله والمسلمين امامه
فرجع واخبر الرسول بذلك وهنالك اشتدَّ وجل المسلمون وزلزلوا
زلزلاً شديداً لان العدو جاءهم من فوقهم ومن أسفل منهم وزاغت
الابصارُ وبلغت القلوبُ الحناجرَ وظنوا بالله الظنون وتكلم المنافقون
بما بدا لهم فأراد عليه السلام ان يرسل لعينة بن حصن ويصالحه على
ثلث ثمار المدينة لينسحب بغطفان فأبى الانصار ذلك قائلين انهم لم
يكونوا ينالون منا قليلاً من ثمرنا ونحن كفار ابعده الإسلام يشاركوننا
فيها . واذا اراد الله العناية بقوم هياً لهم اسباب الظفر من حيث لا يعلمون
فانظر الى هذه العناية من الله بالتمسكين بدينه القويم . جاء نعيم بن
مسعود الاشجعي وهو صديق قريش واليهود ومن غطفان فقال يا رسول
الله اني قد اسلمت وقومي لا يعلمون باسلامي فمرني بأمرك حتى
اساعدك فقال انت رجل واحد وماذا عسى ان تفعل ولكن خذل
عنا ما استطعت فان الحرب خدعة



الخدعة في الحرب

فخرج من عنده وتوجه الى بني قريظة الذين تقضوا عهود المسلمين

فلما رأوه أكرموه لصداقته معهم فقال يا بني قريظة تعرفون ودي لكم
وخوفي عليكم واني محدثكم حديثاً فاكتموه عني قالوا نعم فقال لقد رأيتم
ما وقع لبني قينقاع والنضير من اجلائهم واخذ اموالهم وديارهم وان
قريشاً وغطفان ليسوا مثلكم فهم اذا رأوا فرصة انتهزوها والا انصرفوا
لبلادهم واما اتم قنسا كنون الرجل (يريد الرسول) ولا طاقة لكم بجزيرة
وحدكم فأرى ان لا تدخلوا في هذه الحرب حتى تستيقنوا من قريش
وغطفان انهم لن يتركوكم ويذهبوا الى بلادهم بأن تأخذوا منهم رهائن
سبعين شريفاً منهم فاستحسنوا رأيه واجابوه الى ذلك ثم قام من عندهم
وتوجه الى قريش فاجتمع برؤسائهم وقال اتم تعرفون ودي لكم ومحبي
اياكم واني محدثكم حديثاً فاكتموه عني قالوا نفعل فقال لهم ان بني
قريظة قد ندموا على ما فعلوه مع محمد وخافوا منكم ان ترجعوا وتركوهم
معه فقالوا له أيرضيك ان نأخذ جمعاً من اشرافهم ونعطيهم لك وترد
جناحنا الذي كسرت (يريد بني النضير) فرضي بذلك منهم وهام
مرسلون اليكم فاحذروهم ولا تذكروا مما قلت لكم حرفاً ثم اتى غطفان
فأخبرهم بمثل ما اخبر به قريشاً فأرسل ابوسفیان وفداً لقريظة يدعوهم
للقتال غداً فاجابوا انا لا يمكننا ان نقاتل في السبت (وكان ارساله لهم
ليلة السبت) ولم يصبنا ما اصابنا الا من التعدي فيه ومع ذلك فلا نقاتل
حتى تعطونا رهائن منكم حتى لا نتركونا وتذهبوا الى بلادكم فتحققت
قريش وغطفان كلام نعيم بن مسعود وتفرقت القلوب فخاف بعضهم

بعضاً وكان عليه السلام قد ابتهل الى الله الذي لا ملجأ الا اليه ودعاه بقوله (اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم) وقد اجاب الله دعاه عليه السلام فأرسل على الاعداء ريحاً باردة في ليلة مظلمة فخاف العرب ان تتفق اليهود مع المسلمين ويهجموا عليهم في الليلة المدهمة فاجمعوا امرهم على الرحيل قبل ان يصبح الصباح . ولما سمع عليه السلام الغوغاء في جيش العدو قال لاصحابه لا بد من حادث فمن منكم ينظر لنا خبر القوم فسكتوا حتى كرر ذلك ثلاثاً وكان فيهم حذيفة بن اليمان فقال له عليه السلام تسمع صوتي منذ الليلة ولا تجيب فقال يا رسول الله البرد شديد فقال اذهب في حاجة رسول الله واكشف لنا خبر القوم فخاطر رضي الله عنه بنفسه في خدمة نبيه حتى اطلع على جلية الخبر وان الاعداء عازمون على الرحلة

— هزيمة الاحزاب —

وقد بلغ من خوفهم ان كان رئيسهم أبوسفیان يقول لهم ليتعرف كل منكم أخاه وليمسك بيده حذراً من ان يدخل بينكم عدو وقد حل عقاب بغيره يريد ان يبدأ الرحيل فقال له صفوان بن أمية انك رئيس القوم فلا تتركهم وتمضي فنزل أبوسفیان وأذن بالرحيل وترك خالد بن الوليد في جماعة ليحموا ظهور المرتحلين حتى لا يدهسوا من ورائهم وأزاح

الله عن المسلمين هذه الغمة التي تحزب فيها الاحزاب من عرب ويهود
على المسلمين ولولا لطف الله وعنايته بهذا الدين مئة منه وفضلا لساءت
الحال . وكان جلاء الاحزاب في ذي القعدة وكان حقاً على الله ان
يسميه نعمة بقوله في سورة الاحزاب (يا ايها الذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنودٌ فارسنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها
وكان الله بما تعملون بصيراً . اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل
منكم واذ زاغت الابصارُ وبلغت القلوبُ الحناجرَ وتظنون بالله
الظنونا . هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً . واذ يقول
المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً
واذ قالت طائفةٌ منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن
فريقٌ منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورةٌ وما هي بعورةٍ ان
يريدون الا فرارا)

— — — — —
— ﴿ غزوة بني قريظة ﴾ —

ولما رجع عليه السلام بأصحابه واراد أن يخلع لباس الحرب أمره
الله بالحق ببني قريظة حتى يطهر ارضه من قوم لم تعد تنفع معهم
العهود ولا تربطهم المواثيق ولا يأمن المسلمون جانبهم في شدة فقال
لاصحابه لا يصلين أحد منكم العصر الا في بني قريظة فساروا مسرعين
وتبعهم عليه السلام راكباً على حماره ولو اواه بيد علي بن أبي طالب وخليفته

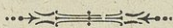
على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف
وقد ادرك جماعة من الاصحاب صلاة العصر في الطريق فصلوها
بعضهم حاملين أمر الرسول بعدم صلاحها على قصد السرعة ولم يصلها
الآخرون الا في بني قريظة بعد مضي وقتها حاملين الامر على حقيقته
فلم يعنف فريقاً منهم (ولما) رأى بنو قريظة جيش المسلمين اتى الله الرعب
في قلوبهم وأرادوا التنصل من فعلتهم القبيحة وهي الغدر بمن عاهدوهم
وقت الشغل بعدوا آخر ولكن انى لهم ذلك وقد ثبت للمسلمين غدرهم
فلما رأوا ذلك تحصنوا بمحصونهم وحاصروهم المسلمون خمساً وعشرين
ليلة فلما رأوا ان لا مناص من الحرب وانهم ان استمروا على ذلك
ماتوا جوعاً طلبوا من المسلمين ان ينزلوا على ما نزل عليه بنو النضير
من الجلاء بالاموال وترك السلاح فلم يقبل الرسول صلى الله عليه وسلم
فطلبوا ان يجلو بأنفسهم من غير سلاح فلم يرض ايضاً بل قال لا بد
من النزول والرضا بما يحكم عليهم خيراً كان أو شراً فقالوا له أرسل انا
أبا لبابة نستشيره وكان اوسياً من حلفاء قريظة له بينهم اولاد واموال
فلما توجه اليهم استشاروه في النزول على حكم الرسول فقال لهم انزلوا
واوماً بيده الى حلقه يريد ان الحكم الذبح . ويقول ابو لبابة لم ابارح
موقفي حتى علمت اني خنت الله ورسوله فنزل من عندهم قاصداً المدينة
خجلاً من مقابلة رسول الله وربط نفسه في سارية من سواري المسجد
حتى يقضي الله فيه امره . ولما سأل عنه عليه السلام اخبر بما فعل

فقال اما انه لو جاءني لاستغفرت له اما وقد فعل ما فعل فتركه حتى يقضي الله فيه . ثم ان بني قريظة لما لم يروا بدءاً من النزول على حكم رسول الله فعلوا فأمر برجالهم فكنفوا فجاءه رجال من الاوس وسأله ان يعاملهم كما عامل بني قينقاع حلفاء اخوانهم الخزرج فقال لهم ألا يرضيكم ان يحكم عليهم رجل منكم فقالوا نعم واختاروا سيدهم سعد بن معاذ الذي كان جريحاً من السهم الذي اصاب به في الخندق وكان مقيماً بخيمة في المسجدة معدة لمعالجة الجرحى فأرسل عليه السلام من يأتي به فحملوه على حماره والتف عليه جماعة من الاوس يقولون له احسن في مواليك ألا ترى ما فعل ابن ابي في مواليه فقال رضي الله عنه لقد آن لسعد ان لا تأخذه في الله لومة لأثم . ولما اقبل على الرسول واصحابه وهم جلوس قال عليه السلام قوموا الى سيدكم فانزلوه ففعلوا وقالوا له ان رسول الله قد ولاك امر مواليك لتحكم فيهم وقال له الرسول احكم فيهم يا سعد فالتفت سعد للناحية التي ليس فيها رسول الله وقال عليكم عهد الله وميثاقه ان الحكم كما حكمت فقالوا نعم فالتفت الى الجهة التي فيها الرسول وقال وعلى من هنا كذلك وهو غاض طرفه اجلالاً فقالوا نعم قال فاني احكم ان تقتل الرجال وتسيب النساء والذرية فقال عليه السلام (لقد حكمت فيهم بحكم الله يا سعد) لان هذا جزاء الخائن الغادر ثم امر بتنفيذ الحكم فنفذ عليهم وجمعت غنائمهم فكانت الفأ وخسمائة سيف وثمائة درع واثني ربح وخسمائة ترس وجحفة ووجد

ويعتقدون أن لا كفاء من سواهم لبناتهم وزيد وان كان الرسول تبناه
ولكن هذا لا يلحقه بالاشراف فلما نزل قوله تعالى في سورة الاحزاب
(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم
الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) لم يروا
بدلاً من القبول فلما دخل عليها زيد أرتة من كبريائها وعظمتها ما لم
يتحملها فاشتكتها لرسول الله فأمره باحتمالها والصبر عليها الى أن ضاقت
نفسه فاخبره بالعزم على طلاقها وكرر ذلك . ولما كانت العشرة بين مثل
هذين الزوجين ضرباً من العيث أمر الله نبيه أن يتزوج زينب بعد
طلاقها حسماً لهذا الشقاق من جهة وحفظاً لشرفها أن يضع بعد زواجها
بمولى من جهة أخرى ولكن رسول الله خشي من لوم اليهود والعرب
عليه في زواجه بزواج ابنه فقال لزيد أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفي
في نفسه ما أبداه الله فبت الله حكمه بابطال هذه القاعدة وهي تحريم
زوج النبي بقوله في سورة الاحزاب (فلما قضى زيد منها وطراً
زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج أديئاتهم اذا قضوا
منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً) ثم ان الله حرم النبي على المسلمين
لما فيه من الاضرار وانزل فيه في سورة الاحزاب (ما كان محمد أباً أحد
من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً)
ومن هذا الحين صار اسم زيد (زيد بن حارثة) بدل (زيد بن محمد)
وأبدل بذلك أن ذكر اسمه في قرآن يتلى على مر الدهور والاعوام .

ويقول جهال المؤرخين وذوو المقاصد السافلة منهم في هذه القصة أقوالاً لا تجوز الا على من ضاع رشده ولم يفقه حقيقة ما يقول فانهم يذكرون أن الرسول توجه يوماً لزيارة زيد فرأى زوجه بالصدفة لان الريح رفعت الستر عنها فوقعت في قلبه فقال سبحان الله فلما جاء زوجها ذكرت له ذلك فرأى من الواجب عليه فراقها فتوجه وأخبر الرسول بعزمه فنهاه عن ذلك الخ وهذا مما يكذبه أن نساء العرب لم تكن قبل ذلك تعرف ستر الوجوه وزينب بنت عمته وأسلمت قديماً ورسول الله بمكة فكيف لم يرها وقد مضى على اسلامها نحو عشر سنوات وهي بنت عمته الا حينما رفعت الريح الستر بالصدفة ورسول الله هو الذي زوجها زيدا فلو كان له فيها رغبة حب أو عشق لتزوجها هو ولا مانع يمنعه من ذلك . ومن منا يتصور ان السيد الاكرم يقول لقومه انه مرسل من ربه ويتلو عليهم صباح مساء أمر الله له بقوله في سورة الحجر المكية (لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم) وفي سورة طه المكية أيضاً (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا) ثم هو بعد ذلك يدخل بيت رجل من متبعيه وينظر الى زوجه مصادفة ثم يشتهي زواجها ان هذا الامر عظيم تشعر بذلك صدورنا ولو حدث أمر مثله من أقل الناس لعب عليه فكيف بمن أجمعت كلمة المؤرخين على أنه احسن الناس خلقاً وابعدهم عن الدنيا واشدهم ذكاءً وفراسة حتى مدحه الله بقوله في سورة ن (وانك لعلى خلق عظيم)

لا شك ان هذه الخرافة مما يلتحق بخرافة الغرائق وضعها اعداء الدين ليصلوا بها الى اغراضهم والحمد لله قد ناقضت النقل والعقل فلم تبق شبهة في ان الحقيقة ما نقلناه لك اولاً وهو الذي يستفاد من القرآن الشريف قال تعالى في سورة الاحزاب (واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان امر الله مفعولاً) والذي ابداه الله هو زواجه بها ولم يبد غير ذلك وهذا القرآن اعظم شاهد



— ❖ الحجاب ❖ —

(وفيه) نزلت آية الحجاب وهو خاص بنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمر بن الخطاب قبل نزول آيته يحبه ويذكره كثيراً ويود ان ينزل فيه قرآن وكان يقول لو اطاع فيكن ما راتكن عين فنزل في سورة الاحزاب (واذا سألتوهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذاكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن) فقال بعضهم انتهى ان نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لا تزوجن عائشة فنزل بعد الاية المتقدمة (وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تكجوا أزواجه من بعده أبداً ان ذلكم كان عند الله عظيماً) أما غير أزواجه

عليه السلام من المؤمنات فأمرن بغض الابصار وحفظ الفروج كما أمر
بتلك الرجال وأمرن ان لا يبدن زينتهن للاجانب الا ما ظهر منها
كالخاتم في الاصبع والخصاب في اليد والكحل في العين . أما ما خفي
منها فلا يحل ابدائه كالسوار للذراع والدمليج للعضد والخلخال للرجل
والقلادة للعنق والا كليل للرأس والشاح للصدر والقرط للاذن والمراد
بالزينة الظاهرة والخفية مواضعها . وأمرن أيضاً بأن يضربن بخمرهن
على الجيوب كيلا تبقى صدورهن مكشوفة فان النساء اذ ذاك كانت
جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حولها وكن يسدن
الخمر من ورائهن ونهين عن أن يضربن بأرجلهن ليعلم أنهن ذوات
خلخال واذا كان النهي عن اظهار صوت الخلي بعد ما نهين عن اظهار
الخلي علم بذلك أن النهي عن اظهار مواضع الخلي ابلغ وأبلغ قال تعالى
في سورة النور (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن
فروجهن ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على
جيوبهن ولا يبدن زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن
أو ابنائهن أو ابناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني اخواتهن
أو نساءهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الاربة من
الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن
بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعاً أيه المؤمنون
لعلكم تفلحون) (وكان) النساء في اول الاسلام كما كن في الجاهلية

متبدلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فرق بين الحرمة والامة وكان
الفتيان واهل الشطارة يتعرضون للاماء اذا خرجن بالليل الى مقاضي
حوأجهن في النخيل والغيطان وربما تعرضوا للحرمة بعله الامة يقولون
حسبناها أمة فامر أن يخالفن بزيهن عن زي الاماء بأن يدين عليهن
من جلايبهن ليغطي الوجه والاعطاف ليحتشمن ويهين فلا يطمع فهن
طامع قال تعالى في سورة الاحزاب (يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك
ونساء المؤمنين يدين عليهن من جلايبهن ذلك أدنى ان يعرفن فلا
يؤذبن وكان الله غفوراً رحيماً) (أما) حجب المرأة عن يريدها
خطبتها فهو امر لم يكن يفعل في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولا في
عهد السلف الصالح فان الشارع الحكيم سن ذلك ليكون الرجل على
علم مما يقدم عليه حتى يتم الوفاق والثام بين الزوجين وهذا امر اجمع
عليه ائمة الدين قال حجة الاسلام الغزالي في الاحياء (وقد ندب
الشرع الى مراعاة اسباب الالفة ولذلك استحب النظر فقال اذا
اوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فلينظر اليها فانه احرى ان يؤدم
بينهما اي يؤلف بينهما من وقوع الأدمة على الأدمة وهي الجلدة الباطنة
والبشرة الجلدة الظاهرة وانما ذكر ذلك للمبالغة في الائتلاف وقال عليه
السلام ان في اعين الانصار شيئاً فاذا اراد احدكم ان يتزوج منهن
فلينظر اليهن قيل كان في اعينهن عمش وقيل صغر وكان بعض الصالحين
لا ينكحون كرائمهم الا بعد النظر احترازاً من الغرور وقال الاعمش

كل تزويج يقع على غير نظر فأخره هم وغم) ولا يبعد ان يكون فساد الزمن
والابتعاد عن التربية الدينية التي تسوق الى مكارم الاخلاق قد حسنا
عند عامة المسلمين في العصور الاولى حجب المرأة مطلقاً حسناً للمفاسد
ودراء الفتنة

— ❦ —
❦ فرض الحج ❦

(وفي هذا العام) على ما عليه الاكثرون فرض الله على الامة
الاسلامية حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ليجتمع المسلمون من جميع
الاقطار فيتوجهوا الى الله ويتهلوا اليه ان يؤيدهم بنصره ويعينهم على
اتباع دينه القويم وفي ذلك من تقوية الرابطة واتحاد القلوب ما فيه
للمسلمين الفائدة العظمى

— ❦ —
❦ السنة السادسة ❦

(سرية)

ولعشر خلون من محرم السنة السادسة أرسل عليه السلام
محمد بن مسلمة في ثلاثين راكباً لشن الغارة على بني بكر بن كلاب
الذين كانوا نازلين بناحية ضرية (١) فسار اليهم يكمن النهار ويسير
الليل حتى دههم فقتل منهم عشرة وهرب باقيهم فاستاقت السرية

(١) موضع على سبع ليال من المدينة في طريق البصرة

النعم والسياه وعادوا راجعين الى المدينة وقد التقوا وهم عائدون ثمامة
ابن أثال الحنقي من عطاء بني حنيفة فأسروه وهم لا يعرفونه فلما أتوا به
رسول الله عرفه وعامله بمنهى مكارم الاخلاق فأنه اطلق اساره بعد
ثلاث ابي فيها الاتقياد للاسلام بعد ان عرض عليه ولما رأى ثمامة
هذه المعاملة وهذه المكارم رأى من العبت ان يتبع هواه ويترك ديناً
عماده المحامد فرجع الى رسول الله واسلم غير مكره وخاطب الرسول
بقوله (يا محمد والله ما كان على الارض من وجه ابغض اليّ من وجهك
فقد اصبح وجهك احبّ الوجوه كلها اليّ والله ما كان على الارض
من دين ابغض اليّ من دينك فقد اصبح احبّ الدين كله اليّ والله
ما كان من بلد ابغض اليّ من بلدك فقد اصبح احب البلاد اليّ)
فسرّ عليه السلام كثيراً باسلامه لان من ورائه قوماً يطعونهُ ولما
رجع ثمامة الى بلاده مر بمكة معتمراً وأظهر فيها اسلامه فأرادت
قريش ايذائه فذكروا احتياجهم لحبوب اليمامة التي منها ثمامة فتركوه
ومع ذلك فقد حلف هو أن لا يرسل اليهم من اليمامة حبواً حتى
يؤمنوا فجهدوا جداً ولم يروا بداً من الاستغاثة برسول الله فعاملهم
عليه السلام بما جبل عليه من الشفقة والمرحمة وأرسل ثمامة ان يعيد
عليهم ما كان يأتيهم من اقوات اليمامة ففعل وقد كان لهذا الرجل
الكريم الاصل قدم راسخ في الاسلام عقب وفاة الرسول حين ارتد
اكثر اهل بلاده فكان ينهى قومه عن اتباع مسيلمة ويقول لهم اياكم

وامراً مظلماً لا نور فيه وانه لشقاء كتبه الله على من اتبعه فثبت معه
كثير من قومه رضي الله عنه

— غزوة بني لحيان —

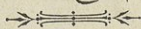
بنو لحيان هم الذين قتلوا عاصم بن ثابت واخوانه ولم يزل رسول
الله حزينا عليهم متشوقا للقصاص من عدوهم حتى ربيع الاول من
هذه السنة فأمر أصحابه بالتجهز ولم يظهر لهم مقصده كما هي عادته عليه
السلام في غالب الغزوات لتعمى الاخبار عن الاعداء وولى على المدينة
ابن أم مكتوم وسار في مائتي راكب معهم عشرون فرسا ولم يزل سائراً
حتى مقتل أصحاب الرجيع فترحم عليهم ودعا لهم ولما سمع بنو لحيان
تفرقوا في الجبال فأقام عليه السلام بديارهم يومين يبعث السرايا فلا
يجدون أحداً ثم أرسل بعضاً من أصحابه ليأتوا عسفان (١) حتى يعلم
بهم اهل مكة فيدخلهم الرعب فذهبوا الى كراع الغميم (٢) ثم رجع
عليه السلام الى المدينة وهو يقول (آيئون تائبون لرنا حامدون أعوذ
بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال)

(١) موضع قرب مكة

(٢) جبل جنوب عسفان بثمانية اميال

— غزوة الغابة —

كان للنبي عليه السلام عشرون لقحة ترعى بالغابة (١) فأغار عليها عينة بن حصن في أربعين راكباً واستلبها من راعيها فجاءت الاخبار رسول الله عليه الصلاة والسلام والذي بلغه هو سلمة بن الأكوع أحد رماة الانصار وكان عداءً فأمره الرسول بأن يخرج في أثر القوم ليشتغلهم بالنبل حتى يدركهم المسلمون فخرج يشتد في أثرهم حتى لحقهم وجعل يرميهم بالنبل فاذا وجهت الخيل نحوه رجع هارباً فلا يلحق فاذا دخلت الخيل بعد المضايق علا الجبل فرمى عليها الحجارة حتى ألقوا كثيراً مما بأيديهم من الرماح والابراد ليخففوا عن انفسهم حتى لا يلحقهم الجيش ولم يزل سلمة على ذلك حتى تلاحق به الجيش فان الرسول دعا أصحابه فأجابوه وأوّل من انتهى اليه المقداد بن الاسود فقال له اخرج في طلب القوم حتى ألحقك واعطاه اللواء فخرج وتبعته الفرسان حتى أدركوا وأخرا العدو فحصلت بينهم مناوشات قتل فيها مسلم ومشركان واستنقذ المسلمون غالب اللقاح وهرب أوائل القوم بالبقية وطلب سلمة بن الأكوع من رسول الله ان يرسله مع جماعة في أثر القوم ليأخذهم على غرة وهم نازلون على أحد مياههم فقال له عليه السلام (ملكيت فأسجح) ثم رجع بعد خمس ليال



(١) موضع على برید من المدينة جهة غطفان

سرية

كان بنو أسد الذين مر ذكركم كثيراً ما يؤذون من يمر بهم من
المسلمين فأرسل لهم عليه السلام عكاشة بن محصن في أربعين راكباً
ليغير عليهم ولما قارب بلادهم علموا به فهربوا وهناك وجدوا رجلاً نائماً
فأمنوه ليدهم على نعم القوم فدلهم عليها فاستاقوها وكانت مائة بعير ثم
قدموا المدينة ولم يلقوا كيداً



سرية

وفي ربيع الأوّل بلغه عليه السلام ان من بني القصة (١)
يريدون الاغارة على نعم المسلمين التي ترعى بالهيفاء (٢) فأرسل لهم
محمد بن مسامة في عشرة من المسلمين فبلغ ديارهم ليلاً وقد كمن لهم
المشركون حينما علموا بهم فنام المسلمون ولم يشعروا الا والنبل قد خالطهم
فتواثبوا على اسلحتهم ولكن تغلب عليهم الاعداء فقتلوهم غير محمد بن
مسامة تركوه لظنهم انه قتل فعاد الى المدينة وأخبر الرسول عليه السلام

- (١) موضع على اربعة وعشرين ميلاً من المدينة في طريق الربدة
(٢) موضع قرب المدينة

فأرسل ابا عبيدة عامر بن الجراح في ربيع الآخر ليقصص من الاعداء
فلما وصل ديارهم وجدهم تشتتوا هاربين فاستاق نعمهم ورجع

سرية

عاكس بنو سليم الذين كانوا من المتحزبين في غزوة الخندق
المسلمين في سيرهم فأرسل عليه السلام زيد بن حارثة في ربيع الآخرة
ليغير عليهم في الهجوم (١) فلما بلغوا ديارهم وجدوهم تفرقوا ووجدوا
هناك امرأة من مزينة دلتهم على منازل بني سليم فاصابوا بها نعا وشاء
ووجدوا رجلاً أسروهم وفيهم زوج تلك المرأة فرجعوا بذلك الى
المدينة فوهب الرسول لهذه المرأة نفسها وزوجها

سرية

بلغ الرسول أن عيراً لقريش أقبلت من الشام تريد مكة فأرسل
لها زيد بن حارثة في مائة وسبعين راكباً ليعترضها فأخذها وما فيها وأسرى
من معها من الرجال وفيهم أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول
الله وكان من رجال مكة المعدودين تجارة ومالاً وامانة فاستجار بزوجه
زينب فأجارته ونادت بذلك في مجمع قريش فقال عليه السلام (المسلمون
يد واحدة يجير عليهم أدانهم وقد أجرنا من أجزت) وهذا أبلغ ما قيل

(١) ناحية من بطن نخل

في المساواة بين أفراد المسلمين ورد عليه الرسول ما له بأسره لا يفقد منه شيئاً فذهب الى مكة فأدى لكل ذي حق حقه ورجع الى المدينة مسلماً فرد عليه رسول الله زوجه

— ❖ سرية ❖ —

وفي جمادي الآخرة أرسل عليه السلام زيد بن حارثة في خمسة عشر رجلاً للاغارة على بني ثعلبة الذين قتلوا أصحاب محمد ابن مسلمة وهم مقيمون بالطرف (١) فتوجهت السرية لذلك ولما رأهم الاعداء ظنوهم طليعة لجيش رسول الله فهربوا وتركوا نعمهم وشاءهم فاستاقها المسلمون ورجعوا الى المدينة بعد أربع ليال

— ❖ سرية ❖ —

وفي رجب أرسل عليه السلام زيد بن حارثة ليغير على بني فزارة لانهم تعرضوا لزيد وهو راجع بتجارة من الشام فسلبوا ما معه وكادوا يقتلونه فلما جاء المدينة وأخبر الرسول ان خبر أرسله مع رجاله للقصاص من فزارة المقيمين في وادي القرى (٢) فساروا حتى دهموا العدو

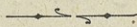
- (١) ماء على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة في طريق العراق
(٢) موضع شمالي المدينة

واحاطوا بهم وقتلوا منهم جمعاً كثيراً وأخذوا امرأة من كبارهم أسيرة
فاستوهبها عليه السلام ممن أسرها وفدى بها أسيراً كان بمكة



— ❖ سرية ❖ —

وفي شعبان أرسل عليه السلام عبد الرحمن بن عوف مع سبعائة
من الصحابة لغزو بني كلب في دومة الجندل (١) وقد وصاهم عليه السلام
قبل السفر بقوله (اغزوا جميعاً في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ولا
تغلوا ولا تغدروا ولا تثلوا ولا تقتلوا وليداً فهذا عهد الله وسيرة نبيه
فيكم ثم اعطاه اللواء فساروا على بركة الله حتى حلوا بديار العدو فدعواهم
الى الاسلام ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع اسلم رئيس القوم الاصبع بن
عمرو النصراني وأسلم معه جمع من قومه وبقى آخرون راضين باعطاء
الجزية فتزوج عبد الرحمن بنت رئيسهم كما امره بذلك عليه السلام وهذه
اقرب لتمكين صلوات الود بين الامراء بحيث يهتم كلاً ما يهتم الآخر
فنعم هي سياسة السلم والمحبة



— ❖ سرية ❖ —

وفي شعبان أرسل عليه السلام علي بن أبي طالب في مائة رجل

(١) حصن وقرى بينها وبين دمشق خمس ليال وبين المدينة

خمس عشرة ليلة

الغزو بني سعد بن بكر بفدك (١) لانه بلغه انهم يجمعون الجيوش
لمساعدة يهود خيبر على حرب المسلمين مقابل تمر يعطونه من تمر خيبر
فسارت السرية وبينما هم سائرون التقوا بجاسوس العدو ارسلوه الى خيبر
ليعقد المعاهدة مع يهودها فطلبوا منه ان يدهم على القوم وهو آمن فدهم
على موضعهم فاستاق منه المسلمون نعم القوم وهرب الرعاة فحذروا قومهم
فداخلهم الرعب وتفرقوا فرجع المسلمون ومعهم خمسمائة بعير والفاشاة
ورد الله كيد المشركين فلم يمدوا اليهود بشيء

قتل أبي رافع

وكان المحرك لاهل خيبر على حرب المسلمين هو سيدهم ابورافع
سلام بن ابي الحقيق الملقب بتاجر أهل الحجاز لما كان له من المهارة
في التجارة وكان ذا ثروة طائلة يقلب بها قلوب اليهود كما يريد فانتدب
له عليه السلام من يقتله فأجاب لذلك خمسة رجال من الخزرج رئيسهم
عبد الله بن عتيك ليكون لهم مثل اجر اخوانهم من الاوس الذين
قتلوا كعب بن الاشرف فان من نعم الله على رسوله ان كان الاوس
والخزرج يتفاخرون بما يفعلونه من تنفيذ رغبات رسول الله فلا تعمل
الاوس عملاً الا اجتهد الخزرج في مثله فأمرهم الرسول بذلك بعد أن
وصاهم ان لا يقتلوا وكليداً ولا امرأة فساروا حتى اتوا خيبر فقال عبد

(١) قرية بينها وبين المدينة ست ليال من جهة خيبر

الله لاصحابه مكانكم فاني منطلق للبواب ومتلطف له لعل ادخل
فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوب كأنه يقضي حاجته وقد دخل
الناس فهتف به البوات ادخل يا عبد الله ان كنت تريد الدخول
فاني اريد ان اغلق الباب فدخل وكن حتى نام النوّاب فأخذ المفاتيح
وفتح ليسهل له الهرب ثم توجه الى بيت ابي رافع وصار يفتح الابواب
التي توصل اليها وكما فتح باباً اغلقه من داخل حتى انتهى اليه فاذا هو
في بيت مظلم وسط عياله فلم يمكنه تمييزه فنادى يا ابا رافع قل من
فأهوى بالسيف نحو الصوت فلم يغن شيئاً وعند ذلك قالت امرأته هذا
صوت ابن ابي عتيك فقال لها شككتك امك واين ابن ابي عتيك الآن
فعاد عبد الله للنداء مغيراً صوته قائلاً ما هذا الصوت الذي نسمعه يا ابا
رافع قال لامك الويل ان رجلاً في البيت ضربني بالسيف فعمد اليه
فضربه أخرى لم تغن شيئاً فتواری ثم جاءه كالمغيث وغير صوته فوجده
مستلقياً على ظهره فوضع السيف في بطنه وتحامل عليه حتى سمع صوت
العظم ثم خرج من البيت وكان نظره ضعيفاً فوقع من فوق السلم
فانكسرت رجله فعصبتها بعمامته ثم انطلق الى اصحابه وقال النجاة قتل
والله ابو رافع فاتموا الى الرسول فحدثوه ثم قال لعبد الله ابسط رجلك
فسحبا عليه السلام فكأنها لم يشتكها قط وعادت احسن ما كانت
فانظر رعاك الله الى ما كان عليه المسلمون من استسهال المضاعب مادامت
في ارضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضي الله عنهم وارضاهم

— سرية —

(ولما) قتل كعب ولي اليهود مكانه اسير بن رزام فارسل عليه السلام من يستعلم له خبره فجاءته الاخبار بأنه قال لقومه سأصنع بمحمد ما لم يصنعه احد قبلي اسير الى غطفان فأجمعهم لحر به وسعى في ذلك فارسل له عليه السلام عبد الله بن رواحه الخزرجي في ثلاثين من الانصار لاستماتته فخرجوا حتى قدموا خيبر وقلوا لاسير نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له قال نعم ولي مثل ذلك فأجابوه ثم عرضوا عليه ان يقدم على رسول الله ويترك ما عزم عليه من الحرب فيوليه الرسول على خيبر فيعيش أهلها بسلام فأجاب الى ذلك وخرج في ثلاثين يهودياً كل يهودي رديف لسلم وبيناهم في الطريق ندم اسير على مجيئه واراد التخلص مما فعل بالغدر بمن آمنوه فاهوى بيده الى سيف عبد الله بن رواحة فقال له أغدراً يا عدو الله ثم نزل وضر به بالسيف فاطاح عامة فخذته ولم يلبث ان هلك فقام المسلمون على من معه من اليهود فقتلوه عن آخرهم وهذا عاقبة الغدر.

— قصة عكل وعزينة —

قدم على رسول الله في شوال جماعة من عكل وعزينة فأظهروا الاسلام وبايعوا رسول الله وكانوا سقماً مصفرة الوانهم عظيمة بطونهم

فلم يوافقهم هواء المدينة فأمر لهم عليه السلام بدود من الابل معها راع
وامرهم بالحقوق بها في مرعاها ليشربوا من البانها وأبولها ففعلوا ولما تم
شفاءؤهم جازوا الاحسان كفراً فقتلوا الراعي ومثلوا به واستاقوا الابل
فلما بلغ ذلك رسول الله ارسل وراءهم كرز بن جابر الفهري في
عشرين فارساً فلحقوا بهم وقبضوا على جميعهم ولما حجيء بهم الى
المدينة أمر عليه السلام بأن يمثل بهم كما مثلوا بالراعي فقطعت ايديهم
وأرجلهم وسمرت اعينهم وألقوا بالحرّة حتى ماتوا فهكذا يكون جزاء
الخانن الذي لا ينتظر منه صلاح وعمل هوؤلاء الشريرين مما يدل
على فساد الاصل ولؤم العشيرة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد ذلك عن المثلة

— ❖ سرية ❖ —

جلس ابو سفيان بن حرب يوماً في نادي قومه فقال ألا رجل
يذهب لمحمد فيقتله غدراً فانه يمشي بالاسواق لنستريح منه فتقدم له
رجل وتعهد له بما أراد فاعطاه راحلة ونفقة وجهزه لذلك فخرج الرجل
حتى وصل الى المدينة صباح سادسة من خروجه فسأل عن رسول الله
فدل عليه وهو بمسجد بني عبد الاشهل فلما رآه عليه السلام قال ان
هذا الرجل ليريد غدراً وان الله مانعي منه فذهب لينحني على
الرسول فجذبه أسيد بن حضير من ازاره وهنالك سقط الخنجر فندم

الرجل على فعلته ثم سأله عليه السلام عن سبب عمله فصَدَقَه بعد ان توثق من حفظ دمه فدخل عليه عليه السلام سبيله فقال الرجل والله يا محمد ما كنت اخاف الرجال فما هو الا أن رأيتك فذهب عقلي وضعفت نفسي ثم انك اطلعت على ما هممت به مما لم يعلمه احد فعرفت انك ممنوع وأنك على حق وان حزب أبي سفيان حزب الشيطان ثم أسلم وعند ذلك ارسل عليه السلام عمرو بن أمية الضمري وكان رجلاً جريئاً فاتكأ في الجاهلية وأصبحه برفيق ليقبلا أبا سفيان غيلة جزاء اعتدائه فلما قدما مكة توجهما ليطوفا بالبيت قبل ان يؤديا ما ارسلاله فعرف عمرًا احد رجال مكة فقال هذا عمرو بن أمية ما جاء الا بشر فلما رأهم علموا به لم يجد مناصاً من الهرب فاصطحب معه رفيقه ورجعا الى المدينة وكان الله سبحانه أراد ان يعيش أبو سفيان حتى يسلم بيده مفاتيح مكة للمسلمين ويعتق الدين الخفيف القويم

—><—
غزوة الحديدية

رأى عليه السلام في نومه أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين فأخبر المسلمين أنه يريد العمرة واستنفر الاعراب الذين حول المدينة ليكونوا معه حذراً من أن تردهم قريش عن عمرتهم ولكن هؤلاء الاعراب أبطؤا عليه لانهم ظنوا أن لا ينقلب الرسول المؤمنين الى أهليهم أبداً وتخلصوا بأن قالوا اشغلنا

أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا فخرج عليه السلام بن معه من المهاجرين
والانصار تبلغ عدتهم ألفاً وخمسمائة وولى على المدينة ابن أم مكتوم
وأخرج معه زوجه أم سلمة وأخرج الهدى ليعلم الناس انه لم يأت محارباً
ولم يكن مع أصحابه شيء من السلاح الا السيوف القُرْب لان الرسول
لم يرض ان يحملوا السيوف مجردة وهم معتمرون ثم سار الجيش حتى
وصل عسفان (١) فجاءه عينه يخبره ان قريشاً أجمعت رأيها أن يصدوا
المسلمين عن مكة وأن لا يدخلوها عليهم عنوة أبداً وتجهزوا للحرب
وأعدوا خالد بن الوليد في مائتي فارس طليعة لهم ليصدوا المسلمين عن
التقدم فقال عليه السلام هل من رجل يأخذ بنا على غير طريقهم فقال
رجل من أسلم أنا يارسول الله فسار بهم في طريق وعرة ثم خرج بهم
الى مستوسهل يملك مكة من أسفلها فلما رأى خالد ما فعل المسلمون
رجع الى قريش وأخبرهم الخبر ولما كان عليه السلام بثنية المزار (٢)
بركت ناقته فزجروها فلم تقم فقالوا خلأت القصواء فقال عليه السلام
ما خلأت وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل والذي نفس
محمد بيده لا تدعوني قريش لخصلة فيها تعظيم حرمة الله الا أجبتهم
اليها مع أن المسلمين لو قاتلوا أعداءهم في مثل هذا الوقت لظفروا بهم

(١) موضع على مرحلتين من مكة

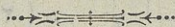
(٢) مهبط الحديبية

ولكن كف الله أيدي المسلمين عن قريش وكف أيدي قريش عن المسلمين كيلا تنتهك حرمت البيت الذي أراد الله ان يكون حرماً آمناً يوطد فيه المسلمون من جميع الاقطار دعائم اخوتهم فيه ثم أمرهم عليه السلام بالنزول في أقصى الحديبية (١) وهناك جاء بديل بن ورقاء الخزاعي رسولا من قريش يسأل عن سبب مجيء المسلمين فأخبره عليه السلام بمقصده فلما رجع بديل الى قريش وأخبرهم ذلك لم يثقوا به لانه من خزاعة الموالية لرسول الله كما كانت كذلك لاجدادهم وقالوا أريد محمد أن يدخل علينا في جنوده معتمراً تسمع العرب انه قد دخل علينا عنوة وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا والله لا كان هذا أبداً ومنا عين تطرف ثم أرسلوا حليس ابن علقمة سيد الاحابيش وهم حلفاء قريش فلما رآه عليه السلام قال هذا من قوم يعظمون الهدى ابغثوه في وجهه حتى يراه ففعلوا واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك حليس رجع وقال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا أتيج لحم وجمير ويمنع عن البيت ابن عبد المطلب هلكت قريش ورب البيت ان القوم أتوا معتمرين فلما سمعت قريش منه ذلك قالوا له اجلس انما أنت أعرابي لا علم لك بالملكيد ثم أرسلوا عروة بن مسعود الثقفي سيد أهل الطائف فتوجه

(١) بئر قرب مكة سميت الارض بأسمها

الى رسول الله وقال يا محمد قد جمعت أوباش الناس ثم جئت الى
أصلك وعشيرتك لتفضها بهم انها قريش قد خرجت تعاهد الله أن
لا تدخلها عليهم عنوة أبداً وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك
فقال منه أبو بكر وقال أئمن نكشف عنه ويحك وكان عروة يتكلم
وهو يس حية رسول الله فكان المغيرة بن شعبة يقرع يده اذا أراد
ذلك ثم رجع عروة وقد رأى ما يصنع بالرسول أصحابه لا يتوضأ وضوءاً
الا كادوا يقتلون عليه يتمسحون به واذا تكلموا خفضوا أصواتهم
عنده ولا يحدون النظر اليه فقال والله يا معشر قريش جئت كسرى
في ملكه وقيصر في عظمته فما رأيت ملكاً في قومه مثل محمد في
أصحابه ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً فانظروا رأيكم فانه
عرض عليكم رشداً فاقبلوا ما عرض عليكم فاني لكم ناصح مع أي أخاف
أن لا تنصروا عليه فقالت قريش لا تتكلم بهذا ولكن نرده عامناً
ويرجع الى قابل ثم ان الرسول اختار عثمان بن عفان رسولاً من
عنده الى قريش حتى يعلمهم مقصده فتوجه وتوجه معه عشرة استأذنوا
الرسول في زيارة اقاربهم وامر عليه السلام عثمان أن يأتي المستضعفين
من المؤمنين بمكة فيشرهم بقرب الفتح وان الله مظهر دينه فدخل
عثمان مكة في جوار أبان بن سعيد الاموي فبلغ ما حمل فقالوا ان محمداً
لا يدخلها علينا عنوة أبداً ثم طلبوا منه ان يطوف بالبيت فقال لا
أطوف ورسول الله ممنوع ثم انهم حبسوه فشاغ عند المسلمين أن عثمان

قتل فقال عليه السلام حينما سمع ذلك لا نبرح حتى نناجزهم الحرب



○ بيعة الرضوان ○

ودعا الناس للبيعة على القتال فبايعوه تحت شجرة هناك (١) (سميت بعد بشجرة الرضوان) على الموت فشاخ أمر هذه البيعة في قريش فدخلهم منها رعب عظيم وكانوا قد أرسلوا خمسين رجلا عليهم مكرز بن حفص ليظفوا بعسكر المسلمين عليهم يصيدون منهم غرة فأسرهم حارس الجيش محمد بن مساة وهرب رئيسهم ولما علمت بذلك قريش جاء جمع منهم وابتدؤا يناوشون المسلمين حتى أسر منهم اثنا عشر رجلا وقتل من المسلمين واحد



○ صلح الحديبية ○

وعند ذلك خافت قريش وأرسلت سهيل بن عمرو للمكاملة في الصلح فلما جاء قال يا محمد ان الذي حصل ليس من رأي عقلائنا بل شيء قام به السفهاء منا فابعث الينا بمن أسرت فقال حتى ترسلوا من عندهم وعندئذ أرسلوا عثمان والعشرة الذين معه ثم عرض سهيل

(١) أمر عمر بقطعها زمن خلافته لما رأى تبرك الناس بها فليتمل

الشروط التي تريدها قريش وهي (١) وضع الحرب بين المسلمين وقريش أربع سنوات (٢) من جاء المسلمين من قريش يردونه ومن جاء قريشاً من المسلمين لا يلزمون برده (٣) أن يرجع النبي من غير عمرة هذا العام ثم يأتي العام المقبل فيدخلها باصحابه بعد ان يخرج منها قريش فيقيم بها ثلاثة ايام ليس مع اصحابه من السلاح الا السيف في القراب والقوس (٤) من اراد ان يدخل في عهد محمد من غير قريش دخل فيه ومن اراد ان يدخل في عهد قريش دخل فيه فقبل عليه السلام كل هذه الشروط اما المسلمون فدخلهم منها امر عظيم وقالوا سبحان الله كيف نرد اليهم من جاءنا مسلماً ولا يردون من جاءهم مرتدداً فقال عليه السلام انه من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم فرددناه اليهم فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً اما الامر الثالث وهو صد المسلمين عن الطواف بالبيت فكان اشد تأثيراً على قلوبهم لان الرسول اخبرهم انه رأى في منامه أنهم دخلوا البيت آمنين وقد سأل عمر أبا بكر في ذلك فقال رضي الله عنه وهل ذكر انه في هذا العام ثم كتبت شروط الصلح بين الطرفين وكان الكاتب علي بن أبي طالب فأملاه عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اكتب باسمك اللهم فأمره الرسول بذلك ثم قال هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال سهل لو نعلم أنك رسول الله ما خالفناك اكتب محمد بن عبد الله فأمر عليه السلام علياً بمحو ذلك

وكتابة محمد بن عبد الله فامتنع فمحاها النبي بيده وكتبت نسختان نسخة
القريش ونسخة للمسلمين وبعد كتابة الشروط جاءهم أبو جندل بن
سهيل يحجل في قيوده وكان من المسلمين ممنوعين من الهجرة فهرب
للمسلمين هذه المرة ليحموه فقتل عليه السلام اصبر واحتسب فان الله
جعل لك ولمن معك له من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا
بين القوم صلحاً وأعطيناهم وأعطينا على ذلك عهداً فلا تغدربهم. هذا
وقد دخلت قبيلة خزاعة في عهد رسول الله ودخل بنو بكر في
عهد قریش

ولما انتهى الامر أمر عليه السلام أصحابه أن يحلقوا رؤسهم
وينحروا الهدى ليتحللوا من عمرتهم فاحتمل المسلمون من ذلك هما
عظيماً حتى انهم لم يبادروا بالامتنال فدخل عليه السلام على أم
المؤمنين أم سلمة وقال لها هلك المسلمون أمرتهم فلم يمشوا فقالت
يا رسول الله اعذرهم فقد حملت نفسك أمراً عظيماً في الصلح ورجع
المسلمون من غير فتح فهم لذلك مكروبون ولكن أخرج يا رسول
الله وابدأهم بما تريد فاذا رأوك فعلت تبعوك فقام عليه السلام الى هدية
فنحرها ودعا بالخالق فحلق رأسه فلما رآه المسلمون توثبوا الى الهدى
فنحروه وحلقوا ثم رجع المسلمون الى المدينة وقد آمن كل فريق الآخر
ولما قرر قرارهم جاءتهم مهاجرة أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت
عثمان لأمه فطلبها المشركون فقالت يا رسول الله اني امرأة وان أرجعت

اليهم فتونى في ديني فانزل الله في سورة الممتحنة (يا أيها الذين آمنوا
إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بأيمانهن فان علمتموهن
مؤمنات فلا ترجعهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن
وأتوهن ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتهن أجورهن
ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم
حكم الله ليحكم بينكم والله عليم حكيم) فكانت المرأة المهاجرة تستحلف
انها ما خرجت رغبة بارض عن ارض ولا من بغض زوج ولا لالتماس
دنيا ولا لرجل من المسلمين وما خرجت الا حبا لله ولرسوله ومتى
حلفت لا ترد بل يعطى لزوجها المشرك ما أنفقه عليها ويجوز للمسلم
تزوجها وفي الاية تحريم امساك الزوجة الكافرة بل ترد الى اهليها
بعد ان يعطوا ما أنفقوا عليها (وقد تمكن) ابو بصير عتبة بن اسيد
الثقفى رضي الله عنه من الفرار الى رسول الله فأرسلت قريش في اثره
رجلين يطلبان تسليمه فأمره عليه السلام بالرجوع معهما فقال يا رسول
الله أتردني الى الكفار يفتونى في ديني بعد ان خلصني الله منهم فقال
ان الله جاعل لك ولاخوانك فرجا فلم يجد بدا من اتباعه فرجع مع
صاحبيه ولما قارب ذا الحليفة عدا على احدهما فقتله وهرب منه الآخر
فرجع الى المدينة وقال يا رسول الله وقت ذمتك أما انا فنجوت فقال
له اذهب حيث شئت ولا تقم بالمدينة فذهب الى محل بطريق الشام
تمر به تجارة قريش فاقام به واجتمع معه جمع ممن كانوا مسلمين بمكة

ونجوا وسار اليه ابو جندل بن سهيل واجتمع اليه جمع من الاعراب
وقطعوا الطريق على تجارة قريش حتى قطعوا عنهم الامداد فارسل
رجال قريش لرسول الله يستغيثون به في ابطال هذا الشرط ويعطونه
الحق في امساك من جاء مسلماً فقبل منهم ذلك وازاح الله عن
المسلمين هذه الغمة التي لم يتمكنوا من تحملها في الحديبية حينما امرهم
عليه السلام برد ابي جندل وعلمو ان راي رسول الله افضل واحسن
من رايهم حيث كان فيه امن تسبب عنه اختلاط الكفار بالمسلمين
فخالطت بشاشة الاسلام قلوبهم حتى قال ابو بكر رضي الله عنه
ما كان فتح في الاسلام اعظم من فتح الحديبية ولكن الناس قصر
رايهم عما كان بين محمد ور به والعباد يعجلون والله لا يعجل لعجلة
العباد حتى تبلغ الامور ما اراد وفي رجوعه عليه السلام من الحديبية
نزات عليه سورة الفتح وقال الله سبحانه في اولها (انا فتحنا لك فتحاً
مبيناً) وفي تسمية هذه الغزوة بالفتح المبين تصديق لما قدمناه لك
عن الصديق

— ❦ —
❦ مكاتبة الملوك ❦ —

بعد رجوع المسلمين من الحديبية في اواخر سنة ست وأمن الطرق
من قريش كاتب عليه السلام ملوك الارض يدعوهم الى الاسلام

واتخذ اذ ذاك خاتماً من فضة يختتم به خطاباته وكان نقشه (محمد رسول الله) فوجه دحية الكلبي بكتاب الى قيصر ملك الروم وأمره أن يرفعه الى عظيم بصرى ليوصله الى الملك

—><—
﴿ كتاب قيصر ﴾

وكان في الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فاما عليك اثم الارييسين (١) ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً آرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)

—><—
﴿ حديث أبي سفيان ﴾

ولما وصل هذا الكتاب قيصر قال انظروا لنا من قومه أحداً نسأله عنه وكان أبو سفيان بن حرب بالشام مع رجال من قریش في تجارة فجاءت رسل قيصر لابي سفيان ودعوه لمقابلة الملك فأجاب ولما قدموا عليه في القدس قال لترجمانه سلهم أيهم اقرب نسباً بهذا الرجل الذي

يزعم أنه نبي فقال أبو سفيان أنا لانه لم يكن في الركب من بني عبد مناف غيره فقال قيصر ادن مني ثم أمر بأصحابه فجعلوا خلف ظهره ثم قال لترجمانه قل لأصحابه انما قدمت هذا امامكم لأسأله عن هذا الرجل الذي يزعم انه نبي وقد جعلتكم خلفه كيلا تحجلوا من رد كذبه عليه اذا كذب ثم سأله كيف نسب هذا الرجل فيكم قال هو فينا ذونسب قال هل تكلم بهذا القول أحد منكم قبله قال لا قال هل كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قال لا قال فهل كان من آباءه من ملك قال لا قال فاشراف الناس يتبعونه ام ضعفاؤهم قال بل ضعفاؤهم قال فهل يزيدون ام ينقصون قال بل يزيدون قال هل يرتد احد منهم سخطة لدينه قال لا قال هل يغدر اذا عاهد قال لا ونحن الآن منه في ذمة لاندرى ما هو فاعل فيها قال فهل قاتلتموه قال نعم قال فكيف حربكم وحربه قال الحرب بيننا وبينه سجال مرة لنا ومرة علينا قال فبم يأمركم قال يقول اعبدوا الله وحده ولا تشرکوا به شيئاً وينهي عما كان يعبد آباؤنا ويأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد واداء الامانة فقال الملك اني سألتك عن نسبه فرعمت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله فرعمت ان لا فلو كان احد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتي بقول قيل قبله وسألتك هل كنتم تهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فرعمت ان لا فقلت ما كان ليدر الكذب على

الناس ويكذب على الله وسألتك هل كان من آباءه من ملك فقلت
لا فلو كان من آباءه ملك لقلت رجل يطلب ملك ابيه وسألتك
اشراف الناس يتبعونه ام ضعفاؤهم فقلت ضعفاؤهم وهم اتباع الرسل
وسألتك هل يزيدون أم ينقصون فقلت بل يزيدون وكذلك الايمان
حتى يتم وسألتك هل يرد احد منهم سخطة لدينه فقلت لا وكذلك
الايمان حين تخالط بشاشته القلوب وسألتك هل قاتلتموه فقلت نعم
وان الحرب بينكم وبينه سجال وكذلك الرسل تبلي ثم تكون لهم
العاقبة وسألتك بماذا يأمر فرعمت انه يأمر بالصلاة والصدق والعفاف
والوفاء بالعهد واداء الامانة وسألتك هل يغدر فذكرت ان لا وكذلك
الرسل لا تغدر فعلمت انه نبي وقد علمت انه مبعوث ولم اظن انه
فيكم وان كان ما كتبتى به حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين ولو اعلم
اني اخلص اليه لتكلفت ذلك قال ابوسفيان فغلت اصوات الذين
عنده وكثر لغظهم فلا ادري ما قالوا وامر بنا فاخرجنا فلما خرج ابو
سفيان مع اصحابه قال لقد بلغ امر ابن ابي كبشة ان يخافه ملك بني
الاصفر . ولما سار قيصر الى حمص اذن لعطاء الروم في دسكرة له ثم
امر بابوابها فاغلقت ثم قال يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد
وان يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي فخاصوا حيصة حمر الوحش الى
الابواب فوجدوها مغلقة فلما رأى قيصر نفرتهم قال ردوهم عليّ فقال
لهم اني قتلت مقاتلي اخترت بها شدتكم على دينكم فسجدوا له ورضوا

عنه فغلبه حب ملكه على الاسلام فذهب باثمه واثم رعيته كما قال عليه
الصلاة والسلام ولكنه رد دحية رداً جميلاً

— ❦ كتاب أمير بصرى ❦ —

وارسل عليه السلام الحارث بن عمير الازدي بكتاب الى امير
بصرى فلما بلغ مؤتة وهي قرية من عمل البلقاء بالشام تعرض له شرحبيل
ابن عمرو الغساني فقال له اين تريد قال الشام قال لملك من رسل محمد
قال نعم فأمر به فضربت عنقه ولم يقتل لرسول الله عليه الصلاة والسلام
رسول غيره وقد وجد لذلك وجداً شديداً

— ❦ كتاب الحارث بن أبي شمر ❦ —

ووجه عليه السلام شجاع بن وهب الى امير دمشق من قبل
هرقل الحارث بن ابي شمر وكان يقيم بغوطها وفيه (بسم الله الرحمن
الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن ابي شمر سلام على من اتبع
الهدى وآمن بالله وصدق واني ادعوك ان تؤمن بالله وحده لا شريك
له ييق ملكك) فلما قرأ الكتاب رمى به وقال من ينزع ملكي مني
واستعد ليرسل جيشاً لحرب المسلمين وقال لشجاع اخبر صاحبك بما
ترى ثم ارسل الى قيصر يستأذنه في ذلك وصادف ان كان عنده
دحية فكتب قيصر اليه يثنيه عن هذا العزم ويأمره بأن يهبيء بايليا

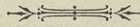
ما يلزم لزيارته فانه بعد ان قهر الفرس نذر زيارتها فلما راى الحارث
كتاب قيصر صرف شجاع بن وهب بالحسنى ووصله بنفقة وكسوة



كتاب المقوقس

ووجه عليه السلام حاطب بن ابي بلتعة بكتاب الى المقوقس امير
مصر من جهة قيصر وكان فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول
الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى اما بعد فأني
ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرک مرتين وان توليت
فانما عليك اثم القبط ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة الآية) فأوصله له
حاطب باسكندرية فلما قرأه قال ما منعه ان كان نبياً ان يدعو على
من خلفه واخرجه من بلده فقال حاطب الست تشهد ان عيسى ابن
مريم رسول الله فما له حيث اخذه قومه فأرادوا ان يقتلوه ان لا يكون
دعا عليهم ان يهلكهم الله حتى رفعه الله اليه قال احسنت انت حكيم
جاء من عند حكيم ثم قال اني قد نظرت في امر هذا النبي فوجدت
انه لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم اجده بالساحر
الضال ولا الكاهن الكذاب ووجدت معه آلة النبوة اخراج الغائب
المستور والاخبار بالنجوى وسأناظر ثم كتب رد الجواب يقول فيه (بسم
الله الرحمن الرحيم) لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام
عليك اما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه

وقد علمت ان نبياً قد بقي وكنت اظن انه يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط وبتياب واهديت اليك بغلة تركبها والسلام) واحدى الجاريتين مارية التي تسري بها عليه الصلاة والسلام وجاء منها بولده ابراهيم والاخرى اعطاها لحسان ابن ثابت ولم يسلم المقوقس



— كتاب النجاشي —

ووجه عليه السلام عمرو بن امية الضمري بكتاب الى النجاشي ملك الحبشة وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي عظيم الحبشة سلم اما بعد فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله و كلمته القاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده واني ادعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاتة على طاعته وان تتبعني وتوقن بالذي جاءني فاني رسول الله واني ادعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى) ولما وصله الكتاب احترمه غاية الاحترام وقال لعمرو اني اعلم والله ان عيسى بشر به ولكن اعوانى بالحبشة قليل فانظرنى حتى اكثر الاعوان والبن القلوب . وقد عرض عمرو على من بقي من مهاجري الحبشة الرجوع الى رسول الله بالمدينة

وكان من المهاجرين ام حبيبة بنت ابي سفيان زوج عميد الله بن جهش
الذي كان اسلم وهاجر بها ولكن قد غلبت عليه الشقاوة فتتصرق تزوج
عليه السلام ام حبيبة وهي بالحبشة والذي زوجها له النجاشي بتوكيل
منه عليه السلام

— كتاب كسرى —

ووجه عليه السلام عبد الله بن حذافة السهمي بكتاب الى
كسرى ملك الفرس وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول
الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله
ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده
ورسوله ادعوك بدعاية الله فاني انا رسول الله الى الناس كافة لانذر
من كان حياً ويحق القول على الكافرين أسلم تسلّم فان ايت فانما
عليك اثم المجوس) فلما وصله الكتاب مزقه استكباراً ولما بلغه عليه
السلام ذلك قال (مزق الله ملكه كل ممزق) وقد فعل فكانت
مملكته اقرب الممالك سقوطاً وقد بدأ هذا الشقي بالعدوان فارسل
لعامله باليمن ان يوجه الى الرسول من يأتي به اليه فعاجله الله بقيام
ابنه شيرويه عليه وقتله له ثم ارسل لعامل اليمن ينهاه عما امره به ابوه



— كتاب المنذر بن ساوي —

ووجه عليه السلام العلاء بن الحضرمي بكتاب الى المنذر بن
ساوي ملك البحرين يدعوه فيه الى الاسلام وفيه (بسم الله الرحمن
الرحيم سلم انت فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فان
من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله
وذمة الرسول من احب ذلك من المجوس فانه آمن ومن ابى فان
عليه الجزية) فاسلم وكتب في رد الجواب (اما بعد يا رسول الله
فاني قرأت كتابك على اهل البحرين فمنهم من احب الاسلام
واعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبارضي مجوس ويهود فأحدث
الي في ذلك امرك) فكتب اليه عليه السلام (بسم الله الرحمن
الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوي سلام عليك فاني احمد
الله اليك الذي لا اله الا هو وأشهد ان لا اله الا الله وان محمداً
عبده ورسوله اما بعد فاني اذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما
ينصح لنفسه وانه من يطع رسلي ويتبع امرهم فقد اطاعني ومن نصح
لهم فقد نصح لي وان رسلي قد اثنوا عليك خيراً واتي شفعتك في
قومك فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه وعفوت عن اهل الذنوب فاقبل
منهم وانك مهما تصلح فلن نغيرك عن عمالك ومن اقام على يهوديته
او مجوسيته فعليه الجزية)

— كتاب ملكي عمان —

ووجه عليه السلام عمرو بن العاص بكتاب الى جيفر وعبد
ابني الجلندي ملكي عمان وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد
رسول الله الى جيفر وعبد ابني الجلندي سلام على من اتبع الهدى
اما بعد فاني ادعوكما بدعاية الاسلام أسلما تسلما فاني رسول الله الى
الناس كافة لانذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين وانكما ان
اقررتما بالاسلام وليتكما وان ايتما فان ملككما زائل وخيلي تحل
بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما والسلام)

فلما حل بناديهما عمرو سأله عبد بن الجلندي عما يأمر به الرسول
وينهى عنه فقال يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر
بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر وعن
عبادة الحجر والوثن والصليب فقال ما احسن هذا الذي يدعو اليه
ولو كان اخي يتابعني لركبنا حتى نوؤمن بمحمد ونصدق به ولكن اخي
أضن بملكه من ان يدعه ويصير تابعا قال عمرو ان أسلم اخوك ملكه
رسول الله على قومه فأخذوا الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم
فقال عبد ان هذا خلق حسن وما الصدقة فأخبره بما فرض الله من
الصدقات في الاموال ولما ذكر المواشي قال يا عمرو يؤخذ من سواهم
مواشينا التي ترعى في الشجر وترد المياه قال نعم فقال عبد والله ما

أرى قومي على بعد دارهم وكثرة عددهم يرضون بهذا ثم ان عبداً
اوصل عمراً لاخته جيفر فتكلم معه عمرو بما ألان قلبه حتى أسلم هو
وأخوه ومكناه من الصدقات

— ❦ — كتاب هودة بن علي ❦ —

ووجه عليه السلام سليط بن عمرو العامري بكتاب الى هودة
ابن علي ملك اليمامة وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول
الله الى هودة بن علي سلام علي من اتبع الهدى واعلم ان ديني
سيظهر الى منتهى الخلف والخافر فأسلم تسلم واجعل لك ما تحت
يديك) فلما جاءه الكتاب كتب في رده (ما احسن ما تدعو اليه
واجمله وانا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل لي
بعض الامر اتبعك) ولما بلغ ذلك رسول الله قال لو سأني قطعة من
الارض ما فعلت باد وباد ما في يديه فلم يلبث ان مات منصرف
الرسول صلى الله عليه وسلم من فتح مكة وكان عليه السلام يولي على
كل قوم قبلوا الاسلام كبيرهم

— ❦ — السنة السابعة غزوة خيبر ❦ —

وفي محرم السنة السابعة امر عليه السلام بالتجهز لغزو يهود خيبر

الذين كانوا اعظم مهيج للاحزاب ضد رسول الله في غزوة الخندق
والذين لا يزالون مجتهدين في مخالفة الاعراب ضد رسول الله كما
قدمنا ذلك في قصة كعب بن الاشرف وقد استنفر رسول الله لذلك من
حوله من الاعراب الذين كانوا معه بالحديبية وجاء المخلفون عنها
ليؤذن لهم فقال عليه السلام لا تخرجوا معي الا رغبة في الجهاد اما
الغنيمة فلا اعطيكم منها شيئاً وامر منادياً ينادي بذلك ثم خرج عليه
السلام بعد ان ولى على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وكان معه
من ازواجه ام سلمة ولما وصل جيش المسلمين الى خيبر التي تبعد عن
المدينة نحو مائة ميل من الشمال الغربي رفعوا اصواتهم بالتكبير والدعاء
فقال عليه السلام (ارفقوا بأنفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائباً
انكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم) وكانت حصون خيبر ثلاثاً
منفصلة عن بعضها وهي حصون النطاة وحصون الكثبية وحصون
الشق والاولى ثلاث حصن ناعم وحصن الصعب وحصن قلة والثانية
حصن ابن حصن وحصن البرى والثالثة ثلاث حصون حصن
القموص وحصن الوطيح وحصن السلام فبدا عليه السلام بحصون
النطاة وعسكر المسلمون شرقيه بعيداً عن مدى النبل وامر عليه
السلام ان يقطع نخلم ليرهبهم حتى يسلموا فقطع المسلمون نحو
اربعائة نخلة ولما رأى عليه السلام تصميم اليهود على الحرب نهى
عن القطع ثم ابتداء القتال مع حصن ناعم بالمرامة وكان لواء

المسلمين بيد احد المهاجرين فلم يصنع في ذلك اليوم شيئاً وفيه مات محمود بن مسلمة اخو محمد بن مسلمة وصار عليه السلام يغدو كل يوم مع بعض الجيش للمناوشة ويخلف على العسكر احد المسلمين حتى اذا كانوا في الليلة السابعة ظفر حارس الجيش وهو عمر بن الخطاب يهودي خارج في جوف الليل فاتى به رسول الله عليه السلام ولما ادرك الرجل الرعب قال ان اتمموني ادلكم على امر فيه نجاحكم فقالوا دلنا فقد أمنك فقال ان اهل هذا الحصن ادركهم الملال والتعب وقد تركتهم يبعثون بأولادهم الى حصن الشق وسيخرجون لقتالكم غداً فاذا فتح عليكم هذا الحصن غدا فاني ادلكم على بيت فيه منجنيق ودبابات (١) ودروع وسيوف يسهل عليكم بها فتح بقية الحصون فانكم تنصبون المنجنيق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيقبون الحصن فتفتحه من يومك فقال عليه السلام لمحمد بن مسلمة سأعطي الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبانه فبات المهاجرون والانصار كلهم يتمنونها حتى قال عمر بن الخطاب ما تمت الامارة الا ليلتئذ فلما كان الغد سأل عليه السلام عن علي بن ابي طالب فقيل له انه ارمد فأرسل من يأتيه به ولما جاء تفل في عينيه فشفاهما الله كأن

(١) الدبابة آلة تتخذ للحروب فتدفع في اصل الحصن فينقبونه

وهم في جوفها

لم يكن بهما شيء ثم اعطاه الراية فتوجه مع المسلمين للقتال وهناك وجدوا اليهود متجهزين فخرج يهودي يطلب البراز فقتله علي ثم خرج مرحب وهو اشجع القوم فالحقه برفيقه فخرج اخوه ياسر فقتله ازبير بن العوام ثم حمل المسلمون على اليهود حتى كشفوهم عن مواقفهم وتبعوهم حتى دخلوا الحصن بالقوة وانهزم الاعداء الى الحصن الذي يليه وهو حصن الصعب وغنم المسلمون من حصن ناعم كثيراً من الخبز والتمر ثم تبعوا اليهود الى حصن الصعب فقاتل عنه اليهود قتالاً شديداً حتى رد عنه المسلمون ولكن ثبت الحباب بن المنذر ومن معه وقتلوا قتالاً شديداً حتى هزموا اليهود فتبعوهم حتى اقتحموا عليهم الحصن فوجدوا فيه غنائم كثيرة من الطعام فأمر عليه السلام منادياً يقول كلوا واعلفوا دوابكم ولا تأخذوا شيئاً ثم ان الذين انهزموا من هذا الحصن ساروا الى حصن قلة فتبعهم المسلمون وحاصروهم ثلاثة ايام حتى استصعب عليهم فتحه وفي اليوم الرابع دلهم يهودي على جداول الماء التي يستقي منها اليهود فمنعوا عنها فخرجوا وقتلوا قتالاً شديداً انتهى بهزيمتهم الى حصون الشق فتبعهم المسلمون وبدؤا بحصن ابي فخرج اهله وقتلوا قتالاً شديداً ابلى فيه ابو دجانة الانصاري بلاءاً حسناً حتى تمكن من دخول الحصن غنوة ووجد المسلمون فيه اثاثاً كثيراً ومتاعاً وغنماً وطعاماً وهرب المهزومون منه الى حصن البريء فتمنعوا به اشد تمنع وكان اهله اشد اليهود رمياً بالنبل والحجارة حتى اصاب رسول الله بعض منه

فنصب المسلمون عليه المنجنيق فوقع في قلب اهله الرعب وهربوا منه
من غير عناء شديد فوجد فيه المسلمون اواني لليهود من نحاس وفخار
فقال عليه السلام اغسلوها واطبخوها فيها ثم تتبع المسلمون بقايا العدو
الى حصون الكثبية وبدؤوا بحصن القموص فحاصروه عشرين ليلة
ثم فتحه الله على يد علي بن ابي طالب ومنه سبيت صفية بنت حيي
ابن اخطب ثم سار المسلمون لحصار حصني الوطيح والسلام فلم يقاوم
اهلهما بل ساموا طالين حقن دماهم وان يخرجوا من ارض خيبر بذرار يهيم
لا يصطحب الواحد منهم الا ثوباً واحداً على ظهره فاجابهم رسول
الله الى ذلك وغنم المسلمون من هذين الحصنين مائة درع واربعمائة
سيف والفرس وخمسمائة قوس عربية ووجدوا صحفاً من التوراة
فسلموها لطالبيها وقد امر عليه السلام بقتل كنانة بن ابي الحقيق لانه
انكر حلي بن حيي بن اخطب وقد عثر عليها المسلمون فوجدوا فيها اساور
ودمالج وخلاخيل واقرطة وخواتيم الذهب وعقود الجواهر والزمرد
وغير ذلك

(هذا) والذين استشهدوا من المسلمين بخير خمسة عشر رجلاً
وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون رجلاً وفي هذه الغزوة أهدت احدى
نساء اليهود كراع شاة مسمومة لرسول الله فأخذ منها مضغة ثم لفظها
حيث علم انها مسمومة وأكل منها بشر بن البراء فمات لوقته واحتجم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيء له بالمرأة التي فعلت هذه الفعلة

فسألها عن سبب ذلك فأجابت قلت ان كان نبياً لن يضره وان كان
كاذباً أراحنا الله منه فعفا عنها عليه السلام

— ❦ — زواج صفية ❦ —

وبعد تمام الظفر والنصر تزوج عليه السلام صفية بنت حي
سيد بني النضير وأصدقها عتقها وقد أسامت رضي الله عنها فشرفت
بأمومة المؤمنين

— ❦ — النهي عن نكاح المتعة ❦ —

(ونهى) عليه السلام وهو بخير عن نكاح المتعة وهي النكاح
لاجل وقد كان حلا في الجاهلية واستعمل في بدء الاسلام حتى حرمه
الشرع في هذه السنة (ونهى) كذلك عن اكل لحوم الحمر الالهية
فاكفأ المسلمون قدورها بعد ان نضجت ولم يطعموها

— ❦ — رجوع مهاجري الحبشة ❦ —

(وحين) رجوع المسلمين من خيبر قدم من الحبشة جعفر ابن
أبي طالب ومعه الاشعريون أبو موسى وقومه بعد أن أقاموا فيها نحواً
من عشر سنين آمنين مطمئنين وفرح عليه السلام بمقدمهم فرحاً عظيماً
وأعطى للاشعريين من مغنم الحصون المفتوحة صلحاً وكان مع جعفر

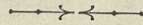
فقاتلهم المسلمون وأصابوا منهم أحد عشر رجلاً وغنموا منهم مغانم كثيرة
خمسها عليه السلام وترك الأرض في أيدي أهلها يزعمونها بشرط ما
يخرج منها وكذلك صنع بأرض خيبر وكان يرسل اليهم عبد الله بن
رواحة لتقدير الثمر وكان تقديره شديداً عليهم فأرادوا أن يرشوه فقال
لهم يا أعداء الله تعطوني السحت والله لقد جئتكم من عند أحب الناس
إلي ولا تم أبغض إلي من القردة والخنزير ولا يحملني بغضي إياكم
وحبي إياه على أن لا أعدل (هذا) وبتقياد جميع اليهود المجاورين
للمدينة ارتاح المسلمون من شر عدو كان يتربص بهم الدوائر مهما
كان بين الفريقين من اليهود والمواثيق ورجع المسلمون مؤيدين ظافرين

— ❦ — اسلام خالد ورفيقه ❦ —

وأعقب هذه الغزوة وهذا الفتح المبين اسلام ثلاثة طالما كانت
لهم اليد الطولى في قيادة الجيوش لحرب المسلمين وهم خالد ابن الوليد
الخنزومي وعمرو بن العاصي السهمي وعثمان بن أبي طلحة العبدي فسر
بهم عليه السلام سروراً عظيماً وقال خالد (الحمد لله الذي هداك قد
كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك الا الى خير) فقال يا
رسول الله ادع الله لي أن يغفر تلك المواطن التي كنت أشهدا عليك
فقال له عليه السلام (الاسلام يقطع ما قبله)

— سرية —

وفي شعبان بلغه عليه السلام أن جمعاً من هوازن بتربة (١) يظهرون العداوة للمسلمين فأرسل لهم عمر بن الخطاب في ثلاثين رجلاً فسار إليهم ولما بلغهم الخبر تفرقوا فلم يجد بها عمر أحداً فرجع



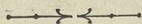
— سرية —

(ثم) ارسل بشير بن سعد الانصاري لقتال بني مرّة بناحية فدك فلما ورد بلادهم لم يرمهم أحداً فأخذ نعمهم أما القوم فكانوا في الوادي فجاءهم الصريح فأدركوا بشيراً ليلاً وهو راجع فتراموا بالنبل ولما أصبح الصبح اقتتل الفريقان قتالاً شديداً حتى قتل غالب المسلمين وجرح بشير جرحاً شديداً حتى ظن انه مات ولما انصرف عنه العدو تحامل حتى جاء الى رسول الله وأخبره الخبر (وفي رمضان) ارسل عليه السلام غالب بن عبيد الله الليثي الى اهل الميعة (٢) في مائة وثلاثين رجلاً فساروا حتى هجموا على القوم فقتلوا بعضاً وأسروا آخرين وفي اثناء الحرب طارد أسامة بن زيد رجلاً من المشركين

(١) موضع صنعاء ومكة

(٢) على ثمانية برد من المدينة بناحية نجد

ولما رأى المشرك الموت في يد أسامة تشهد فظن أسامة ان عدوه انما
قال ذلك تخلصاً فقتله ولما رجع المسلمون الى المدينة واخبر عليه السلام
بفعله أسامة قال اقتلته بعد ان قال لا اله الا الله فكيف تصنع بلا اله
الا الله قال يا رسول الله انما قالها متعوذاً من القتل قال عليه السلام
فهلاً شقت عن قلبه فتعلم اصادق هو ام كاذب فقال يا رسول الله
استغفر لي قال عليه السلام فكيف بلا اله الا الله فما زال يكررها حتى
تمنى أسامة انه لم يسلم قبل ذلك اليوم وانزل الله في ذلك في سورة
النساء (ولا تقولوا لمن اتى اليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض
الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة) ثم امر عليه السلام أسامة ان
يعتق رقبة كفارة لانه قتل خطأ



سرية

(وفي) شوال بلغه عليه السلام ان عيينة بن حصن واعد جماعة
من غطفان كانوا مقيمين قريباً من خيبر بارض اسمها ين وجبار للاغارة
على المدينة فارسل لهم بشير بن سعد في ثلاثمائة رجل فساروا اليهم
بكنون النهار ويسرون الليل حتى اتوا محلهم فاصابوا نعماً كثيراً
وتفرق الزعاء فاخبروا قومهم فرعبوا ولحقوا بعلياً بلادهم ولم يظفر
المسلمون الا برجلين أسلما ثم رجعوا بالغنائم الى المدينة



✽ — عمرة القضاء — ✽

لما حال الحول على عمرة الحديبية خرج عليه السلام بمن صد معه
 فيها ليقضي عمرته واستخلف على المدينة ابا ذر الغفاري وساق معه
 الهدى ستين بدنة واخرج معه السلاح حذراً من غدر قريش وكان
 معه مائة فرس عليها بشير بن سعد واحرم عليه السلام من باب المسجد
 المدني ولما انتهى الى ذي الحليفة قدم الخليل امامه فقيل يا رسول الله
 حمت السلاح وقد شرطوا ان لا تحمله فقال عليه السلام لا ندخل
 الحرم به ولكن يكون قريباً منه فان هاجنا هاج فرعنا له فلما كان بمر
 الظهر ان قابله نفر من قريش ففرعوا من هذه العدة وأسرعوا الى
 قومهم فاخبروهم فجاءه فتيان منهم وقالوا والله يا محمد ما عرفت بالغدر
 صغيراً ولا كبيراً وانا لم نحدث حدثاً فقال انا لا ندخل الحرم بالسلاح
 ولما حان وقت دخول مكة خرج اهلوها كارهين رؤية المسلمين
 يطوفون بالبيت فدخل عليه السلام واصحابه متوشحين سيوفهم من
 ثنية كداء وامامه عبد الله بن رواحة يقول لا اله الا الله وحده صدق
 وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده وطاف عليه
 السلام بالبيت وهو على راحلته واستلم الحجر بحجته وامر اصحابه ان
 يسرعوا ثلاثة اشواط اظهاراً للقرة لان المشركين قالوا سيطوف اليوم
 بالكعبة قوم نهكتهم حتى يثرب فقال عليه السلام رحم الله أمراً أراهم

من نفسه قوة واضطبع عليه السلام بردائه وكشف عضده اليميني شأن
الفتوة وفعل مثله المسلمون وقد اتم المسلمون طوافهم بالبيت آمنين
محلّقين رؤسهم ومقصرين كما رأى عليه السلام في منامه

— ❦ —

❦ زواج ميمونة ❦

وتزوج صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ميمونة بنت الحارث
الهلالية زوج عمه حمزة بن عبد المطلب شهيد أحد وخالة عبد الله بن
عباس وهي آخر نسائه زواجاً ولم يدخل بها الا بعد الخروج من مكة
حيث كان بسرف (١) ولما خرج عليه السلام أمر الذين كان تركهم
لحراسة الخيل بالذهاب ليطوفوا ففعلوا ثم رجع عليه السلام الى المدينة
فرحاً مسروراً بما حباه الله به من تصديق رؤياه

— ❦ —

❦ السنة الثامنة ❦

❦ سرية ❦

وفي صفر أرسل عليه السلام غالب بن عبد الله الليثي الى بني
الملوِّح وهم قوم من العرب يسكنون بالكديد (٢) فسار القوم حتى

(١) موضع قرب التنعيم

(٢) موضع بين عسفان وقديد

إذا كانوا بقديد التقوا بالحارث بن مالك الليثي المعروف بابن البرصاء
وكان خصماً لدوداً للمسلمين فأسروه فقال لهم ما جئت الا للاسلام
فقالوا له ان تكن مسلماً لن يضرك رباط ليلة والا استوثقنا منك ثم
ساروا حتى وصلوا محلة بني الملوح فاستاقوا النعم والشاء وخرج الضريح
الى القوم فجاءهم ما لا قبل لهم به ولكن من الله على المسلمين فارسل
سيلاً شديداً حال بينهم وبين عدوهم حتى صار المشركون يرون
نعمهم تساق وهم لا يقدرون على ردها

— سرية —

(ولما) رجع غالب الى المدينة ظافراً ارسله عليه السلام في مائتي
رجل ليقص من بني مرة بفدك وهم الذين احابوا سرية بشير بن
سعد فساروا حتى اذا كانوا قريباً من القوم خطب غالب فيمن معه
فقال بعد ان حمد الله وأثنى عليه (اما بعد فاني اوصيكم بتقوى الله
وحده لا شريك له وان تطيعوني ولا تخالفوا لي امرأً فانه لا رأي
لمن لا يطاع) ثم آخى بين الجند فقال يا فلان انت وفلان ويا فلان
أنت وفلان لا يفارق احد منكم زميله وأياكم ان يرجع الرجل منكم
فأقول له اين صاحبك فيقول لا ادري فاذا كبرت فكبروا فلما
احاطوا بالعدو وكبر كبروا وجردوا السيوف فلم يفلت من عدوهم احد
واستاقوا نعمهم فكان لكل واحد من الغزاة عشرة أبعرة

سرية

(وفي) ربيع الاول ارسل عليه السلام كعب بن عمير الغفاري الى ذات اطلاق من ارض الشام في خمسة عشر رجلاً فوجدوا جمعاً كثيراً فدعوهم الى الاسلام فلم يجيبوا وقاتلوا وكانوا اكثر عدداً فاستشهد المسلمون عن آخرهم الا رئيسهم كعب بن عمير فانه نجا وأتى بالخبر الى رسول الله فشق عليه واراد أن يبعث اليهم من يقتص منهم فبلغه انهم تحولوا من منزلهم فعدل عن ذلك

غزوة مؤتة

جهز عليه السلام في جمادى الاولى جيشاً للقصاص ممن قتلوا الحارث بن عمير الازدي رسوله الى امير بصرى وامر عليهم زيد ابن حارثة وقال لهم ان اصاب فلان امير جعفر بن ابي طالب فان اصاب فعبد الله بن رواحة وكان عدة الجيش ثلاثة آلاف فساروا وشيعهم عليه السلام وكان فيما وصاهم به (اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام وستجدون فيها رجالاً في الصوامع معتزين فلا تعرضوا لهم ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ولا بصيراً فانياً ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناء) ولم يزلوا سائرين حتى وصلوا مؤتة (١)

(١) قرية قريبة من الكرك وهي مشارف الشام

مقتل الحارث بن عمير وهناك وجدوا الروم مجمعين لهم جمعاً عظيماً منهم
ومن العرب المنتصرة فتفاوض رجال الجيش فيما يفعلونه أيرسلون
لرسول الله يطلبون منه مدداً أم يقدمون على الحرب فقال عبد الله
بن رواحة يا قوم والله ان الذي تكرهون هو ما خرجتم له خرجتم
تطلبون الشهادة ونحن ما نقاتل بقوة ولا بكثرة ما نقاتل الا بهذا
الدين الذي اكرمنا الله به فانما هي احدى الحسينين اما الظهور واما
الشهادة فقال الناس صدق والله ابن رواحة ومضوا للقتال فلقوا هذه
الجموع المتكاثرة فقاتل زيد بن حارثة رضي الله عنه حتى استشهد
فأخذ الراية جعفر بن ابي طالب وهو يقول

يا حبذا الجنة واقترابها * طيبة وبارد اشرابها
والروم روم قد دنا عذابها * كافرة بعيدة انسابها

على اذلاقيتها ضرابها

ولم يزل يقاتل حتى استشهد رضي الله عنه فأخذ الراية عبد الله بن
رواحه فتقدم ثم تردد بعض التردد فقال يخاطب نفسه

أقسمت يا نفس لتنزله طائفة أو لا لتكرهنه
ان أجلب الناس وشدوا الرنه مالي أراك تكرهين الجنة
قد طالما قد كنت مطمئنة هل أنت الا نطفة في شنة

ثم اقتحم بفرسه المعصية ولم يزل يقاتل رضي الله عنه حتى استشهد
فهم بعض المسلمين بالرجوع الى الوراة فقال لهم عقبة بن عامر يا قوم

يقتل الانسان مقبلاً خيراً من أن يقتل مدبراً فترجعوا واتفقوا على
على تأمير الشهم الباسل خالد بن الوليد وبهيمته ومهارته الحربية حتى
هذا الجيش من الضياع اذ ما تفعل ثلاثة آلاف بمائة وخمسين ألفاً فانه
لما أخذ الراية قاتل يومه قتالاً شديداً وفي غده خالف ترتيب العسكر
فجعل الساقة مقدمة والمقدمة ساقة والميمنة ميسرة والميسرة ميمنة فظن
الروم ان المدد جاء للمسلمين فرعبوا ثم أخذ خالد الجيش وصار يرجع
به الى الورا حتى انحاز الى مؤتة ثم مكث يناوش الاعداء سبعة أيام
ثم تحاجز الفريقان لان الكفار ظنوا أن الامداد تتوالى للمسلمين
وخافوا أن يجروهم الى وسط الصحارى حيث لا يمكنهم التخلص
وبذلك انقطع القتال وقد نعى النبي صلى الله عليه وسلم زيدا وجعفرأ
وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال أخذ الراية زيد فأصيب
ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب وكانت عينا
رسول الله تدرقان ثم قال حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى
فتح الله عليهم وجاءه رجل فقال يا رسول الله ان نساء جعفر بيكين
فأمره ان ينهاهن فذهب الرجل ثم أتى فقال قد نهيتهن فلم يطعن فأمره
فذهب ثانياً ثم جاء فقال والله لقد غلبنا فقال له عليه السلام احث
في افواههن التراب ولما أقبل الجيش الى المدينة قابلهم المسلمون يقولون
لهم يا فرار فقال عليه السلام بل هم الكرار ظن المقيمون بالمدينة ان
انحياز خالد بالجيش هزيمة ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراهم

ان ذلك من مكايد الحرب وأثنى على خالد في مهارته

— ❖ — سرية ❖ —

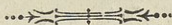
وفي جمادى الآخرة بلغه عليه السلام ان جمعاً من قضاة يتجمعون في ديارهم وراء وادي القرى ليغيروا على المدينة فأرسل لهم عمرو بن العاص في ثلاثمائة رجل من سراة المهاجرين ثم أمده بأبي عبيدة بن الجراح في مائتين من المهاجرين فيهم أبو بكر وعمر فلقوا عمراً قبل أن يصل الى القوم وقد أراد رجال من الجيش ايقاد نار فمنعهم عمرو فانكر عليه عمر بن الخطاب فقال أبو بكر انما بعثه رسول الله علينا رئيساً لمعرفة بالحرب اكثر منا فلا تعصه فامثل ولما حلوا بساحة القوم حملوا عليهم فلم يكن اكثر من ساعة حتى تفرق الاعداء منهزمين فجمعوا غنائمهم وأرادوا اتباع أثرهم فمنعهم قائدهم ثم رجعوا الى المدينة ظافرين و بينما هم في الطريق ادركت عمرو بن العاص جنابة في ليلة باردة فلما أصبح قال ان أنا اغتسلت هلكت والله يقول (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) ثم تيمم وصلى ثم أمر بالسير حتى اذا وصلوا المدينة قام رسول الله عليه السلام يسأل عن ابناء سفرهم كما هي عادته فأخبروه بما تقوموه على عمرو بن العاص من نهبهم عن ايقاد النار ونهبهم عن اتباع العدو وصلاته جنباً فسأله عليه السلام عن ذلك فقال منعهم من ايقاد النار لئلا يرى العدو قتلهم فيطمع فيهم ونهبهم عن اتباع العدو لئلا يكون

له كمين وصلت جنباً لان الله يقول (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة)
وان انا اغتسلت هلكت فتبسم عليه السلام واثنى على عمرو خيراً



سرية

وفي رجب أرسل عليه السلام أبا عبيدة عامر بن الجراح في
ثلاثمائة فارس لغزو قبيلة جهينة التي تسكن ساحل البحر وزود عليه
السلام هذا الجيش جراباً من التمر فساروا حتى اذا وصلوا الساحل
أقاموا فيه نحو نصف شهر ينتظرون العدو وقد فني زادهم حتى أكلوا
الخبط وهو ورق السمري لونه بالماء ويأكلونه الى أن تقرحت أشداقهم
وكان في القوم الكريم ابن الكريم قيس بن سعد بن عبادة فنحروهم
ثلاث جزر في كل يوم جزور وفي اليوم الرابع أراد أن ينحرفمهاه
رئيسه أبو عبيدة لان قيساً كان أخذ تلك الجزر بدين على أبيه فخاف
أبو عبيدة أن لا يفي له أبوه بما استدان فقال قيس أترى سعداً يقضي
ديون الناس ويطعم في المجاعة ولا يقضي ديناً استدته لقوم مجاهدين
في سبيل الله ولما يسوا من لقاء عدوهم رجعوا الى المدينة فقال قيس
ابن سعد لايه كنت في الجيش فجاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم
جاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم جاعوا قال انحر قال نحرت قال ثم
جاعوا قال انحر قال نهيت



— غزوة الفتح الاعظم —

اذا أراد الله أمراً هياً أسبابه وأزال موانعه فقد كان عليه السلام يعلم أنه لا تذلل العرب حتى تذلل قريش ولا تنقاد البلاد حتى تنقاد مكة فكان يتشوف لفتحها ولكن كان يمنعه من ذلك العهد التي أعطاه قريشاً في الحديبية وهو سيد من وفي ولكن اذا أراد الله أمراً هياً أسبابه فقد علمت أن قبيلة خزاعة دخلت في عهد رسول الله وقبيلة بكر دخلت في عهد قريش وكان بين خزاعة وبكر دماء في الجاهلية كنت نارها بظهور الاسلام فلما حصلت الهدنة وقف رجل من بكر يتغنى بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على مسمع من رجل خزاعي فقام هذا وضربه فحرك ذلك كامن الاحقاد وتذكر بنو بكر ثارهم فشدوا العزيمة لحرب خصومهم واستعانوا بأوليائهم من قريش فأعانوهم سرّاً بالعدة والرجال ثم توجهوا الى خزاعة وهم آمنون فقتلوا منهم ما يربوا على العشرين ولما رأى ذلك حلفاء السيد الامين ارسلوا منهم وفداً برياسة عمرو بن سالم الخزاعي ليخبر رسول الله بما فعل بهم بنو بكر وقريش فلما حلوا بين يديه وأخبروه الخبر قال والله لا منعنكم مما امنع منه نفسي اما قريش فانهم لما رأوا ان ما عملوه تقض للعهد التي اخذت عليهم ندموا على ما فعلوا وارادوا مداواة هذا الجرح فارسلوا قائدهم ابا سفيان بن

حرب الى المدينة ليشد العقد ويزيد في المدة فركب راحلته وهو
يظن انه لم يسبقه احد حتى اذا جاء المدينة نزل على ام المؤمنين
ام حبيبة بنته وقد اراد ان يجلس على فراش رسول الله فطوته عنه
فقال يا بنية أرغبت به عني ام رغبت بي عنه فقالت ما كان لك
ان تجلس على فراش رسول الله وانت مشرك نجس فقال لها لقد
اصابك بعدي شر ثم خرج من عندها واتى النبي في المسجد وعرض
عليه ما جاء له فقال عليه السلام هل كان من حدث قال لا فقال عليه
السلام فحن على مدتنا وصلحنا ولم يزد عن ذلك فقام ابوسفیان
ومشى الى اكابر المهاجرين من قريش علمهم يساعدونه على مقصده
فلم يجد منهم معيناً وكلهم قالوا جوارنا في جوار رسول الله فرجع الى
قومه ولم يصنع شيئاً فاتهموه بانه خانهم واتبع الاسلام فتنسك عند
الاوثان لينفي عن نفسه هذه التهمة (اما) رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتحجز للسفر وامر اصحابه بذلك واخبر الصديق بالوجهة فقال
له يا رسول الله او ليس بينك وبين قريش عهد قال نعم ولكن
غدروا وتقضوا ثم استنفر عليه السلام الاعراب الذين حول المدينة
وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة
فقدم جمع من قبائل اسلم وغفار ومزينة واشجع وجهينة وطوى عليه
السلام الاخبار عن الجيش كيلا يشيع الامر فتعلم قريش فتستعد
للحرب والرسول عليه السلام لا يريد ان يقيم حرباً بمكة بل يريد

اتقياد اهلها مع عدم المساس بحرمتها فدعا مولاه جل ذكره وقال
(اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها)
فقام حاطب بن ابي بلعة احد الذين شهدوا بدرًا وكتب كتابًا
لقريش يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وارسله
مع جارية لتوصله الى قريش على جعل فاعلم الله رسوله ذلك
فارسل في اثرها عليًّا والزبير والمقداد وقال انطلقوا حتى تأتوا
روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقوا حتى
اتوا الروضة فوجدوا بها المرأة فقالوا لها اخرجي الكتاب قالت
ما معي كتاب فقالوا لتخرجن الكتاب او لنلقين الثياب فأخرجته من
عقاصها فاتوا به رسول الله فقال عليه السلام يا حاطب ما هذا قال
يا رسول الله لا تعجل على اني كنت حليفاً لقريش ولم اكن من
أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون اهلهم
واموالهم فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ عندهم يداً
يحمون بها قرابتي ولم افعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد
الاسلام فقال عليه السلام اما انه قد صدقكم فقال عمر دعني يا رسول
الله اضرب عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بدرًا وما يدريك لعل
الله اطع علي من شهد بدرًا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وفي
ذلك انزل الله في سورة الممتحنة (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي
وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالموودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون

الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي
وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن
يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) ثم سار عليه السلام بهذا الجيش
العظيم في منتصف رمضان بعد ان ولى على المدينة ابن ام مكتوم
وكانت عدة الجيش عشرة آلاف مجاهد ولما وصل الابداء لقيه اثنان
كانا من اشد اعدائه وهما ابن عمه ابوسفيان بن الحارث بن عبد
المطلب شقيق عبيدة بن الحارث شهيد بدر وصهره عبد الله بن ابي
امية بن المغيرة شقيق زوجه ام سلمة وكانا يريدان الاسلام فقبلهما
عليه السلام وفرح بهما شديد الفرح وقال (لا تثريب عليكم اليوم
يعفر الله لكم وهو ارحم الراحمين) ولما وصل عليه السلام الكديد رأى
ان الصوم شق على المسلمين فأمرهم بالفطر وافطر هو ايضاً وقد قابل
عليه السلام في الطريق عمه العباس بن عبد المطلب مهاجراً بأهله
وعياله فأمره بان يعود معه الى مكة ويرسل عياله الى المدينة ولما
وصل عليه السلام مر الظهران امر بايقاد عشرة آلاف نار وكان
قريش قد بلغهم ان محمداً زاحف بجيش عظيم لا تدري وجهته
فارسلوا ابا سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء
يلتمسون الخبر عن رسول الله فاقبلوا يسرون حتى اتوا مر الظهران
فاذا هم بنيران كأنها نيران عرفة فقال ابوسفيان ما هذه لكانها نيران
عرفة فقال بديل بن ورقاء نيران بني عمرو فقال ابوسفيان عمرو

اقل من ذلك فراهم ناس من حرس رسول الله فادركوهم فاخذوهم
فاتوا بهم رسول الله فاسلم ابو سفيان فلما سار قال للعباس احبس ابا
سفيان عند حطم الجبل حتى ينظر الى المساهين فحبسه العباس فجعلت
القبائل تمر كتيبة كتيبة على ابي سفيان وهو يسأل عنها ويقول مالي ولها
حتى اذا مرت به قبيلة الانصار وحامل رايتها سعد بن عبادة فقال سعد
يا ابا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال ابو سفيان يا
عباس حبذا يوم الذمار ثم جاءت كتيبة وهي اقل الكتاب فيها رسول
الله واصحابه وحامل الراية الزبير بن العوام فأخبر ابو سفيان رسول
الله بمقالة سعد فقال عليه السلام كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله
فيه الكعبة ويوم تكسي فيه الكعبة ثم امر عليه السلام ان تركز رايته
بالحجون (١) وامر خالد بن الوليد ان يدخل من اسفل مكة من
كدى (٢) ودخل هو من اعلاها من كداء ونادى مناديه من دخل
داره واغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار
ابي سفيان فهو آمن وهذه اعظم منفعة له واستثنى من ذلك جماعة
عظمت ذنوبهم وآذوا الاسلام واهله عظيم الاذى فاهدر دمهم وان
تعلقوا باستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن ابي صرح الذي اسلم

(١) جبل بمعلاه مكة (٢) كدى كقرى جبل مسفلة مكة على
طريق اليمن وكداء كسحاب جبل بأعلى مكة

وكتب لرسول الله الوحي ثم ارتد وافترى الكذب على الامين المأمون فكان يقول ان محمداً كان يأمرني ان اكتب عليم حكيم فاكتب غفور رحيم فيقول كل جيد ومنهم عكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية وهبار بن الاسود والحارث بن هشام وزهير بن ابي امية وكعب بن زهير ووحشي قاتل حمزة وهند بنت عتبة زوج ابي سفيان وقليل غيرهم ونهى عن قتل احد سوى هؤلاء الا من قاتل (فأما) جيش خالد بن الوليد فقاتله الذعر من قريش يريدون صده فقاتلهم وقتل منهم اربعة وعشرين وقتل من جيشه اثنان ودخلها عنوة من هذه الجهة (واما) جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يصادف مانعاً وهو عليه السلام راكب راحلته منحني على الرحل تواضعاً لله وشكراً له على هذه النعمة حتى تكاد جبهته تمس الرحل واسامة بن زيد رديفه وكان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان حتى وصل الى الحجون موضع رايته وقد نصبت له هناك قبة فيها ام سلمة وميمونة فاستراح قليلاً ثم سار وبجانبه ابو بكر يحادثه وهو يقرأ سورة الفتح حتى البيت وظاف سبعة على راحلته واستلم الحجر بمحجنه وكان حول الكعبة اذ ذاك ثلاثمائة وستون صنماً فجعل عليه السلام يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل وما يبدي الباطل وما يعيد ثم امر بالالهة فأخرجت من البيت وفيها صورة اسماعيل وابراهيم في ايديهما الازلام فقال عليه السلام قاتلهم الله لقد علموا ما استقسموا بها قط وهذا

اول يوم طهرت فيه الكعبة من هذه المعبودات الباطلة وبطهارة
الكعبة المقدسة عند جميع العرب باديها وحاضرها من هذه الادناس
سقطت عبادة الاوثان من جميع بلاد العرب الا قليلاً ويوشك أن
نذكر للقارىء اختفاء آثارها ومحو عبادتها بالكلية

— العفو عند المقدرة —

ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة وكبر في نواحيها ثم
خرج الى مقام ابراهيم وصلى فيه ثم شرب من زمزم وجلس في المسجد
والناس حوله والعيون شاخصة اليه ينتظرون ما هو فاعل بمشركي قريش
الذين آذوه واخرجوه من بلاده وقتلوه ولكن هنا تظهر مكارم الاخلاق
التي يلزم ان يتعلم منها المسلم ان يكون رضاه وغضبه لله لا لهوى النفس
فقال عليه السلام يا معشر قريش ما تظنون اني فاعل بكم قالوا خير
أخ كريم وابن أخ كريم فقال عليه السلام اذهبوا فانتم الطلقاء ويرحم
الله الامام البوصيري حيث قال

واذا كان القطع والوصل للـ	ه تساوي التقريب والاقضاء
وسواء عليه فيما اتاه	من سواه الملام والاطراء
ولو ان انتقامه لهوى النفس	س لدامت قطيعة وجفاء
قام لله في الامور فأرضى اللـ	ه منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل ينض	ح الا بما حواه الاناء

ثم خطب عليه السلام خطبة ابان فيها كثيراً من الاحكام الاسلامية منها ان لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها أو خالتها واليمنة على من ادعى واليمين على من انكر ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام الا مع ذي محرم ولا صلاة بعد الصبح والعصر ولا يصام يوم الاضحى ويوم الفطر ثم قال يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيها بالآباء والناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير) ثم شرع الناس يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وممن أسلم في هذا اليوم معاوية بن أبي سفيان وابو قحافة والصدديق وقد فرح الرسول كثيراً باسلامه وجاءه رجل يرتعد خوفاً فقال له عليه السلام (هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد)

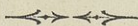
اما الذين أهدر رسول الله دمهم فقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت فمنهم من حقت عليه كلمة العذاب فقتل ومنهم من ادركته عناية الله فأسلم فعبد الله بن سعد بن أبي سرح لجأ الى اخيه من الرضاع عثمان بن عفان وطلب منه ان يستأمن له رسول الله فغيبه عثمان حتى هدأ الناس ثم اتى به النبي وقال يا رسول الله قد امتته فبايعه فاعرض عنه عليه السلام مراراً ثم بايعه فلما خرج عثمان وعبد الله قال عليه السلام

اعرضت عنه ليقوم اليه احدكم فيضرب عنقه فقالوا هلا اشرت الينا فقال (لا ينبغي لبي أن تكون له خائنة الاعين) (واما) عكرمة بن ابي جهل فهرب فخرجت وراءه زوجته وبنت عمه ام حكيم بنت الحارث بن هشام وكانت قد اسلمت قبل الفتح وقد اخذت له اماناً من رسول الله فلهفته وقد اراد ان يركب البحر فقالت جئتكم من عند ابر الناس وخيرهم لا تهلك نفسك واني قد استأمته لك فرجع ولما رآه عليه السلام وثب قائماً فرحاً به وقال مرحباً بمن جاءنا مهاجراً مسلماً ثم اسلم رضي الله عنه وطلب من رسول ان يستغفر له كل عداوة عادها اياه فاستغفر له وكان رضي الله عنه بعد ذلك من خيرة المسلمين واغبرهم على الاسلام (واما) هبار بن الاسود فهرب واختفى حتى اذا كان رسول الله بالجعرانة (١) جاءه مسلماً وقال يا رسول الله هربت منك وارتد للحاق بالاعاجم ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عن جهل عليك وكنا يا رسول الله اهل شرك فهدانا الله بك واتقذنا من الهلكة فاصفح الصفح الجميل فقال عليه السلام قد عفوت عنك واما الحارث بن هشام وزهير بن ابي امية الحزومي فاجارتهما ام هاني بنت ابي طالب فاجاز عليه السلام جوارها

(١) موضع بين مكة والطائف و بعضهم يضبطه بسكون العين

وقفح الراء مخففة

ولما قابل رسول الله الحارث بن هشام مسلماً قال له الحمد لله الذي
هداك ما كان مثلك يجهل الاسلام وقد كان بعد ذلك من فضلاء
الصحابة (واما) صفوان بن امية فاخفى واراد ان يذهب ويلقي
نفسه في البحر فنجاه ابن عمه عمير بن وهب الجمحي وقال يا نبي الله
ان صفوان سيد قومه وقد هرب ليقذف نفسه في البحر فامنه فانك
قد امنت الاحمر والاسود فقال عليه السلام ادرك ابن عمك فهو آمن
فقال اعطني علامة فاعطاه عمامته فاخذها عمير حتى اذا لقي صفوان قال
له فذاك ابي وامي جئتك من عند افضل الناس وابر الناس واحلم الناس
وخير الناس وهو ابن عمك وعزه عزك وشرفه شرفك ومملكه ملكك
قال صفوان اني اخافه على نفسي قال هو احلم من ذلك واكرم واره
العمامة علامة الامان فرجع الى رسول الله وقال له ان هذا يزعم انك
امنتني قال صدق قال امهلني باختيار شهرين قال اربعة اشهر ثم اسلم
رضي الله عنه وحسن اسلامه (واما) هند بنت عتبة فاخفت ثم
اسلمت وجاءت الى رسول الله فرحب بها فقالت له والله يا رسول الله
ما كان على ظهر الارض اهل خباء احب الى ان يذلوا من اهل
خبائك ثم ما اصبح اليوم اهل خباء احب الى ان يعزوا من اهل خبائك



— وفود كعب بن زهير —

(واما) كعب بن زهير فلما ضاق به الارض ولم يجد له مجيراً
جاء المدينة بعد ان قدمها رسول الله من مكة فأسلم وانشد قصيدته التي
يقول فيها

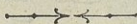
وقال كل صديق كنت آمله لا الهينك اني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي لا ابا لكم فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن انثى وان طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول
انبتت ان رسول الله اوعدني والعفو عند رسول الله مأمول
مهلهذاك الذي اعطاك نافلة الـ قرآن فيها مواعظٌ وتفصيل
وقال فيها مادحاً

ان الرسول لسيفٌ يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
ولما قال هذا البيت خلع عليه الرسول بردته (واما) وحشي
قاتل حمزة فكذلك اسلم وحسن اسلامه وقبله عليه الصلاة والسلام وقد
جاءه ابنا ابي لهب عتبة ومعتب فأسلما وفرح بهما عليه السلام
وكان من الذين اختفوا سهيلاً بن عمرو فاستأمن له ابنه عبد الله
فأمنه عليه السلام وقال ان سهيلاً له عقل وشرف وما مثل سهيلاً يجهل
الاسلام فلما بلغت هذه المقالة قال كان والله برّاً صغيراً برا كبيراً
ثم اسلم بعد ذلك

— ❦ بيعة النساء ❦ —

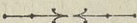
هذا ولما تمت بيعة الرجال ببيعة النساء وكنَّ ييـايـعنَ علي
الا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا
ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصين الرسول في
معروف (ثم) امر عليه السلام بلالا ان يؤذن على ظهر الكعبة وهذا
بدء ظهور الاسلام على ظهر البيت الكريم فلا عجب ان اتخذ المسلمون
هذا اليوم عيداً يحمدون فيه الله حق حمده على هذه النعمة الكبرى
والنصر العظيم

واقام عليه السلام بمكة بعد فتحها تسعة عشر يوماً يقصر فيها
الصلاة وولى عليها عتاب بن اسيد وجعل رزقه كل يوم درهماً فكان
عتاب رضي الله عنه يقول لا اشبع الله بطناً جاع على درهم كل يوم



— ❦ هدم العزى ❦ —

(وفي الخامس) من مقامه عليه السلام بمكة ارسل خالد بن الوليد
في ثلاثين فارساً لهدم هيكل العزى وهي اكبر صنم لقريش وكان
هيكلها بيطن نخلة فتوجه اليها خالد وهدمها



— هدم سواع —

(وارسل عليه السلام) عمرو بن العاص لهدم سواع وهو اعظم صنم لهذيل وهيكله على ثلاثة اميال من مكة فذهب اليه وهدمه

— هدم مناة —

(وبعث) سعد بن زيد الاشيلي في عشرين فارساً لهدم مناة وهي صنم لكلب وخزاعة وهيكلها بالمثلث وهو جبل على ساحل البحر يهبط منه الى قديد فتوجهوا اليها وهدموها

— غزوة حنين —

بهذا الفتح العظيم وسقوط دولة الاوثان دانت للاسلام جموع العرب ودخلوا فيه أفواجاً أما قبيلتا هوازن وثقيف فأدركتهما حمية الجاهلية واجتمع الاشراف منهم للشورى وقالوا قد فرغ محمد من قتال قومه ولا ناهية له عنا فلنغزاه قبل ان يغزونا فاجمعوا امرهم على ذلك وولوا رياستهم مالك بن عوف النصرى فاجتمع له بن القبائل جموع كثيرة فيهم بنو سعد بن بكر الذين كان رسول الله مسترضعاً فيهم وكان في القوم دريد بن الصمة المشهور باصالة الرأي وشدة البأس في الحرب ولتقدم سنه لم يكن له في هذه الحرب الا الرأي ثم

ان مالك بن عوف امر الناس ان يأخذوا معهم نساءهم وذراريهم
واموالهم فلما علم بذلك دريد سأل مالكا عن السبب فقال سقت مع
الناس أموالهم وذراريهم ونساءهم لاجعل خلف كل رجل أهله وماله
يقاتل عنه فقال دريد وهل يرد المنهزم شيء ان كانت لك لم ينفك
الارجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت في أهلك ومالك فلم
يقبل مالك مشورته وجعل النساء صفوفاً وراء المقاتلة ووراءهم الابل ثم
البقر ثم الغنم كيلا يفر أحد من المقاتلين (أما) رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانه لما بلغه ان هوازن وثيف يستعدون لحره أجمع رأيه على
المسير اليهم وخرج معه اثنا عشر ألف غاز منهم القان من أهل مكة
والباقون هم الذين أتوا معه من المدينة وخرج أهل مكة ركباناً ومشاة
حتى النساء يمشين من غير ضعف يرجون الغنائم وخرج في الجيش ثمانون
من المشركين منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو ولما قرب الجيش
من معسكر العدو صف عليه السلام الغزاة وتقد الالوية فأعطى لواء
المهاجرين لعلي بن أبي طالب ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ولواء
الايوس لاسيد بن حضير وكذلك أعطى ألوية لقبائل العرب الاخرى
ثم ركب عليه السلام بقلته ولبس درعين والبيضة والمغفر . هذا وقد
أعجب المسلمون بكثرتهم فلم تغن عنهم شيئاً فان مقدمة المسلمين
توجهت جهة العدو فخرج لهم كمين كان مستترا في شعاب الوادي
ومضايقة وقابلهم بنبل كانه الجراد المنتشر فلجوا أعنة خيلهم متقهقرين

ولما وصلوا الى من قبلهم تبعوهم في الهزيمة لما لحقهم من الدهشة أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت على بغلته في ميدان القتال وثبت معه قليل من المهاجرين والانصار منهم أبو بكر وعمر وعلي والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحارث وأخوه ربيعة بن الحارث ومعتب بن أبي لهب وكان العباس آخذاً بلجام البغلة وأبو سفيان آخذاً بالركاب وكان عليه السلام ينادي الى أيها الناس ولا يلوى عليه احد وضاعت بالمنهزمين الارض بما رحبت أما رجال مكة الذين هم حديثو عهد بالاسلام والذين لم ينزعوا عنهم ربة الشرك فمنهم من فرح ومنهم من ساءه هذا الادبار فقال أبو سفيان بن حرب لا تنتهي هزيمتهم دون البحر وقال أخ لصفوان بن أمية الآن بطل السحر فقال له صفوان وهو على شركه اسكت فض الله فاك والله لان ير بنى رجل من قریش خير من ان ير بنى رجل من هوازن ومر عليه رجل من قریش وهو يقول أبشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجبرونها أبداً فغضب صفوان وقال ويلك أتبشرني بظهور الاعراب وقال عكرمة بن أبي جهل لذلك الرجل كونهم لا يجبرونها أبداً ليس بيدك الامر بيد الله ليس الى محمد منه شيء أن أديل عليه اليوم فان العاقبة له غدا فقال سهيل بن عمرو الله ان عهدك بخلافه لحديث فقال له يا أبا يزيد انا كنا على غير شيء وعقولنا ذاهبة نعبد حجراً لا يضر ولا ينفع (وبلغت) هزيمة بعض الفارين مكة كل هذا ورسول الله واقف مكانه يقول انا النبي لا كذب

أنا ابن عبد المطلب ثم قال للعباس وكان جهوري الصوت ناد بالانصار
يا عباس فنادى يا معشر الانصار يا أصحاب بيعة الرضوان فاسمع من
في الوادي وصار الانصار يقولون لبيك لبيك ويريد كل واحد منهم
ان يلوي عنان بعيره فيمنعه من ذلك كثرة الاعراب المنهزمين فيأخذ
درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه وينزل عن بعيره ويخلي
سبيله ويؤم الصوت حتى اجتمع حول رسول الله جمع عظيم منهم وأنزل
الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم يروها فكر
المسامون على عدوهم يداً واحدة فانتكت قتل المشركين وتفرقوا في
كل وجه لا يلوون على شيء من الاموال والنساء والذراري وتبعهم
المسامون يقتلون ويأسرون فأخذوا النساء والذراري وأسروا كثيراً من
المحاربين وهرب من هرب وجرح في هذا اليوم خالد بن الوليد
جراحات بالغة وأسلم ناس كثيرون من مشركي مكة لما رأوه من عناية
الله بالمسلمين

(هذا) والذي حصل في هذه الغزوة درس مهم من دروس
الحرب فان هذا الجيش دخله أخلاط كثيرون من مشركين وأعراب
وحديثي عهد بأسلام وهؤلاء سيان عندهم نصر الاسلام وخذلانه
ولذلك بادروا لاول صدمة الى الهزيمة وكادت تم الكلمة على المسلمين
لولا فضل الله فلا ينبغي أن يكون في الجيش الا من يقاتل خالصاً
مخلصاً من قلبه ليكون مدافعاً حقا عن دينه فلا تميل نفسه الى الفرار

خشية ما أعده الله للفارين من أليم العقاب
ثم أمر عليه السلام بجمع السبي والغنائم وكادت نحو أربعة وعشرين
ألف بعير وأكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية من الفضة
فجمع ذلك كله بالجرعانة (أما) المشركون فتفرقوا ثلاث فرق فرقة
لحقت بالطائف وفرقة لحقت بنخلة وفرقة عسكرت بأوطاس (١)

سرية

فأرسل عليه السلام لهذه الفرقة أبا عامر الأشعري في جماعة منهم
أبو موسى الأشعري فسار إليهم وبددهم وظفر بما بقي معهم من الغنائم
وقد استشهد أبو عامر في هذه الغزوة وخلف على الغزاة ابن أخيه أبا
موسى فرجع ظافراً منصوراً

غزوة الطائف

(وسار) عليه السلام بمن معه الى الطائف ليجهز على بقية حياة
ثقيف ومن تجمع معهم من هوازن وجعل على مقدمته خالد بن الوليد
ومر عليه السلام بحصن لعوف بن مالك النصري فأمر بهدمه ومر ببستان
لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فأرسل اليه أن اخرج والا حرقنا عليك

بستانك فامتنع الرجل فأمر عليه السلام بحرقه ولما وصل المسلمون الى الطائف وجدوا الاعداء قد تحصنوا به وادخلوا معهم قوت ستمهم فعسكر المسلمون قريب الحصن فرماهم المشركون بالنبل رمياً شديداً حتى أصيب منهم كثيرون بجراحات منهم عبد الله بن أبي بكر وقد طاوله جرحه حتى أماته في خلافة أبيه ومنهم أبو سفيان بن حرب فقمت عينه وقد مات بالجراحات اثنا عشر رجلا من المسلمين ولما رأى رسول الله أن العدو متمكن من رميهم ارتفع محل مسجد الطائف الآن وضرب لام سلمة وزينب قبتان هناك واستمر الحصار ثمانية عشر يوماً كان فيها ينادي خالد ابن الوليد بالبراز فلم يجبه أحد وناداه عبد ياليل عظيم ثقيف لا ينزل اليك منا أحد ولكن تقيم في حصننا فان فيه من الطعام ما يكفيننا سنين فان أقت حتى يفنى هذا الطعام خرجنا اليك بأسيفنا جميعاً حتى نموت عن آخرنا فأمر عليه السلام بأن ينصب عليهم المنجنيق فنصب ودخل جمع من الاصحاب تحت دبابتين (١) لينقبوا الحصن فأرسلت عليهم ثقيف سلك الحديد محماة بالنار حتى أرجعوهم فأمر عليه السلام ان تقطع أعنانهم ونخيلهم فقطع المسلمون فيها قطعاً ذريعاً فناداه أهل الحصن ان دعها لله وللرحم فقال ادعها لله وللرحم ثم امر من ينادي

(١) الدبابة آلة تتخذ للحروب فتدفع في أصل الحصن فينقبون

وهم في جوفها

بأن كل من ترك الحصن ونزل فهو آمن فخرج اليه بضعة عشر رجلاً
(ولما) رأى عليه السلام ان تمنع ثقيف شديد وان الفتح لم يؤذن
فيه استشار نوفل بن معاوية الديلمي في الذهاب او المقام فقال يا رسول
الله ثعلب في حجر ان اقلت اخذته وان تركته لم يضرك فامر عليه
السلام بالرحيل وطلب منه بعض الصحابة ان يدعو على ثقيف فقال
(اللهم اهد ثقيفاً واثت بهم مسلمين)

— تقسيم السبي —

ثم رجع عليه السلام الى الجعرانة حيث ترك السبي فاحصاه
وخمسه واعطي منه شيئاً كثيراً لانه ضعف اسلامهم يتألفهم بذلك
واعطى اناساً لم يسلموا ليحببهم في الاسلام ومن الاولين ابو سفيان
اعطاه اربعين اوقيه من الذهب ومائة من الابل وكذلك ابناه معاوية
ويزيد فقال له بأبي انت وأمي لانت كريم في السلم والحرب ومنهم
حكيم بن حزام اعطاه كأبي سفيان فاستزاده فاعطاه مثلها ثم استزاده
فاعطاه مثلها وقال يا حكيم (ان هذا المال خضرة حلوة فمن اخذه
بسخاوة نفس بورك له فيه ومن اخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه
وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى) فاخذ
حكيم المائة الاولى وترك ما عداها ثم قال والذي بعثك بالحق لا ارزأ
احداً بعدك شيئاً حتى افارق الدنيا فكان الخلفاء بعد رسول الله

يعرضون عليه العطاء الذي يستحقه من بيت المال فلا يأخذه واعطى
عليه السلام عيينة بن حصن مائة من الابل وكذلك الاقرع بن حابس
والعباس بن مرداس واعطى صفوان بن امية شعباً مملوئاً نعماً وشاء
كان راه يرمقه فقال له هل يعجبك هذا قال نعم قال هو لك فقال
صفوان ما طابت بمثل هذا نفس احد وكان ذلك سبب اسلامه وكان
عليه السلام يقصد من هذه العطايا تأليف القلوب وجمعها على الدين
القوم وهذا ضرب من ضروب السياسة الدينية حتى جعل من
الصدقات قسم للمؤلفة قلوبهم وقد عاد ذلك بفائدة عظيمة فان
كثيرين ممن اعطوا في هذا اليوم ولم يكونوا اشربوا في قلوبهم حب
الاسلام صاروا بعد من اجلاء المسلمين واعظمهم نفعاً كصفوان بن
امية ومعاوية بن ابي سفيان والحارث بن هشام وغيرهم (ثم) امر عليه
السلام زيد بن ثابت فاحصى ما بقي من الغنائم وقسمه على الغزاة بعد
ان اجتمع اليه الاعراب وصاروا يقولون له اقسم علينا حتى الجؤء الى
شجرة فخطفت رداءه فقال (ردوا ردائي ايها الناس فوالله ان كان
لي شجرة تهامة نعماً لقسمته عليكم ثم ما الفيتمونني بخيلاً ولا جباناً ولا
كدوداً) ثم قام الى بعيره واخذ وبرة من سنامه (وقال ايها الناس
والله ما لي من غنيمتكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود
عليكم فادوا الخياط والمحيط فان الغلول (١) يكون على اهله عاراً

(١) الاختلاس من الغنيمة

وشناراً وناراً يوم القيامة) فصار كل من اخذ شيئاً من الغنائم خلسة
يرده ولو كان زهيداً ثم شرع يقسم فاصاب الراجل اربعة من الابل
واربعون شاة والفارس ثلاثة امثال ذلك فقال رجل من المنافقين
هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فغضب عليه السلام حتى احمر وجهه
وقال (ويحك من يعدل اذا لم اعدل) فلم يؤده غضبه ان ينتقم لنفسه
حاشاه عليه السلام من ذلك بل لم يزد على ان نصح وحذر وقال له
عمر وخالد بن الوليد دعنا يا رسول الله نضرب عنقه فقال لا لعله ان
يكون يصلي فقال خالد وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه
فقال عليه السلام اني لم اؤمر ان اتقب عن قلوب الناس ولا اشق
عن بطونهم (ولما) اعطى رسول الله ما اعطى من تلك العطايا تقرير
وقبائل العرب وترك الانصار غضب بعضهم حتى قالوا ان هذا هو
العجب يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دماهم فبلغه ذلك
فامر بجمعهم وليس معهم غيرهم فلما اجتمعوا قال يا معشر الانصار ما
مقالة بلغتني عنكم الم اجدكم ضلالاً فهذا كم الله بي وعالة (١) فاغناكم
الله بي وأعداء فألف الله بين قلوبكم بي ان قريشاً حديثو عهد بكفر
ومصيبة واني اردت ان اجبرهم واتألفهم اغضبتهم يا معشر الانصار
في انفسكم لشيء قليل من الدنيا ألفت به قوماً ليساموا ووكلتكم الى

اسلامكم الثابت الذي لا يزل الا ترضون يا معشر الانصار ان
يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحلكم فوالذي
نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس
شعباً وسلك الانصار شعباً لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار
وابناء الانصار) فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا رضينا برسول
الله قسماً وحظاً ثم انصرف عليه السلام وتفرقوا

— وفود هوازن —

وبعد بضع عشرة ليلة جاءه عليه السلام وفد هوازن يرأسهم زهير
ابن سرد وقالوا يا رسول الله ان فيمن أصبتم الامهات والعلمات والخلالات
وهن محازى الاقوام ونرغب الى الله واليك يا رسول الله وقال زهير
ان في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضك اللاتي كن يكفلنك ثم قال
أبياتاً يستعطفه بها

امنن علينا رسول الله في كرم	فانك المرء نرجوه ونتنظرُ
امنن على نسوة قد كنت ترضعها	اذ فوك مملوءة من مخصها الدررُ
انا لنشكر للنعماء ان كفرت	وعندنا بعد هذا اليوم مدخرُ
انا نؤمل عفواً منك نلبسه	هدى البرية أن تعفو وتتصر
فألبس العفومن قد كنت ترضعه	من امهاتك ان العفو مشهر

فقال عليه السلام ان أحب الحديث اليّ أصدقه فاخاروا احدى

الطائفتين اما السبي واما المال وقد كنت انتظرتم حتى ظننت انكم
لا تقدمون فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئاً اردد علينا نساءنا وأبناءنا
فهو أحب الينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير فقال عليه السلام أما مالي
ولبي عبد المطلب فهو لكم فاذا أنا صليت الظهر فقوموا وقولوا نحن
نستشفع برسول الله الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله بعد ان
تظهروا اسلامكم وتقولوا نحن اخوانكم في الدين ففعلوا فقال عليه السلام
لاصحابه (أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤا تائبين واني قد رأيت
ان أرد عليهم سبيهم فمن أحب أن يطيب بذلك فليفعل ومن أحب
منكم ان يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أول ما يفيء الله علينا
فليفعل فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله وامتنع من
ذلك جماعة من الاعراب كالاقرع ابن حابس وعيينة بن حصن
والعباس بن مرداس فأخذه الرسول منهم قرضاً وأمر عليه السلام بأن
تجس عائلة مالك بن عوف النصرى رئيس تلك الحرب بمكة عند
عمتهم ام عبد الله بن ابي امية فقال له الوفد اولئك ساداتنا فقال عليه
السلام انما اريد بهم الخير ثم سأل عن مالك فقالوا هرب مع تقيف
فقال اخبروه انه ان جاءني مسلماً رددت عليه اهله وماله واعطيته مائة
من الابل فلما بلغ ذلك مالك انزل من الحصن خفية حتى أتى رسول
الله بالجعرانة فأسلم واحرز ماله واهله واستعمله عليه السلام على من اسلم
من هوازن

— ﴿﴾ عمرة الجعرانة ﴿﴾ —

(ثم) ان الرسول صلى الله عليه وسلم اعتمر فأحرم من الجعرانة
ودخل مكة بليل فظاف واستلم الحجر ثم رجع من ليلته وكانت اقامته
بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة ثم امر عليه السلام بالرحيل فسار الجيش آمناً
مطمئناً حتى دخل المدينة لثلاث بقين من ذي القعدة

وغزوة حنين هي التي فرق الله بها جموع الشرك وادال دولته
واقعد سراة اهله فان هوازن لم تترك وراءها رجلاً تمكنه الحرب
الاساقته ولم تترك لها بعيراً ولا شاة الا جاءت به معها فأراد الله اعزاز
الاسلام بخذلان اعدائه واخذ اموالهم فانكسرت حدة المشركين ولم
يبق فيهم من يمانع او يدافع ولذلك يمكننا ان نقول ان انكسار هوازن
كان خاتمة لحروب العرب فلم يبق فيهم الا فئات قليلة يسوقهم الطيش
الى اشهار السلاح ثم لا يلبثون ان يغمدوا السيوف حينما تظهر لهم قوة
الحق الساطعة

— ﴿﴾ سرية ﴿﴾ —

ولما رجع عليه السلام الى المدينة أرسل قيس بن سعد في اربعائة
ليدعو صداة (قبيلة تسكن اليمن) الى الاسلام فجاء الى رسول الله

رجل منهم فقال يا رسول الله اني جئتك وافداً عن ورائي فاردد
الجيش وأنا لك بقومي فأمر عليه السلام برد الجيش



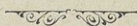
— ﴿ وفود صداء ﴾ —

وخرج الرجل الى قومه فقدم بخمسة عشر رجلاً منهم فقبلوا
ضيوفاً على سعد بن عبادة ثم بايعوا رسول الله على الاسلام وقالوا نحن
لك على من وراءنا من قومنا ولما رجعوا فشا فيهم الاسلام وقدم على
رسول الله منهم مائة في حجة الوداع



— ﴿ سرية ﴾ —

ثم أرسل عليه السلام بشر بن سفيان العدوي الى بني كعب من
خزاعة لاخذ صدقات أموالهم فمنعهم بنو تميم المجاورون لهم من أداء
ما فرض عليهم فلما علم بذلك رسول الله أرسل اليهم عيينة بن حصن
في خمسين فارساً من الاعراب فجاءهم وحاربهم وأخذ منهم أحد عشر
رجلاً واحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبياً وتوجه بالكل الى المدينة
فأمر عليه السلام بجعلهم في دار رملة بنت الحارث



— وفود تميم —

فجاء في أثرهم وفد تميم فيه عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر
وعمر بن الاثم فجلسوا ينتظرون الرسول فلما أبطأ عليهم نادوا من
وراء الحجرات بصوت جاف يا محمد اخرج الينا نفاخرك فان مدحنا
زين وان ذمنا شين فخرج اليهم عليه السلام وقد تأذى من صياحهم
وفيهم نزل في أوائل سورة الحجرات (ان الذين ينادونك من وراء
الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان
خيراً لهم والله غفور رحيم) وكان الوقت وقت الظهر فأذن بلال
ودخل النبي للصلاة فتعلقوا به يقولون نحن ناس من تميم جنبنا بشاعرنا
وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك فقال لهم عليه السلام (ما بالشعر بعثنا ولا
بالفخار أمرنا) ثم صلى الظهر واجتمع حوله رجال الوفد يتفاخرون
بمجدهم ومجد آبائهم وقد مدح عمرو بن الاثم الزبرقان بن بدر فقال
انه لمطاع في أئديته سيد في عشيرته فقال الزبرقان حسدني يا رسول
الله لشرفي وقد علم أفضل مما قال فقال عمرو انه نازم المروءة ضيق
العطن لئيم الخلال فروى الغضب في وجه رسول الله لاختلاف قولي
عمرو فقال يا رسول الله لقد صدقت في الاولى وما كذبت في الثانية
رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أسوأ ما علمت فقال
عليه السلام (ان من البيان لسحرا) ثم اسلم القوم فرد النبي عليه

السلام عليهم اسراهم واحسن جائزتهم واقاموا مدة يتعلمون فيها القرآن
ويتقنون في الدين

سرية

ثم بعث عليه السلام الوليد بن عقبة بن ابي معيط لاختذ صدقات
بني المصطلق فلما علموا بقدمه خرج منهم عشرون رجلاً متقلدين
سلاحهم احتفالاً بقدمه ومعهم ابل الصدقة فلما نظرهم ظنهم يريدون
حربه لما كان بينه وبينهم من العداوة في الجاهلية فرجع مسرعاً الى
المدينة واخبر الرسول ان القوم ارتدوا ومنعوا الزكاة فارسل اليهم
خالد بن الوليد لاستكشاف الخبر فسار اليهم في عسكره خفية حتى اذا
كان بناديهم سمع مؤذنين يؤذن بالصبح فاتاهم خالد فلم ير منهم الا
طاعة فرجع واخبر الرسول فارسل عليه السلام لهم غير الوليد لاختذ
الصدقات وفي الوليد نزل في اوائل الحجرات (يا ايها الذين آمنوا ان
جاءكم فاسق بنياً فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما
فعلتم نادمين)

سرية

ثم بلغ رسول الله ان جمعاً من الحبشة رأهم اهل جدة في مراكبهم
يريدون الاغارة عليها فارسل لهم علقمة بن مجزز في ثلاثمائة فذهب
(١٧)

حتى وصل جدة ونزل في المراكب ليدركهم وكان الاحباش متحصنين في جزيره هناك فلما رأوا المسلمين يريدونهم هربوا ولم يلق المسلمون كيداً فرجع علقمة بمن معه ولما كان بالطريق أذن لسرعان القوم ان يتعجلوا وامر عليهم عبد الله بن حذافة السهمي وكان فيه دعابة فاوقد لهم في الطريق ناراً وقال لهم الستم مأمورين بطاعتي قالوا نعم قال عزمت عليكم الا ما تواتبتم في هذه النار فقال بعضهم ما اسلمنا الا فراراً من النار وهم بذلك بعضهم فمنعهم عبد الله وقال كنت مازحاً فلما ذكروا ذلك لرسول الله قال (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)



— السنة التاسعة —

سرية

في ربيع الاول ارسل عليه السلام علي بن ابي طالب في خمسين فارساً لهدم الفلس (صنم لطى) فسار اليه وهدمه واحرقه ولما حارب عباده هزمهم واستاق نعمهم وشاءهم وسيبهم وكان فيه سفانة بنت حاتم طى ولما رجع علي الى المدينة طلبت سفانة من رسول الله ان يمن عليها فاجابها لانه كان من سننه ان يكرم الكرام فدعت له وكان من دعائها (شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر واصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة كريم الا وجعلك سبباً لردها عليه) وكانت

هذه المعاملة من رسول الله سبباً في اسلام اخيها عدى ابن حاتم الطائي الذي كان فر الى الشام عند ما رأى الرايات الاسلامية قاصدة بلاده . وكان من حديث مجيئه ان اخته توجهت اليه بالشام واخبرته بما عوملت به من الكرم فقال لها ما ترين في امر هذا الرجل فقالت ارى ان تلحق به سريعاً فان يكن نبياً فلا سابق اليه فضل وان يكن ملكاً فانت انت فقال والله هذا هو الرأي

— ❦ —
❦ وفود عدى بن حاتم ❦

فخرج حتى جاء المدينة ولقي رسول الله فقال عليه السلام من الرجل قال عدى بن حاتم فأخذه الى بيته وبينهما يمشان اذ لقيت رسول الله امرأة عجوز ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها فقال عدى والله ما هو بملك ثم مضى رسول الله حتى اذا دخل بيته تناول وسادة من جلد محشوة ليفاً فقدمها الى عدى وقال اجلس على هذه فقال بل أنت تجلس عليها فامتنع عليه السلام وأعطائها له وجلس هو على الارض ثم قال يا عدى اسلم قالها ثلاثاً فقال عدى اني على دين (وكان نصرانياً) فقال له عليه السلام انا اعلم بدينك منك فقال عدى أنت اعلم بديني مني قال نعم ثم عدد له اتياء كان يفعلها اتباعاً لقواعد العرب وليست من دين المسيح في شيء كأخذه المرباع وهو ربع الغنائم ثم قال يا عدى انما يمنعك من الدخول في

الدين ما ترى تقول انما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قدرة لهم وقد رمتهم
العرب مع حاجتهم فوالله ليوشكن المال ان يفيض فيهم حتى لا يوجد
من يأخذه ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم
وقلة عددهم اتعرف الحيرة قال لم ارها وقد سمعت بها قال فوالله ليعمن
هذا الامر حتى تخرج المرأة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار
احد ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه انك ترى الملك والسلطان في
غيرهم وايم الله ليوشكن ان تسمع بالقصور البيض من ارض بابل قد
فتحت عليهم فاسلم عدي رضي الله عنه وعاش حتى رأى كل ذلك



— غزوة تبوك —

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الروم جمعت الجوع تريد
غزوة في بلاده وكان ذلك في زمن عسرة الناس وجذب البلاد
وشدة الحر حين طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم
فأمر عليه السلام بالتجهيز وكان قلما يخرج في غزوة الاوري بغيرها
ليعني الاخبار على العدو الا في هذه الغزوة فانه اخبر بمقصده بعد
الشقة وكثرة العدو ليأخذ الناس عدتهم لذلك وبعث الى مكة وقبائل
الاعراب يستنفرهم لذلك وحث الموسرين على تجهيز المعسرين
فانفق عثمان بن عفان عشرة آلاف دينار وأعطى ثلاثمائة بعير
باحلاسها واقتابها وخمسين فرساً فقال عليه السلام اللهم ارض عن عثمان

فاني راض عنه وجاء ابو بكر بكل ماله وهو اربعة آلاف درهم فقال
عليه السلام هل ابقيت لاهلك شيئاً فقال ابقيت لهم الله ورسوله وجاء
عمر بن الخطاب بنصف ماله وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائة اوقية
وجاء العباس وطلحة بمال كثير وتصدق عاصم بن عدي بسبعين وسقاً
من تمر وارسلت النساء بكل ما يقدرن عليه من حلين وجاءه عليه
السلام سبعة انفس من فقهاء الصحابة يطلبون اليه ان يحملهم فقال لا
اجد ما احملكم عليه فتولوا واعينهم تفيض من الدمع حزناً ان لا
يجدوا ما ينفقون فجهز عثمان ثلاثة منهم وجهاز العباس اثنين وجهاز يامين
ابن عمرو اثنين ولما اجتمع الرجال خرج بهم رسول الله وهم ثلاثون
الفاً وولى على المدينة محمد بن مسلمة وعلى اهله علي بن ابي طالب
وتخلف كثير من المناققين يرأسهم عبد الله بن ابي وقال يغزو محمد بنى
الاصفر مع جهد الحال والحز والبلد البعيد يحسب محمد ان قتال بنى
الاصفر معه اللعب والله لكأني انظر الى اصحابه مقرنين في الجبال
واجتمع جماعة منهم فقالوا في حق رسول الله واصحابه ما يريدون من
الارجاف فبلغه ذلك فارسل اليهم عمار بن ياسر يسألهم عما قالوا فقالوا
انما كنا نخوض ونلعب وجاء اليه جماعة منهم الجند بن قيس يعتذرون
عن الخروج فقالوا يا رسول الله ائذن لنا ولا تفتنا لانا لا نأمن نساء
بنى الاصفر وجاء اليه المعذرون من الاعراب وهم اصحاب الاعذار
من ضعف او قلة ليوذن لهم فاذن لهم وكذلك استأذن كثير من

المنافقين فاذن لهم وقد عتب الله عليه في ذلك الاذن بقوله في سورة
براءة (عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم
الكاذبين) ثم قال في حقهم (انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله
واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) ثم كذبهم
الله في عذرهم فقال (ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره
الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اعدوا مع القاعدین) ثم لكيلا يأسي
المسلمون على تعود المنافقين عنهم قال جل ذكره (لو خرجوا فيكم ما
زادوكم الا خبلاً ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون
لهم والله عليم بالظالمين) وتخلف جماعة من المسلمين لا يتهمون في
اسلامهم منهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع
وابو خيشمة ولما خلف عليه السلام علياً قال المنافقون قد استقله فتركه
فاسرع الى رسول الله وشكاه ما سمع فقال عليه السلام (اما ترضى
ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى) ثم سار عليه السلام بالجيش
واعطى لواءه الاعظم ابا بكر الصديق وفي اعطاء اللواء لابي بكر في
آخر غزوة للرسول وتخليف علي على أهل البيت حكمة لطيفة يفهما
القارئ وفرق عليه السلام الرايات فأعطى الزبير راية المهاجرين وأسيد
ابن حضير راية الاوس والحباب بن المنذر راية الخزرج (ولما مر
الجيش بالحجر وهي ديار ثمود قال عليه السلام لاصحابه (لا تدخلوا
بيوت الذين ظلموا الا وانتم باكون) ليشعر قلوبهم رهبة الله وكان

مستعملاً على حرس الجيش عباد بن بشر وكان أبو بكر يصلي بالجيش ولما وصلوا الى تبوك وكانت أرضاً لاعمارية فيها قال الرسول لمعاد بن جبل (يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ما هنا مليء بساتين) وقد كان ولما استراح الجيش لحقه أبو خيشمة وكان من خبر مجيئه ان دخل على أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشتين لهما في بستان قد رشت كل منهما عريشتها وبردت فيها ماء وهيات طعاماً وكان يوماً شديد الحر فلما نظر ذلك قال يكون رسول الله في الحر وأبو خيشمة في ظل بارد وماء مهياً وامرأة حسناء ما هذا بالنصف ثم قال والله لا أدخل عريشة واحدة منكما حتى ألقى برسول الله فيها لي زاداً ففعلتا ثم ركب بعيره وأخذ سيفه ورمحه وخرج يريد رسول الله فصادفه حين نزل بتبوك

❦ وفود صاحب أيلة ❦

هذا ولم ير عليه السلام بتبوك جيشاً كما كان قد سمع فأقام هناك أياماً جاءه في أثناءها يوحنا صاحب أيلة وصحبته أهل جرباء (١) وأهل أذرح (٢) وأهل ميناة فصالح يوحنا رسول الله على اعطاء الجزية ولم يسلم وكتب له الرسول كتاباً بهذه صورته :

(١) قرية جنوب الشام (٢) مدينة تلقاء السراة

— ❦ كتاب صاحب ايلة ❦ —

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمانة من الله ومحمد النبي رسول الله
ليوحنا وأهل ايلة سفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي
ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث
منهم حدثاً فإنه لا يجوز ماله دون نفسه وانه لطيبة لمن أخذه من الناس
وانه لا يحل ان يمنعوا ماء يردونه ولا طريقاً يريدونه من بر او بحر)



— ❦ كتاب أهل أذرح وجرباء ❦ —

وكتب لأهل أذرح وجرباء كتاباً صورته (بسم الله الرحمن
الرحيم هذا كتاب من محمد النبي لأهل أذرح وجرباء انهم آمنون بأمان
الله وامان محمد وان عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله
كفيل بالنصح والاحسان للمسلمين) وصالح اهل ميناء على ربع ثمارهم
(ثم ان) الرسول استشار اصحابه في مجاوزة تبوك الى ما هو ابعد منها
من ديار الشام فقال له عمر ان كنت امرت بالسير فسر فقال عليه
السلام لو كنت امرت بالسير لم أستشر فقال يا رسول الله ان للروم
جموعاً كثيرة وليس بالشام أحد من أهل الاسلام وقد دنونا وقد
افزعهم دنوك فلورجعنا في هذه السنة حتى نرى أويحدث الله أمراً
فتنع عليه السلام مشورته وأمر بالقبول فرجع الجيش الى المدينة

— مسجد الضرار —

ولما كان على مقربة منها بلغه خبر مسجد الضرار وهو مسجد أسسه جماعة من المنافقين معارضة لمسجد قباء ليفرقوا جماعة المسلمين وجاء جماعة منهم الى الرسول طالبين منه أن يصلي لهم فيه فسألهم عن سبب بنائه فحلفوا بالله ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون فأمر عليه السلام جماعة من أصحابه لينطلقوا اليه ويهدموه ففعلوا (هذا) ولما استقر عليه السلام بالمدينة جاءه جماعات من الذين تخلفوا يعتذرون كذبا فقبل منهم عليه السلام علانيتهم ووكل ضمائرهم الى الله واستغفر لهم

— حديث الثلاثة الذين خلفوا —

وجاءه كعب بن مالك الخزرجي ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية الاوسيان مقرين بذنوبهم فلما دخل عليه كعب تبسم تبسم الغضب وقال ما خلفك فقال يارسول الله لو جاست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ولقد أوتيت جدلاً ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخط عليّ فيه ولئن حدثتك حديث صدق تغضب عليّ فيه اني لأرجو فيه عفو الله والله ما كان لي من عذر فقال عليه السلام أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك وقال أصحاباه مثل قوله فقال لهما

عليه السلام كما قال لكعب ونهى المسلمين عن كلامهم فاجتنبهم الناس
وأمرهم ان يعتزلوا نساءهم واستأذنت زوج هلال بن أمية في خدمة
زوجها لانه شيخ ضائع ليس له خادم فأذن لها ولم يزالوا كذلك حتى
ضاعت عليهم الارض بما رحبت وضاعت عليهم انفسهم وظنوا أن
لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم فأرسل لهم عليه السلام من يبشرهم
بهذه النعمة الكبرى فتلقاهم الناس أفواجاً أفواجاً يهنئونهم بتوبة الله
فلما دخل كعب المسجد تلقاه رسول الله مسروراً فقال أبشريا كعب
بخير يوم يمر عليك منذ ولدتك أمك فقال من عندك يا رسول الله أم
من عند الله قال بل من عند الله فقال كعب يا رسول الله ان من
توبتي أن أنخلع من مالي صدقة لله ورسوله فقال عليه السلام أمسك
عليك بعض مالك فهو خير لك ثم قرأ عليه السلام الآيات التي فيها
توبته هو وصاحبه في سورة براءة (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا
ضاعت عليهم الارض بما رحبت وضاعت عليهم انفسهم وظنوا ان
لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم)



❦ وفود ثقيف ❦

وعقب مقدمه عليه السلام من تبوك وفد عليه وفد ثقيف وكان
من خبرهم أنه لما انصرف رسول الله من محاضرتهم تبع أثره عروة بن
مسعود الثقيفي حتى ادركه قبل ان يصل الى المدينة فأسلم وسأله ان

يرجع الى قومه ويدعوهم الى الاسلام فقال له انهم قاتلوك فقال يا رسول
الله انا احب اليهم من ابكارهم فخرج الى قومه يرجو منهم طاعته لمرتبة
فيهم لانه كان فيهم محبباً مطاعاً فلما جاء الطائف وأظهر لهم ما جاء به
رموه بالنبل فقتلوه و بعد شهر من مقتله ائتمروا فيما بينهم ورأوا انه
لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب فأجمعوا امرهم على أن يرسلوا
لرسول الله رجلاً منهم يكلمه وطلبوا من عبد ياليل بن عمرو أن يكون
ذلك الرجل فأبى وقال لست فاعلاً حتى ترسلوا معي رجلاً فبعثوا معه
خمسة من اشرافهم فخرجوا متوجهين الى المدينة ولما قابلوا رسول الله
ضرب لهم قبة في ناحية المسجد ليسمعوا القرآن ويروا الناس اذا صلوا
وكانوا يغدون الى رسول الله كل يوم ويخلفون في رحلهم اصغرهم سنّاً
عثمان بن ابي العاص فكان اذا رجعوا ذهب للنبي واستقرأه القرآن
واذا رآه نائماً استقرأ أبا بكر حتى حفظ شيئاً كثيراً من القرآن وهو
يكنم ذلك عن اصحابه ثم اسلم القوم وطلبوا أن يعين لهم من يؤمهم
فأمر عليهم عثمان بن أبي العاص لما رآه من حرصه على الاسلام وقرآءة
القرآن وتعلم الدين

— ❦ — كتاب أهل الطائف ❦ —

ثم كتب لهم كتاباً من جملته (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد
النبي رسول الله الى المؤمنين ان عضاه وجّ وصيده حرام لا يعضد

شجره ومن وجد يفعل شيئاً من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه) ثم سألوا رسول الله أن يؤجل هدم صنمهم شهراً حتى يدخل الاسلام قلوب القوم ولا يرتاع السفهاء من النساء من هدمه فرضي بذلك عليه السلام ولما خرجوا من عنده قال لهم رئيسهم أنا أعلمكم بتقيف اكنتموا عنهم اسلامكم وخوفوهم الحرب والقتال واخبروهم أن محمداً طلب اموراً عظيمة ايئناها عليه سألنا ان نهدم الطاغية وان نترك الزنا وشرب الخمر والزبا فلما حلوا بلادهم جاءتهم تقيف فقال الوفد جئنا رجلاً فظاً غليظاً قد ظهر بالسيف ودان الناس له فعرض علينا اموراً شديدة وذكروا ما تقدم فقالوا والله لا نطيعه ابدأ فقالوا لهم اصلحوا سلاحكم ورُموا حصونكم واستعدوا للقتال فأجابوا واستمروا على ذلك يومين او ثلاثة ثم القى الله فيها الرعب في قلوبهم فقالوا والله ما لنا بجره من طاقة ارجعوا اليه واعطوه ما سأل فقال الوفد قد قاضينا واسلمنا فقالوا لم كنتم علينا ذلك قالوا حتى تذهب عنكم نخوة الشيطان فاسلموا

—>>><<<—
— هدم اللات —

ولما بلغ رسول الله اسلام تقيف ارسل ابا سفيان والمغيرة بن شعبة التقيف لهدم اللات صنم تقيف بالطائف فتوجهوا وهدموه حتى سووه بالارض



عبد الله بن أبي فيهم وقد نزع ربة النفاق كثير من المنافقين بعد هذا اليوم لما رأوه من أعمال السيد الكريم صلى الله عليه وسلم وقد نهى الله رسوله بعد ذلك عن الصلاة على المنافقين فقال جل شأنه في سورة براءة (ولا تصلّ على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره)

— ❦ —
❦ وفاة أم كلثوم ❦ —

وفي هذه السنة توفيت أم كلثوم بنت رسول الله وزوج عثمان رضي الله عنهما

— ❦ —
❦ السنة العاشرة ❦ —

(سرية)

في ربيع الآخر أرسل عليه السلام خالد بن الوليد في جمع لبني عبد المدان بنجران من أرض اليمن وأمره ان يدعوهم الى الاسلام ثلاث مرات فان أبوا قاتلهم فلما قدم اليهم بعث الركب ان كل وجه يدعون الى الاسلام ويقولون اسلموا تسلموا فأسلموا ودخلوا في دين الله أفواجا فأقام خالد بينهم يعلمهم الاسلام والقرآن وكتب الى رسول الله بذلك فأرسل اليه ان يقدم بوفدهم ففعل وحين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم قال لهم بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية قالوا كنا نجتمع ولا نفرق ولا نبدا أحدا بظلم قال صدقتم وأمر عليهم زياد بن حصين

— سرية —

(وفي) رمضان ارسل عليه السلام علياً في جمع الى بني مدحج (قبيلة يمانية) وعمه بيده وقال (سر حتى تنزل بساحتهم فادعهم الى قول لا اله الا الله فان قالوا نعم فرهم بالصلاة ولا تبغ منهم غير ذلك ولان يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس ولا تقاتلهم حتى يقاتلوك) فلما انتهى اليهم القى جموعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل فصف على اصحابه وامرهم بالقتال فقاتلوا حتى هزموا عدوهم فكف عن طلبهم قليلاً ثم لحقهم ودعاهم الى الاسلام فاجابوا وبايعه رؤسائهم وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله ففعل ثم رجع الى رسول الله فوافاه بمكة في حجة الوداع

— بعث العمال على اليمن —

ثم بعث عليه السلام الى اليمن عمالاً من قبله فبعث معاذ بن جبل على الكورة العليا من جهة عدن (١) وبعث ابا موسى الاشعري على الكورة السفلى ووصاهما عليه السلام بقوله (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا) وقال لمعاذ (انك ستأتي قوماً اهل كتاب فاذا

(١) ثغر في جنوب اليمن

يقول لا اله الا الله الله اكبر لا اله الا الله وحده انجز وعده ونصر
عبده وهزم الاحزاب وحده وفي الثامن من ذي الحجة توجه الى منى
فبات بها

— ❦ ❦ ❦ —
خطبة الوداع ❦ ❦ ❦

وفي التاسع منه توجه الى عرفة وهناك خطب خطبته الشريفة التي
بين فيها الدين كله أسه وفرعه وهالك نصها (الحمد لله نحمده ونستعينه
ونستغفره وتوب اليه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من
يهد الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وحده
لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أوصيكم عباد الله بتقوى
الله وأحسبكم على طاعته واستفتح بالذي هو خير (أما بعد) أيها الناس
اسمعوا مني أبين لكم فاني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عايجي هذا في
موقفي هذا (أيها الناس) ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم الى ان تلقوا
ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الأهل بلغت اللهم
فأشهد فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها وان ربا الجاهلية
موضوع وان أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب وان
دماء الجاهلية موضوعة وأول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث
وان ماثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية (والعمد) قود وشبه
العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية

(أيها الناس) ان الشيطان قد يئس أن يعبد في ارضكم هذه ولكنه قد رضي ان يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم (أيها الناس) ان النسيء (١) زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونهُ عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله

(١) كانت العرب تستعمل في حسابها الاشهر الهلالية وكانت الاعمال التي كلفوا بها من عهد ابراهيم واسماعيل كالحج وتحريم الاشهر الحرم مرتبة بهذه الشهور ولما رأوا ان سيرهم على هذه القاعدة مما يضر بمصالحهم التجارية اذ قد يجيء الحج في فصل لا يناسبه وقد تحل الاشهر الحرم في فصل لا تناسب تجارتهم فيه عمدوا الى السنة الهلالية فاضافوا على آخرها اياماً سموها ايام النسيء لتوافق السنة الشمسية حتى يكون كل عمل ثابتاً في الفصل الذي يناسبه وكانوا يجمعون هذه الايام حتى تستكمل شهراً فيضيفونها فتتج من ذلك ان بعض السنين تكون اثني عشر شهراً وبعضها ثلاثة عشر فتارة يجيء الحج في شهره ذي الحجة وتارة في ذي القعدة وهكذا حتى يدور الدور فيأتي في ذي الحجة ثانياً فلما كانت حجة الوداع امر عليه السلام بابطال هذه القاعدة كما امره الله والسير على الاشهر الهلالية وكان الدور قد دار وجاء الحج في شهره ولذلك قال (ان الزمان قد استدار الخ)

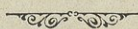
اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السموات والارض منها
أربعة حرم ثلاث متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم
ورجب الذي بين جمادي وشعبان ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس)
ان لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهنَّ حق أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا
يدخان أحداً تدهونه بيوتكم الا بأذنكم ولا يأتين بفاحشة فان فعلن
فان الله أذن لكم أن تعضلوهنَّ (١) وتهجروهنَّ في المضاجع وتضربوهن
ضرباً غير مبرح فان اتبهين وأطعنكم فعليكم رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف
وانما النساء عندكم عوان لا يملكن لانفسهنَّ شيئاً أخذتموهنَّ بأمانة الله
واستحلتم فروجهنَّ بكلمة الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهنَّ خيراً
ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) انما المؤمنون اخوة ولا يحل
لامرئ مال أخيه الا عن طيب نفس منه ألا هل بلغت اللهم اشهد
فلا ترجعن بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فاني قد تركت
فيكم ما ان أخذتم به لم تضلوا بعده كتاب الله ألا هل بلغت اللهم اشهد
(أيها الناس) ان ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم من
تراب اكرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربي فضل على عجمي الا بتقوى
الا هل بلغت اللهم اشهد فليبلغ الشاهد منكم الغائب (أيها الناس) ان
الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا تجوز لوارث وصيته

(١) العضل هو الحبس والتضييق

ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث والولد للفراش وللعاهر الحجر من ادعى الى غير ابيه او تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل والسلام عليكم ورحمة الله) وفي هذا اليوم امتن الله على المؤمنين بقوله في سورة المائدة (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) فلا غرابة ان اتخذ المسلمون عيداً ويوماً سعيداً يظهر فيه شكر الله على هذه النعمة الكبرى (ثم) انه عليه السلام ادى مناسك الحج من رمى الجمار والنحر والحلق والطواف وبعد ان اقام بمكة عشرة ايام قفل الى المدينة ولما رآها كبر ثلاثاً وقال (لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيرون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده)

— ❦ الوفود ❦ —

في هذه السنة والتي قبلها كان وفود العرب الى رسول الله ليبايعوه علي الاسلام وكانوا يقدمون افواجاً ولما في اخبار هذه الوفود من التعاليم الحميدة التي يحتاج ذو الادب ان يعرفها رأينا ان نذكر لك منها ما يزيدك يقيناً وينير بصيرتك فنقول



— وفود نجران —

(من) الوفود وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكباً دخلوا المسجد وعليهم ثياب الخبزة واردة الحرير محتمين بالذهب ومعهم بسط فيها تماثيل ومسوح جاؤا بها هدية للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبل البسط وقبل المسوح ولما جاء وقت صلاتهم صلوا في المسجد مستقبلين بيت المقدس ولما اتوا صلاتهم دعاهم عليه السلام للاسلام فأبوا وقالوا كنا مسلمين قبلكم فقال عليه السلام يمنعكم من الاسلام ثلاث عبادتكم الصليب واكلكم لحم الخنزير وزعمكم ان الله ولداً قالوا فمن مثل عيسى خلق من غير اب فأنزل الله في ذلك في سورة آل عمران وكذلك الآية بعدها (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وليظهر الله لهم انهم في شك من امرهم انزل (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فدعاهم عليه السلام لذلك فامتنعوا ورضوا باعطاء الجزية وهي الف حلة في صفر والف حلة في رجب مع كل حلة اوقية من ذهب ثم قالوا ارسل معنا اميناً فارسل لهم ابا عبيدة عامر بن الجراح وكان لذلك يسمى امين هذه الامة

— وفود ضمام بن ثعلبه —

(ومن الوفود) ضمام بن ثعلبة بينا رسول الله بين اصحابه متكئاً
جاءه رجل من اهل البادية تأثر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما
يقول فاناخ جمله في المسجد ثم قال ايكم ابن عبد المطلب فدلوه عليه
فدنا منه وقال اني سائلك فمشدد عليك المسألة فلا تجد (١) علي في
نفسك فقال سل ما بدالك فقال انشدك بالله الله ارسلك الى الناس
كلهم فقال نعم فقال انشدك بالله الله امرك ان نصلي خمس صلوات
في اليوم والليلة قال اللهم نعم فقال انشدك بالله الله امرك ان تأخذ
من اموال اغنيائنا فترده على فقرائنا قال اللهم نعم قال انشدك بالله
الله امرك ان نصوم هذا الشهر من اثني عشر شهراً قال اللهم نعم
قال انشدك بالله الله امرك ان يحج هذا البيت من استطاع اليه
سبيلاً قال اللهم نعم قال فاني قد آمنت وصدقت وانا ضمام بن ثعلبة
ولما ولى قال عليه السلام فقه الرجل ثم ذهب ضمام الى قومه ودعاهم
الى الاسلام وترك عبادة الاوثان فأسلموا كلهم



— وفود عبد القيس —

(ومن) الوفود عبد القيس وكان من خبرهم ان الرسول كان

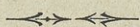
(١) اي لا تفضب

جالساً بين اصحابه يوماً فقال لهم سيطلع عليكم من هنا ركب هم خير
اهل المشرق لم يكرهوا على الاسلام قد انضوا الركائب وافنوا الزاد
اللهم اغفر لعبد القيس فلما اتوا ورأوا النبي صلى الله عليه وسلم رموا
بأنفسهم عن الركائب بباب المسجد وتبادروا الى رسول الله يسلمون
عليه وكان فيهم عبد الله بن عوف الاشج وكان اصغرهم سنّاً فتخلف
عند الركائب حتى اناخها وجمع المتاع واخرج ثوبين ابيضين فلبسهما
ثم جاء يمشي هوناً حتى سلم على رسول الله وكان رجلاً دميماً ففظن
لنظر الرسول الى دمامته فقال يا رسول الله انه لا يستقي في مسوك
(جلود) الرجال وانما الرجل بأصغريه قلبه ولسانه فقال عليه السلام
ان فيك خلتين يجبهما الله ورسوله الحلم والأناة وقد قال عليه السلام
لهذا الوفد (مرحبا بالقوم غير خزايا ولا نداحي) فقالوا يا رسول الله
انا نأتيك من شقة بعيدة (١) وانه يحول بيننا وبينك هذا الحي من
كفار مضر وانا لا نصل اليك الا في شهر حرام فمرنا بأمر فصل
فقال أمركم بالايان بالله أتدرون ما الايمان بالله شهادة ان لا اله الا
الله وان محمداً رسول الله واقام الصلاة وابتاء الزكاة وصوم رمضان

(١) لان ديارهم كانت بساحل الخليج الفارسي وهي ديار

ربيعة وبينهم وبين الحجاز ارض نجد

وان تعطوا من المغنم الخمس وانهاكم عن الدباء (١) والحتم (٢)
والنقير (٣) والمزفت (٤) والمراد بذلك ما ينبذ في هذه الاواني فقال
الاشج يا رسول الله ان ارضنا ثقيلة وخمة وانا اذا لم نشرب هذه الاشربة
عظمت بطوننا فرخص لنا في مثل هذه واثار الى يده فاوماً عليه
السلام بكفيه وقال يا اشج ان رخصت لك في مثل هذه شربته في
مثل هذه وفرج بين يديه وبسطها حتى اذا نمل احدكم من شرابه قام
الى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف وانما خص عليه السلام نهيهم بما
ذكر لكثرة الاشربة بينهم



— ❖ وفود بني حنيفة ❖ —

(ومن) الوفود بنو حنيفة وكان معهم مسيلة الكذاب وكان
مسيلة يقول ان جعل لي الامر من بعده اتبعته فأقبل عليه السلام
ومعه قيس بن شماس وفي يد رسول الله قطعة من جريد حتى وقف على
مسيلة في اصحابه فقال ان سألتني هذه القطعة ما اعطيتكها واني
لاراك الذي منه رأيت وكان عليه السلام قد رأى في منامه ان في
يده سوارين من ذهب فأهمه شأنهما فأوحى الله اليه ان انفخهما

(١) القرع (٢) هو جرار مدهونة بدهان اخضر (٣) هو اصل

النخلة ينقر (٤) ما طلى بالزفت

فنفخهما فطارا فأولهما عليه السلام كذا بين يخرجان من بعده فكان
مسيمة أحدهما والثاني طليحة العنسي صاحب صنعاء وقد أسلم بنو حنيفة

— وفود طيء —

(ومن) الوفود وفد طيء وفيهم زيد الخليل رئيسهم وقد قال عليه
السلام في حقه ما ذكر لي رجل من العرب إلا رأيتَه دون ما قيل فيه
الإزيد الخليل وسماه عليه السلام زيد الخليل

— وفود كندة —

(ومنهم) وفد كندة وفيهم الأشعب بن قيس وكان وجيهاً مطاعاً
في قومه

ولما دخلوا على رسول الله خبوا له شيئاً وقالوا أخبرنا عما خبأناه
لك فقال سبحان الله إنما يفعل ذلك بالكاهن وإن الكاهن والمتكهن
في النار ثم قال إن الله بعثني بالحق وأنزل علي كتاباً لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه فقالوا اسمعنا منه فتلا عليه السلام (والصافات
صفاً فالزجرات زجراً فالتاليات ذكراً إن الحكم لواحد رب السموات
والأرض وما بينهما ورب المشارق) ثم سكت وسكن ودموعه تجري
على لحيته فقالوا إنا نراك تبكي أفمن مخافة من أرسلك تبكي قال إن
خشيتي منه أبكتني بعثني على صراط مستقيم في مثل حد السيف إن

زغت عنه هلكت ثم تلا (واثن شئنا لنذهبن بالذي او حيناً اليك ثم
لا تجد لك به علينا وكيلاً الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك
كبيراً) ثم قال لهم عليه السلام الم تسلموا قالوا بلى قال ما بال هذا
الحرير في اعناقكم فغند ذلك شقوه وألقوه

— ﴿﴾ وفود أزدشنوة ﴿﴾ —

(ومنهم) وفد ازدشنوة ورئيسهم سرد بن عبد الله الازدي
فأسلموا وامره عليهم وامره ان يجاهد بمن اسلم من كان يليه من
اهل الشرك

— ﴿﴾ وفود رسول ملوك حمير ﴿﴾ —

(ومنهم) وفد رسول ملوك حمير وهم الحارث بن عبد كلال
والنعمان ومعافر وهمدان وكانوا قد أسلموا وارسلوا رسولهم بذلك فكتب
اليهم النبي صلى الله عليه وسلم

— ﴿﴾ كتاب ملوك حمير ﴿﴾ —

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن
عبد كلال والى النعمان ومعافر وهمدان أما بعد فاني أحمد الله اليكم
الذي لا اله الا هو اما بعد فانه قد وقع بنا رسولكم مقلنا من ارض

الروم فلقيناه بالمدينة فبلغ ما ارسلتم به وخبر ما قبلكم وانابنا باسلامكم
وقتلتم المشركين وان الله قد هداكم بهداه ان اصلحتم واطعمتم الله
ورسوله واقتمم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم
النبي وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة أما بعد فان محمداً
النبي ارسل الى زرعة بن سيف ذي يزن اذا اتاكم رسلي فأوصيكم بهم
خيراً معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عباد وعقبة بن نمر
ومالك بن مرارة واصحابهم وان اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية
من مخالفكم وأبلغوها رسلي وان اميرهم معاذ بن جبل فلا يتقابلن الا
راضياً اما بعد فان محمداً يشهد أن لا اله الا الله وأنه عبده ورسوله ثم
ان مالك بن كعب بن مرارة قد حدثني انك قد اسلمت من اول حمير
وقتلتم المشركين فأبشرو بخير وأمركم بحمير خيراً ولا تخونوا ولا تتخاذلوا
فإن رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا
لاهل بيته انما هي زكاة يزكي بها على فقراء المسلمين وابن السبيل وان
مالكاً قد بلغ الخبر وحفظ الغيب وأمركم به خيراً والسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته)

— وفود همدان —

(ومنها) وفد همدان وفيهم مالك بن نط وكان شاعراً مجيداً
فلقوا رسول الله مرجعاً من تبوك عليهم مقطعات من الخبرات اليمنية

والعالم العدينية وقد انشد مالك لرسول الله عليه السلام
حلفت برب الراقصات الى منى صوادر بالركبان من هضب قرد
بأن رسول الله فينا مصدق رسول اتى من عند ذي العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها أشد على اعدائه من محمد
وقد أمره عليه السلام على من اسلم من قومه وقد قال الرسول في
حق همدان نعم الحي همدان ما اسرعها الى النصر واصبرها على الجهد
وفيهم أبدال وفيهم اوتاد

وفود تجيب

(ومنها) وفد تجيب قبيلة من كندة وفد على رسول الله ثلاثة
عشرة رجلا منهم معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم فسر بهم
عليه السلام وأكرم مشواهم وقالوا يا رسول الله انا سقنا اليك حق الله
في أموالنا فقال عليه السلام (ردوها فاقسموها على فقرائكم) فقالوا يا رسول
الله ما قدمنا عليك الا بما فضل عن فقرائنا قال أبو بكر يا رسول الله
ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا فقال عليه السلام ان الهدى
بيد الله فمن أراد به خيراً شرح صدره للايمان وجعلوا يسألونه عن القرآن
فازداد عليه السلام رغبة فيهم ثم أرادوا الرجوع الى أهليهم فقيل لهم
ما يعجلكم قالوا نرجع الى من وراءنا فنخبرهم بروية رسول الله ولقائنا
اياه وما رد علينا ثم جاؤا الى رسول الله فدعوه فاجازهم بافضل ما

كان يجيز به الوفود ثم قال لهم هل بقي منكم احد قالوا غلام خلفناه
في رحالنا وهو احدنا سنأ قال فارسلوه الينا فارسلوه فاقبل الغلام وقال
يا رسول الله انا من الرهط الذين أتوك آنفاً فقضيت حاجتهم
فاقض حاجتي قال وما حاجتك قال تسأل الله أن يغفر لي ويرحمي
ويجعل غناي في قلبي فقال عليه السلام اللهم اغفر له وارحمه واجعل
غناه في قلبه ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من اصحابه



○ وفود ثعلبة ○

(ومنها) وفد ثعلبة وفد على رسول الله أربعة منهم مقرين
بالاسلام فسلموا عليه وقالوا يا رسول الله انا رسل من خلفنا من قومنا
وتحن مقرون بالاسلام وقد قيل لنا انك تقول لا اسلام لمن لا هجرة
له فقال عليه السلام (حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم) ثم قال لهم
كيف بلادكم فقالوا مخصبون فقال الحمد لله ثم أقاموا في ضيافته أياماً
وحين أرادتهم الانصراف أجاز كل واحد منهم بخمس اواق من فضة



○ وفود بني سعد بن هذيم ○

(ومنها) وفد بني سعد بن هذيم من قضاة قال النعمان منهم
قدمت على رسول الله وافداً في نفر من قومي وقد أوطأ رسول الله البلاد
وأزاح العرب والناس صفنان اما داخل في الاسلام راغب فيه واما

خائف السيف فزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا الى بابه فوجدنا رسول الله يصلي على جنازة في المسجد فقمنا خلفه ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم وقلنا حتى يصلي رسول الله ونبايعه ثم انصرف رسول الله فنظر الينا فدعا بنا فقال ممن اتم ققلنا من بني سعد بن هذيم فقال أمسلمون اتم قلنا نعم فقال هلا صليتم على اخيكم قلنا يا رسول الله ظننا ان ذلك لا يجوز حتى نبايعك فقال عليه السلام (اينما أسلمتم فأنتم مسلمون) قال فأسلمنا وبايعنا رسول الله بايدينا ثم انصرفنا الى رحلتنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث عليه السلام في طلبنا فأتى بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه صلى الله عليه وسلم على الاسلام فقلنا يا رسول الله انه أصغرنا وانه خادمنا فقال سيد القوم خادمهم بارك الله عليه قال النعمان فكان خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم له ثم أجازهم وانصرفوا

— ❦ — وفود بني فزارة ❦ —

ومنها وفد بني فزارة وفد على رسول الله جماعة منهم مقرين بالاسلام وهم مستنون فسألهم عليه السلام عن بلادهم فقال رجل منهم يا رسول الله أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا وأجذب جنابنا وجاءت عيالنا فادع لنا ربك يعثنا واشفع لنا الى ربك وليشفع لنا ربك اليك فقال عليه السلام سبحان الله ويلك هذا أنا اشفع الى ربي فمن ذا الذي

يشفع ربنا اليه لاله الا هو العلي العظيم وسع كرسيه السموات والارض
فهي تنط (١) من عظمته وجلاله كما ينط الرجل الحديث (أي من
ثقل الحمل) ثم صعد عليه السلام المنبر ودعا الله عز وجل حتى اغاث
بلاد هذا الوفد بالمطر الغزير والرحمة التامة

— ❦ وفود بني أسد ❦ —

(ومنها) وفد بني أسد وفيهم ضرار بن الأزور وطليحة بن عبد
الله الذي ادعى النبوة بعد ذلك فأسلموا وقالوا يا رسول الله أتيناك نتدري
الليل البهيم في سنة شهباء ولم تبعث الينا فانزل الله في ذلك (يمنون
عليك ان أسلموا قل لا تمنوا عليّ اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم
للايمان ان كنتم صادقين) وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عما
كانوا يفعلون في الجاهلية من العيافة (٢) والكهانة (٣) وضرب
الخصباء فنهاهم عن ذلك كله ثم سألوه عن ضرب الرمل فقال علمه نبي
فمن صادف مثل علمه فذاك والا فلا ثم اقاموا اياماً يتعلمون الفرائض
وبعد ذلك ودعوا وانصرفوا بعد ان اجيزوا

(١) أي تصوت

(٢) هي زجر الطير والتخرص على الغيب

(٣) هي الاخبار عن الكائنات في المستقبل

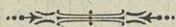
○ ❧ وفود بني عزره ❧ ○

(ومنها) وفد بني عزره ووفد بني بلي ووفد بني مرة ووفد خولان وهي قبيلة باليمن وقد امرهم عليه السلام بالوفاء بالعهد واداء الامانة وحسن الجوار لمن جار وان لا يظلموا أحداً فان الظلم ظلمات يوم القيامة



○ ❧ وفود بني محارب ❧ ○

(ومنها) وفد بني محارب وكانوا من الذين ردوا الرد القبيح حينما كان رسول الله بعكاظ يدعو القبائل الى الله فما اعظم منة الله الذي اتى بهؤلاء وكانوا الد الاعداء مسلمين متقادين



○ ❧ وفود غسان ❧ ○

(ومنها) وفد غسان ووفد سلامان ووفد بني عبس ووفد النخع وكان عليه السلام يقابل هذه الوفود بما جبهه الله عليه من البشاشة وكرم الاخلاق ويميزهم بما يرضيهم ويعلمهم الايمان والشرائع ليعلموا من ورائهم وكانت هذه الوفود اعظم وصلة لاظهار الدين بين الاعراب في البوادي



— وفاة ابراهيم بن النبي عليه السلام —

(وفي) هذه السنة توفي ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد حقق المرحوم محمود باشا الفلكي ان ذلك كان في التاسع والعشرين
من شهر شوال سنة ١٠ من الهجرة ٢٧ يناير سنة ٦٣٢ من الميلاد



— السنة الحادية عشر —

(سرية)

لاربع بقين من صفر جهز عليه السلام جيشاً برياسة اسامة بن
زيد الى أنى (١) حيث قتل زيد بن حارثة والد اسامة وقال له (سر
الى موضع قتل ابيك فأوطئهم اخيل فقد وليتك هذا الجيش فأغر
صباحاً على اهل أنى وحرقت عليهم واسرع السير لتسبق الاخبار فان
ظفرك الله فأقل اللبث فيهم وخذ الادلاء وقدم العيون والطلائع معك
وكان مع اسامة في هذا الجيش كبار المهاجرين والانصار منهم أبو بكر
وعمر وابو عبيدة وسعد ثم عقد عليه السلام لاسامة اللواء وقال له (اغر
باسم الله في سبيل الله وقاتل من كفر بالله) وقد اتفقت جماعة على
تأمير اسامة وهو شاب لم يتجاوز السابعة عشر من عمره على جيش فيه

(١) محل قريب من مؤتة

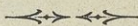
كبار المهاجرين فأبلغ الرسول هذه المقالة فغضب غضباً شديداً وأخرج فقال (اما بعد أيها الناس فإنا مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ولئن طعتم في تأميري أسامة لقد طعتم في تأميري اياه من قبله وايم الله ان كان خليقاً بالامارة وان ابنه من بعده خلّيق بها وان كان لمن احب الناس اليّ وانهما لمظنة لكل خير فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم) ولم يتم لهذا الجيش الخروج في عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم لان المرض بدأه فاختره الله للرفيق الاعلى وسيرى القارئ ان شاء الله خروج هذا الجيش متمماً في كتابنا (اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء)



— ❦ مرض الرسول صلى الله عليه وسلم ❦ —

لما تم عليه الصلاة والسلام ما كلف به وادى ما اوّتمن عليه وهدى الله به امته اختاره الله للرفيق الاعلى فجلس على المنبر مرة وكان فيما قال (ان عبداً خيره الله بين ان يؤتاه زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختر ما عنده) فبكى ابو بكر وقال يا رسول الله فدينك باأبائنا وامهاتنا فقال عليه السلام (ان أمن الناس على في صحبته وماله ابو بكر فلو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت ابا بكر ولكن اخوة الاسلام لا يبقى في المسجد خوخة الا سدت الا خوخة اى بكر) وقد بدأه عليه السلام مرضه في اوائل صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة في بيت ميمونة واستمر مريضاً ثلاثة عشر يوماً كان في خلالها ينتقل الى

بيوت ازواجه ولما اشتد عليه المرض استأذن منهنّ ان يمرض في بيت عائشة الصديقة فاذنّ له ولما دخل بيتها واشتد عليه وجعه قال هريقوا علي من سبع قرب لم تحلل او كيهنّ لعلي اعهد الى الناس فاجلس في مخضب وصب عليه الماء حتى اشار بيده ان قد فعلتنّ وكان هذا الماء التخفيف حرارة الحمى التي كانت تصيب من يضع يده فوق ثوبه



صلوة أبي بكر بالناس

ولما تعذر عليه الخروج الى الصلاة قال مروا ابا بكر فليصل بالناس فرضيه عليه السلام خليفة له في حياته ولما رأت الانصار اشتداد وجع الرسول أطافوا بالمسجد فدخل العباس واعلمه بمكانهم واشفاقهم فخرج عليه السلام متوكئاً على عليّ والفضل وتقدم العباس امامهم والنبي معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس في اسفل مرقاة المنبر وثار الناس اليه فحمد الله واثنى عليه ثم قال (ايها الناس بلغني انكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث الله فاخلد فيكم الا اني الاحق بري وانكم لاحقون بي فأوصيكم بالمهاجرين الاولين خيراً واوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى يقول (والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) وان الامور تجري بأذن الله ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل بمعجزة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله

خدعه. (فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم)
وأوصيكم بالانصار خيراً فانهم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلكم ان
تحسنوا اليهم ألم يشاروكم في الثمار ألم يوسعوا لكم في الديار ألم يؤثروكم
على انفسهم وبهم الخصاصة الا فمن ولي ان يحكم بين رجلين فليقبل
من محسنهم وليتجاوز عن مسيئتهم الا ولا تستأثروا عليهم الا واني فرط
لكم واتم لا حقون بي الا فان موعدكم الحوض الا فمن احب ان يرد
على غدا فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغي) وبينما المسلمون في صلاة
الفجر من يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الاول وابو بكر يصلي لهم اذا
برسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف سحف حجرة عائشة فنظر
اليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص ابو بكر رضي الله
عنه على عقبه ليصل الصف وظن ان رسول الله يريد ان يخرج الى
الصلاة وهم المسلمون ان يفتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله فأشار
اليهم بيده ان اتوا صلاتكم ثم دخل الحجرة وارخى الستر



— وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم —

ولم تأت ضحوة هذا اليوم حتى فارق رسول الله صلى الله عليه
وسلم دنياه ولحق بمولاه وكان ذلك في يوم الاثنين ١٣ ربيع اول سنة
١١ (٨ يونيو سنة ٦٣٢) فيكون عمره عليه السلام ٦٣ سنة قمرية
كاملة وثلاثة ايام واحدى وستين شمسية واربعه وثمانين يوماً وكان

ابو بكر غائباً بالسنع وهي منازل بني الحارث بن الخزرج عند زوجته
حبيبة بنت خارجة بن زيد فسل عمر سيفه وتوعد من يقول مات
رسول الله وقال انما ارسل اليه كما ارسل الى موسى فلبث عن قومه
اربعين ليلة والله اني لارجو ان يقطع ايدي رجال وارجلهم فلما اقبل
ابو بكر واخبر الخبر دخل بيت عائشة وكشف عن وجه رسول الله
فجثا يقبله ويسكي ويقول توفي والذي نفسي بيده صلوات الله عليك
يا رسول الله ما اطيبك حياً وميتاً بأبي انت وامي لا يجمع الله عليك
موتين ثم خرج فحمد الله واثني عليه ثم قال (الا من كان يعبد محمداً
فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت) وتلا
قوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون) وقوله (وما محمد الا رسول قد
خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن
ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) قال
عمر فكأنني لم اتل هذه الآية قط ثم مكث عليه الصلاة والسلام في
بيته بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويومه وليلة الاربعاء حتى انتهى
المسالمون من اقامة خليفة عليهم فغسل ودفن وكان النبي يغسله علي
ابن ابي طالب ويساعده العباس وابناه الفضل وقثم واسامة ابن زيد
وشقران مولى رسول الله وكفن في ثلاثة اثواب ليس فيها قميص ولا
عمامة ولما فرغوا من تجهيزه وضع على سريره في بيته ودخل الناس
عليه ارسالاً متتابعين يصلون عليه ولم يؤمهم احد ثم حفر له لحد في

حجرة عائشة حيث توفى وانزله القبر علي والعباس وولداه الفضل وقثم
ورش قبره بلال بالماء ورفع قبره عن الارض قدر شهر
توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك للمسلمين ما ان اتبعوه
لم يضرهم شيء كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد وترك اصحابه البررة الكرام يوضحون
الدين ويتمون فتح البلاد ويظهرون في الدنيا شمس الدين الاسلامي
القوم حتى يتم الله كلمته ويحق وعده وقد فعل فنسأل الله ان يقدرنا
على اداء شكره على هذه المنة العظمى والنعمة الكبرى



— شانه عليه السلام —

منح الله سبحانه نبينا صلى الله عليه وسلم من كلمات الدنيا
والآخرة ما لم يمنحه غيره ممن قبله او بعده ولا بد ان تأتي لك
في هذا الباب (١) ببذة يسيرة من محاسن صفاته واحاسن آدابه
لتكون لك نموذجا تسير عليه حتى تكون على قدم نبيك عليه الصلاة
والسلام فتستحق الحمد في الدنيا والآخر في الاخرى . فاعلم ارشدني

(١) جل ما ذكر في هذا الباب مختصر من كتاب الشفاء

للقاضي عياض رحمه الله

الله وأياك وهدانا للضراط السوى ان خصال الجلال والكمال في
البشر نوعان ضروري دينوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة ومكتسب
ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى (فأما) الضروري فما
ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلة عليه السلام
من كمال الخلقة وجمال الصورة وقوة العقل وصحة الفهم وفضاحة اللسان
وقوة الحواس والاعضاء واعتدال الحركات وشرف النسب وعزة
القوم وكرم الارض ويلحق به ما تدعو ضرورة الحياة اليه من الغذاء
والنوم والملبس والمسكن والمال والجاه (وأما) المكتسبة الاخروية
فسائر الاخلاق العلية والآداب من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر
والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياة المروءة
والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة واخواتها
وهي التي يجمعها حسن الخلق فاذا نظرت رعاك الى خصال الكمال التي
هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته عليه السلام حائزاً لجميعها محيطاً
بشئاتها محاسنها (فأما) الصورة وجمالها وتناسب أعضائه في حسنها فقد
جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من أنه صلى الله عليه
وسلم كان أزهر اللون (١) ادعج (٢) انجل (٣) اشكل (٤)

- (١) نير اللون او حسنه (٢) شديد سواد الحدقة مع سعة فيها
(٣) واسع العين مع حسن (٤) في بياض عينه حمرة

اهدب الاشفار (١) البلج (٢) ازج (٣) اقبى (٤) افلج (٥)
مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن عظيم
الصدر عظيم المنكين (٦) ضخم العظام عبل (٧) العضدين
والزراعين والاسافل رجب الكفين والقدمين سائل الاطراف انور
المتجرد دقيق المسربة (٨) ربعة القمد ليس بالطويل البائن (٩)
ولا القصير المتردد (١٠) ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب الى
الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكاً افتر
عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رى كل نور يخرج
من بين ثناياه أحسن الناس عتقاً ليس بمطهم (١١) ولا مكلم (١٢)
متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء بن عازب ما رأيت من ذي لمة
سوداء في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
أبو هريرة ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله كأن الشمس

- (١) كثير شعر حروف الاجقان (٢) مضى الوجه مشرقه
(٣) دقيق الحاجبين في طول (٤) مرتفع قصة الانف مع
احديداب يسير فيها (٥) مفرج بين الثايا والرباعيات (٦) المنكب
مجمع رأس العضد والكف (٧) ضخم (٨) المسربة شعر دقيق من
الصدر الى البطن (٩) مفرط الطول (١٠) المتناهي في القصر
(١١) المطهم البائن الكثير اللحم (١٢) المكلم صغير الذقن

تجري في وجهه واذا ضحك يتلألأ في الجدر وفي حديث ابن أبي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي في آخر وصفه له من رآه بديهته هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم

(وأما) نظافة جسده وطيب ريحه وعرفه ونزاهته عن الاقدار وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تمها بنظافة الشرع قال عليه السلام بني الدين على النظافة وقال أنس ما شمت عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله وعن جابر أنه عليه السلام مسح خده قال فوجدت يده برداً وريحاً كأنما أخرجها من جؤنة عطار قال غيره مسها بطيب أو لم يمسها يصفح المصافح فيظل يومه يحمد ريحها . ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحتها وروي البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ير في طريق فيتبعه أحد الا عرف انه سلكه من طيبه

(وأما) وفور عقله صلى الله عليه وسلم وذكاء البه وقوة حواسه وفضاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مريية أنه كان اعقل الناس وأذكاهم ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسته للعامة مع عجب شمائله و بديع سيره فضلاً عما أفاده من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سابق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب لم يمت

في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهية وكان عليه السلام اذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من امامه وبذلك فسر قوله تعالى (وتقبلك في الساجدين) وقالت عائشة كان عليه السلام يرى في الظلمة كما يرى في الضوء وكان يعد في الثريا أحد عشر نجماً وجاءت الاخبار أنه صرع ركاة أشد أهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وقال ابو هريرة ما رأيت أحداً أسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كما تما الارض تطوي له انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث وفي صفته عليه السلام أن ضحكه كان تبسماً اذا التفت التفت معاً واذا مشي مشي تقاعاً كأنما ينحط من صلب

(وأما) فصاحة اللسان و بلاغة القول فقد كان عليه السلام من ذلك بالحل الافضل والموضع الذي لا يجبل سلاسة طبع وبراعة منزع وإيجاز مقطع وفصاحة لفظ وجزالة قول و صحة معان وقلة تكلف أوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم السنة العرب فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قرين ككلامه مع أقبال حضرموت وملوك اليمن وعطاء نجد بل يستعمل لكل قبيلة ما استحسنته من الالفاظ وما انتهجت من طرق البلاغة ليعين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون

(وأما) كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه فقد ألف
الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا
يوازي فصاحة وبلاغة كقوله المسلمون تكافأ دماهم ويسعى بدمتهم
أدناهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من
أحب ولاخير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما
هلك امرؤ عرف قدره والمستشار موثمن ورحم الله عبداً قال خيراً فغتم
أو سكت فسلم وقوله اسلم تسلم وأسلم يؤتك الله اجره مرتين وان
أحبكم اليّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحسنكم اخلاقاً الموطئون
أكناً الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه او
ييخل بما لا يعنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون وجيهاً عند الله ونهيه عن
قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ومنع وهات وغشوق الامهات
وواد البنات وقوله اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق
الناس بخلق حسن وخير الامور أوسطها وقوله أحب حبيبك هوناً ما
عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله في
بعض دعائه اللهم اني أسألك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها امري
وتلم بها شعبي وتصلح بها رغائبي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد
بها أفتي وتعضمني بها من كل سوء اللهم اني أسألك الفوز في القضاء
ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى غير ذلك مما
روته الكفاة عن الكفاة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته

ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز سبقاً لا يقدر قدره وقد قال له اصحابه ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال وما يعنني وانما نزل القرآن بلساني لسان عربي مبين وقال مرة أخرى بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد جمع بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة وروثق كلامها الى التأييد الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشر (وأما) سرور نبيه وكرم بلده ومنشئه فما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم ونخبة قريش وصميمها وأشرف العرب وأعزهم نفراً من قبل أبيه وأمه ومن أهل مكة اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده وقد قدمنا لك في اول الكتاب ما فيه الكفاية في هذا المقام

(وأما) ما تدعو اليه ضرورة الحياة فمنه ما الفضل في قائمه ومنه ما الفضل في كثرته ومنه ما يختلف الاحول فيه فالاول كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء قديماً تتماذج بقلتهما وتندم بكثرتهما لان كثره الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشمره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب لادواء الجسد وخشارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب اليكسل وعادة

العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته وكان عليه السلام قد اخذ من الاكل والنوم بالاكل وحض عليه قال عليه السلام (ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيت يقمن صلبه فان كان لاحالة فثلت لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب وقالت عائشة رضي الله عنها لم يمتلي جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعاً قط. وانه كان في اهله لا يسألهم طعاماً ولا يتشبهه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب وفي صحيح الحديث (اما انا فلا آكل متكئاً) والاتكاء هو التمكن للاكل والتعدد في الجلوس له كالتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعى الاكل ويستكثر منه والنبي عليه السلام انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعياً ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وكذلك نومه كان قليلاً ومع ذلك فقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي

(واما) ما الفضل في كثرتة فكالجاه وهو محمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام (وجيهاً في الدنيا والآخرة) وكان النبي عليه السلام قد رزق الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في أنفسهم

خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته كما ذكرنا لك ذلك
مراراً وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روى عن قيلة انها
لما رآته ارعدت من الفرق فقال (يا مسكينة عليك السكينة) وفي
حديث ابي مسعود ان رجلاً قام بين يديه فارعد فقال له عليه السلام
(هون عليك فاني لست بملك)

(واما) عظيم قدره النبوة وشريف منزلته بالرسالة واناقة رتبته
بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة
سيد ولد آدم

(واما) ما تختلف فيه الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه
والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة
لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكنه في اغراضه والا فليس فضيلة
في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقاً له في مهماته
ومهمات من قصده وامله مصرفه في مواضعه مشترياً به المعالي والثناء
الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا
واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك الله
تعالى والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان
صاحبه ممسكاً له غير موجهه وجوهه حريصاً على جمعه عاد كثره
كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل
اوقعه في وهدة رذيلة البخل ومذمة الندالة فالتمدح بالمال ليس لذاته

بل للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته ونبينا صلى الله عليه وسلم اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما داني ذلك من الشام والعراق وجلب اليه كثير من اخماسها وجزيتها وصدقاتها وهداه جماعة من ملوك الاقاليم فما استأثر بشيء منه ولا امسك منه درهماً بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال (ما يسرني ان لي احداً ذهباً بيت عندي منه دينار الا ديناراً ارصده لديني) واته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها بقية فدفعها لبعض نساءه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات ودرعه مرهونه في نفقة عياله واقتصر في نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقية الديباج المخصوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر فانت ترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاز فضيلة المال بالزهد فيه وانفاقه على مستحقيه

(واما) الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب الشريفة وهي المسماة بحسن الخلق فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كلها والاعتدال في غايتها حتى اثني الله تعالى عليه بذلك فقال (وانك لعلی خلق عظیم) قالت عائشة كان خلقه القرآن يرضي برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه السلام

(بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) وقال انس كان عليه السلام احسن الناس خلقاً وكانت له هذه الآداب الكريمة كما كانت لآخوانه من الانبياء جبلة خلقوا عليها ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة دون نهاية ولا ممارسة وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكننا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه عليه السلام بها ان شاء الله (فأصل) فروعها وعنصرها يتابعها ونقطة دائرتها العقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقب الرأي وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد بلغ عليه السلام منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه يعلم ذلك من تتبع مجاري احواله واطراد سيره وطالع جوامع كلمه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه ودلمه بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وأيامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذها لها كلمة فيها قدوة وإشارات حجة كالطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك دون تعليم ولا مدرسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمهم بل نبي أمي لا يعرف شيئاً من ذلك

حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه وبحسب عقله كانت معارفه عليه السلام الى سائر ما علمه الله واطلمه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال تعالى (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً)

(واما) الحلم والاحتمال والعفو والقدرة والصبر على ما يكرهه فما أدب الله به نبيه فقال (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وقد سأل عليه السلام جبريل عن تأويلها فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له (واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور) وقال (وليعفوا وليصفحوا ألا تجبون أن يغفر الله لكم والله غفورٌ رحيمٌ) وقال (ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) وقد تضافرت الاخبار على اتصافه عليه السلام بنهاية هذه الاوصاف فما من حلیم الا عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة ونبينا لا يزيد مع كثرة الايذاء الا صبراً وعلى اسراف الجاهل الاحلاماً قالت عائشة رضي الله عنها ما خير عليه السلام في امرين قط الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثماً فان كان اثماً كان ابعد الناس منه وما انتقم لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله ولما فعل به المشركون ما فعلوا في أحد وطلب منه أن يدعو عليهم قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وحسبك في هذا الباب ما فعله مع مشركي قريش الذين آذوه واستهزؤا به وأخرجوه من دياره هو

وأصحابه ثم قاتلوه وحرصوا عليه غيرهم من مشركي العرب حتى تملأ
عليه جمعهم ثم لما فتح الله عليه مكة ما زاد على أن عفا وصفح وقال
ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خير اخ كريم وابن اخ كريم فقال
(اذهبوا فأنتم الطلقاء) وعن انس كنت مع النبي عليه السلام وعليه
برد غليظ الحاشية فجذبهُ أعرابي برداءه جبذة شديدة حتى اثرت
حاشية البرد في صفحة عنقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين
من مال الله الذي عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال
أبيك فسكت النبي ثم قال المال مال الله وأنا عبده ثم قال ويقاد منك
يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيدة السيدة
فضحك عليه السلام ثم امر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر
تمر قالت عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم متصراً من
مظامة ظمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب بيده
شيئاً قط الا ان يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادماً ولا امرأة فضلى
الله تعالى عليه وأقر عينه باتباع المسامين سنته

(وأما) الجود والكرم والسخاء والسماحة فكان عليه السلام
لا يوازي في هذه الاخلاق الكريمة ولا يباري وصفه بهذا كل من
عرفه قال جابر رضي الله عنه ما سئل عليه السلام عن شيء فقمال لا
وقال ابن عباس كان عليه السلام أجود الناس بالخير واجود ما كان
في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة

وقالت خديجة في صفة عليه السلام مخاطبة له انك تحمل الكل وتكسب
المعدوم وحسبك شاهداً في هذا الباب ما فعله مع هوازن من رد السبي
اليها وما فعله يوم تقسيم السبي من اعطاء المؤلفة قلوبهم عظيم الاعطية
وقد استوفينا ذلك في موضعه وحمل اليه عليه السلام تسعون ألفاً
فوضعها على حصير واخذ يقسمها فما قام حتى فرغ منها وجاءه رجل
فسأله فقال ما عندي شيء ولكن اتبع علي فاذا جاءنا شيء قضينا فقال له
عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره ذلك عليه السلام فقال له رجل
من الانصار يا رسول الله انفق ولا تحف من ذي العرش اقلالاً فقبس
عليه السلام وعرف البشري وجهه وقال بهذا أمرت والاخبار بجوده
وكرمه عليه السلام كثيرة يكفي منها لتعليمك ما ذكرناه

(واما) الشجاعة والنجدة فكان عليه السلام منهما بالمكان
الذي لا يبجل قد حضر المواقف الصعبة وفر الحكمة والابطال عنه غير
مرة وهو ثابت لا يبرح . ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح . وما من شجاع
الا احصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه وحسبك ما فعله في
حنين وأحد مما ذكرناه مستوفى قال ابن عمر ما رأيت اشجع ولا ابجد
ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي انا
كنا اذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله فما يكون احد
أقرب الى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله
عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً وقال

أنس كان عليه السلام أشجع الناس وأحسن الناس وأجود الناس
لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فلتاقم عليه السلام
راجعاً قد سبقهم الى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة
عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا

(وأما) الحياء والاعضاء فكان عليه السلام أشد الناس حياءً
وأكثرهم عن العورات اغضاء قال أبو سعيد الخدري كان عليه السلام
أشد حياءً من العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئاً عرفناه في وجهه
وكان عليه السلام لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحداً بما يكرهه
حياءً وكرم نفس قالت عائشة كان عليه السلام اذا بلغه عن أحد
ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا وكذا بل يقول ما بال أقوام
يصنعون أو يقولون كذا ينهي عنه ولا يسمى فاعله وقالت رضي الله عنها
لم يكن عليه السلام فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً بالأسواق ولا يجزي
بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح

(وأما) حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه مع أصناف الخلق فما
انتشرت به الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه كان عليه السلام
أوسع الناس صدراً وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة
وكان عليه السلام يؤلفهم ولا ينفهم ويكرم كريم كل قوم ويوليهم عليهم
ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن أحد منهم بشره
ولا خلقه ويتفقد أصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه

ان احداً اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون
هو المنصرف عنه ومن سألته حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول
قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الخلق سواء
بهذا وصفه ابن أبي هالة وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس
بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما
لا يشتهي ولا يؤيس منه قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت
فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم
في الامر) وقال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كأنه ولي حميم) وكان عليه السلام يجيب من دعاه ويقبل الهدية
ولو كانت كراعاً ويكافئ عليها وكان يمازح أصحابه ويخاطبهم ويحادثهم
ويلاعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والامة
والمسكين ويعود المرضى اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر وقال أنس
ما التقم أحد أذن النبي يحادثه فنحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذي
ينحى رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر وكان
يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ولم يرقط ماداً رجله
بين أصحابه حتى يضيّق بها على احد يكرم من يدخل عليه وير بما بسط
له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى
ويكني أصحابه ويدعوهم بأحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد
حديثه حتى يتجاوز فيقطعه بنهي اوقيام وكان اكثر الناس تبسماً

واطيهم نفساً ما لم ينزل عليه قرآن او يعظ او يخطب
(واما) الشفقة والرأفة والرحمة بجميع الخلق فقد وصفه الله بها في
قوله (عزيز عليه ما عتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) وقال
(وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) روى ان اعرابياً جاءه يطلب منه شيئاً
فاعطاه ثم قال أحسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب
المسلمون وقاموا اليه فأشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل
اليه وزاده شيئاً ثم قال أحسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل
وعشيرة خيراً فقال عليه السلام انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من
ذلك شيء فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب
ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال عليه
السلام ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي ا كذلك
قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيراً فقال عليه السلام مثلي ومثل
هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفوراً
فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه
لها بين يديها فأخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت
وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل
ما قال فقتلتموه دخل النار وقال عليه السلام لا يبلغني أحد منكم عن
اصحابي شيئاً فاني أحب ان اخرج اليكم وانا بسليم الصدر وكان يسمع
بكاء الصبي فيتجاوز في صلاته وعن ابن مسعود كان عليه السلام

يتخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا

(واما) خلقه عليه السلام في الوفاء وحسن العود وصلة الرحم
فروى عن عبد الله بن ابي الحساء قال بايعت النبي عليه السلام يبيع
قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتية بها مكانه فنسيت ثم
ذكرت بعد ثلاث فحجت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شقت علي
انا هنا منذ ثلاث أنتظر ك وكان اذا اتى بهدية قال اذهبوا بها الى بيت
فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة . وكان عليه
السلام يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم
ووفد عليه وفد فقام يخدمهم بنفسه فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم
كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكفهم وفي حديث خديجة
أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً انك لتصل الرحم وتحمل الكل
وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق

(واما) تواضعه عليه السلام على علو منصبه ورفعة رتبته فكان
اشد الناس تواضعاً واقلمهم كبراً وحسبك انه خير بين ان يكون نبياً
ملكاً او نبياً عبداً فاختر ان يكون نبياً عبداً وخرج عليه السلام مرة
على اصحابه متوكئاً على عصا فقاموا فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم
يعظم بعضهم بعضاً وقال انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما
يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين
ويجالس الفقراء ويحيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطاً بهم

حيثما انتهى به المجلس جلس وقال عليه السلام (لا تطروني كما أطرت
النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) وحج عليه
السلام على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم
اجعله حجاً لا رياء فيه ولا سمعة . هذا وقد فتحت عليه الارض
واهدى في حجه هذا مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش
المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعاً لله تعالى .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه
وسلم فاشترى سراويل وقال للوازن زن وارجح ثم قال فوثب الى يد
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلها فحذب يده وقال هذا تفعله الاعاجم
بماوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت
لاحملة قال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحملة

(واما) عدله عليه السلام وامانته وعفته وصدق لهجته فكان
آمن الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه واعدائه
وكان يسمى قبل نبوته الامين وقد قدمنا ذلك في سيرته عليه السلام
قبل النبوة . وفي الحديث عنه عليه السلام ما لمست يده يد امرأة قط
لا يملك رقها قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال يوم الرياح
يصلح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للهو والشرب ويوم الشمس
للحوائج ولكن نبينا عليه السلام جزاً نهاره ثلاثة اجزاء جزء لله وجزء
لا اله وجزء لنفسه ثم جزاً جزأه بين الناس فكان يستعين بالخاصة

على العامة ويقول (ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فان من ابلغ
حاجة من لا يستطيع ابلاغها آمنه الله يوم الفزع الاكبر) وكان عليه
السلام لا يأخذ احداً بذنب احد ولا يصدق احداً على احد

(واما) وقاره عليه السلام وصمته وتؤدته ومروته وحسن هديه
فكان عليه السلام اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئاً من
اطرافه وكان اذا جلس احتبى يديه وكذلك كان اكثر جلوسه محتبياً
وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عن تكلم بغير
جميل وكان ضحكه تبسماً وكلامه فصلاً لا فضول ولا تقصير وكان
ضحك اصحابه عنده التبسم توقيراً له واقتداء به مجلسه مجلس حلم
وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا
تكلم اطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير . وقال ابن ابي هالة كان
سكوته عليه السلام على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكير .
وقالت عائشة رضی الله عنها كان عليه السلام يحدث حديثاً لوعده العاد
لا خصاه وكان يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيراً ويحض
عليهما ومن مروته عليه السلام نهيه عن الفخ في الطعام والشراب
والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك واتقاء البراجم والرواجب
(مواصل الاصابع من ظاهر الكف وباطنها)

(واما) زهده عليه السلام فقد قدمنا لك فيه ما فيه الكفاية
وحسبك شاهداً على تقله من الدنيا واعراضه عن زهرتها وقد سيقت

اليه بمخافيرها وترادفت عليه فتوحها الى ان توفي (١) عليه السلام
ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة غياله وهو يدعو ويقول اللهم
اجعل رزق آل محمد قوتاً وقالت عائشة رضي الله عنها ما شبع عليه
السلام ثلاثة ايام تباعاً من خبز حتى مضى لسبيله وقالت ما ترك عليه
السلام ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ولقد مات وما في بيتي
شيء يا كله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال اني عرض علي
ان يجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يارب اجوع يوماً واشبع يوماً
فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي
اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وقالت عائشة ان كنا آل محمد لنمكث
شهرًا ما نستوقد ناراً ان هو الا التمر والماء وعن أنس ما اكل عليه
السلام على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة
سميطاً قط وفي حديث عائشة كان فراش رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذي ينام عليه أدما حشوه ليف وعن حفصة كان فراش رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحاً ثنيه ثنتين فينام عليه فثنيه
ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرستمولي الليلة فذكرنا له ذلك فقال ردوه

(١) قوله الى ان توفي كذا في نسخة من الشفاء وفي اخرى
ان توفي بمخذف الى وهو خبر قوله وحسبك والخبر على ما في الاولى
مخذوف فتأمل اه

بحاله فان وطأته منعتني اللبلة صلافي وقالت عائشة لم يمتلئ جوف النبي
صلى الله عليه وسلم شبعاً قط ولم يبت شكوى الى احد وكانت الفاقة
احب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعاً يلتوي طول ليلته من الجوع
فلا يمنعهُ صيام يومه ولو شاء سأل ربهُ جميع كنوز الارض وثمارها
ورغد عيشها ولقد كنت ابكي رحمة له مما ارى به وأمسح بيدي
على بطنه مما ارى به من الجوع واقول نفسي لك الغداء لو تباغت
من الدنيا ما يقوتك فيقول يا عائشة مالي وللدنيا اخواني من اولي
العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم
فقدموا على ربهم فاكرم ما بهم واجزل ثوابهم فاجدني استحي ان
ترفت في معيشتي ان يقصر بي غذا دونهم وما من شيء احب اليّ
من اللحوق باخواني واخلائي قلت فما اقام بعد الا اشهرًا حتى توفي
صلوات الله عليه وسلامه

(واما) خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه ولذلك
قال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ارى ما لا ترون
واسمع ما لا تسمعون اطت (صوت) السماء وحق لها ان تئنظ ما فيها
موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجداً لله والله لو تعلمون
ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذثتم بالنساء على الفرش
ونخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى لوددت اني شجرة
تعضد وكان عليه السلام يصلي حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا

وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال (افلا اكون عبداً
شكورا) وقالت عائشة رضي الله عنها كان عمل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ديمة واياكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى تقول
لا يفطر ويفطر حتى تقول لا يصوم وقال عوف ابن مالك كنت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقامت
معه فاستفتح البقرة فلا يمر بأية رحمة الا وقف فسأل ولا امر بأية
عذاب الا وقف وتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي
الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران
ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وقال بعضهم اتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يصلي وجوفه ازير كأزير المرجل وفي وصف ابن ابي
هالة كان متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وعن علي رضي
الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال
(المعرفة رأس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي
وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر
ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخرى والزهد حرفتي واليقين قوتي
والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرعة عيني في الصلاة
وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي) فجزاه الله
من نبي عن امته خيراً ورحم الله عبداً تأمل في هذه الشئائل الكريمة
والخضال الجميلة فتمسك بها واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحوز

شفاعته يوم الفزع الاكبر ويرضى الله عنه فنسألك اللهم التوفيق لما
فيه الخير بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين



— معجزاته عليه السلام —

إذا تأمل المتأمل ما قدمناه من جميل أثر هذا السيد الكريم
وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله
وشاهد حاله ووصاب مقوله لم يمتري في صحة نبوته وصدق دعوته وقد
كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به كعبد الله بن سلام فإنه
قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جئتُه لا نظر اليه فلما استبنت
وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب . وروى مسلم ان ضماداً
لما وفد عليه قال له صلى الله وسلم (ان الحمد لله نحمده ونستعينه من
يهد الله فلا مضل له ومن يضل الله فلا هادي له وأشهد أن
لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله) فقال له
ضماد أعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك
ابايك ولما بلغ ملك عمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو
الى الاسلام قال والله لقد دلني على هذا النبي الامي أنه لا يأمر بخير
الا كان اول آخذ به ولا ينهى عن شيء الا كان اول تارك له وانه
يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويني بالعهد وينجز الموعد وأشهد
أنه نبي وقال ابن رواحة

لو لم تكن فيه آيات مبيّنة * لكان منظره ينيك بالخبر
كيف وقد اظهر الله على يده تصديقا لدعوته من المعجزات
ما لا يفي به العد فهو اكثر الانبياء آية وأظهرهم برهاناً وسنداً
لك في هذا الفصل من الآيات ما تقر به عينك ويزداد به يقينك
مما رواه الجهم الغفير من الصحابة رضوان الله عليهم وأثبتته المحدثون
في صحاحهم ونبأ منها بأظهرها شأناً وأوضحها بياناً وهو القرآن
الشريف واعجازه (اعلم) ان كتاب الله العزيز منطوق على وجوده من
الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة (اولها)
حسن تأليفه والتثام كنهه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة
العرب وذلك انهم كانوا ارباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا
من البلاغة والحكم بما لم يخص به غيرهم من الامم . واوتوا من ذرابة
اللسان . ما لم يؤت انسان . ومن فصل الخطاب . ما يقيد الالباب .
جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة
بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون يديهاً في المقامات وشديد
الخطب . ويرتجزون به بين الطعن والضرب . ويقدمون ويتوسلون
ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال .
ويطوقون من اوصافهم أجمل من سمط اللال . فيخضعون الالباب .
ويدلون الصعاب . ويذهبون الاحن . ويهيجون الدمن . ويجروئن
الجبان . ويصيرون الناقص كاملاً ويتركون النبيه خاملاً . منهم

البدوي ذو اللفظ الجزل . والقول الفصل . والكلام الفخم والطبع
الجوهري . والمنزح القوي . ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة .
والالفاظ الناصعة . والكلمات الجامعة . والطبع السهل والتصرف في
القول القليل الكفاة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلاهما له في البلاغة
الحجة البالغة . والقوة الدامعة . والقدر الفالج . والمهيع الناهج .
لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم . والبلاغة ملك قيادهم . قدحوا
فنونها . واستنبطوا عيونها . ودخلوا من كل باب من أبوابها . وعلاوا
صراحاً بلوغ أسبابها . فقالوا في الخطير والمهين . وتفننوا في الغث
والثمين . وتناولوا في القل والكثير . وتساجلوا في النظم والنثر . فما
راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت آياته . وفصلت كلماته . وبهرت
بلاغته العقول . وظهرت فصاحته على كل مقول . وتضافر ايجازه
واعجازه . وتظاهرت حقيقته ومجازه . وتبارت في الحسن مطالعه
ومقاطعته . وحوث كل البيان مجامعه وبدائعه . واعتدل مع ايجازه
حسن نظمه . وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه . وهم افسح
ما كانوا في هذا الباب مجالاً . واشهر في الخطابة رجالاً . واكثر
في الشعر والسجع ارتجالاً . واوسع في الغريب واللغة مقالاً . بلغتهم
التي بها يتحاورون . ومنازعهم التي عنها يتناضلون . صارخاً بها في
كل حين . ومقرعاً لهم بضعاً وعشرين عاماً على رؤس الملا اجمعين

(أم يقولون افتراء قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون
الله ان كنتم صادقين) (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا
بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان
لم تفعلوا ولن تفعلوا) (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا
بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (قل
فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) فلم يزل يقرعهم أشد القرع ويؤمهم
أشد التوبيخ ويسفه احلامهم . ويحط اعلامهم . ويشتت نظامهم .
ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في
كل هذا ناكصون عن معارضته . محجمون عن مماثلته يخادعون
انفسهم بالتشغيب والتكذيب والافتراء والافتراء وقولهم (ان هذا
الاسحر يؤثر . وسحر مستمر . وافك افتراء . واساطير الاولين)
والمباهة والرضى بالدنية كقولهم (قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعوننا
اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه) والادعاء مع العجز كقولهم (لو نشاء لقلنا مثل هذا)
وقد قال لهم (ولن تفعلوا) فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من
سخافهم كسياسة كنف عواره لجمعهم وسلبهم الله ما القوه من فضيح
كلامهم والا لم يخف على اهل الميز منهم انه ليس من نط فصاحتهم
ولا جنس بلاعتهم بل ولوا عنه مدبرين . واتوا اليه مدعين . وانت
اذا تأملت قوله تعالى (ولكم في القصص حياة) وقوله (ولو ترى اذ

فرزوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب) وقوله (ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وقوله (وقيل يا ارض ابلي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي) وقيل بعدا للقوم الظالمين) وقوله (فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصباً ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون) واشباهها من الآي بل اكثر القرآن حققت ما بيته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تاليف حروفها وتلاوّم كلماتها وان تحت كل لفظة منها جملاً كثيرة وفصولاً جمّة وعلوماً زواجر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها . وكثرت المقالات في المستنبطات عنها . ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لتأمله من ربط الكلام ببعضه وبعض والتثام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة تردها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها (الوجه الثاني) من اعجاز القرآن صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير

له ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدهت
دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم
او سجع او رجز او شعر والاعجاز بكل واحد من النوعين الایجاز
والبلاغة بذاتها او الاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز
لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد منهما خارج عن
قدرتها مابين لفصاحتها وكلامها (الوجه الثالث) من الاعجاز ما
انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوقع فوجد كما
ورد وعلى الوجه الذي اخبر كقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء
الله آمنين) وقوله عن الروم (وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين)
وقوله (ليظهره على الدين كله) وقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن
لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً) وقوله
(اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا)
فكان جميع هذا كما اخبر فغلبت الروم فارس ودخلت الناس في الدين
أفواجا واتسع ملك المسلمين حتى كان لهم في وقت من أقصى بلاد
الاندلس غرباً الى اقاصي الهند شرقاً ومن بلاد الاناضول شمالاً الى
اقاصي السودان جنوباً وقوله (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)
فكان كذلك الى الآن والحمد لله وقوله (سيهزم الجمع ويولون
الدبر) فكان كذلك في بدر والآية نزلت بمكة وقوله (قاتلوهم يعذبهم

الله بأيديكم) فكان كذلك مما اطلع عليه قاريء هذه السيره وما فيه
من كشف أسرار المناقنين واليهود ومقالمهم وكذبهم في حلفهم كقوله
(ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) وقوله (يخفون في
انفسهم ما لا يبديون لك) وقوله (من الذين هادوا يجرؤون الكلم
عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لياً بالسنتهم
وطعناً في الدين) الى غير ذلك من الآيات البينات (الوجه الرابع)
ما انبأ به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الدائرة مما
كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من اجبار اهل الكتاب
الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده عليه السلام على وجهه ويأتي به
على نصه فيقر العالم بذلك على صحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم
وقد علموا انه عليه السلام أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة
ولا مجالسة لم يرغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم وكثيراً ما كان
يسأله كثير من اهل الكتاب عن هذا فينزل عليه من القرآن ما
يتلو عليهم منه ذكراً كقصص الانبياء وبدء الخلق وما في الكتب
السابقة مما صدقه فيها العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها
ولم يؤثر ان واحداً منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحاً
ولا سقيماً من صحفه بعد ان قرعهم ووبخهم بقوله (قل فاتوا بالتوراة
فاتلوها ان كنتم صادقين) ومما يدل على ان اهل الكتاب يعلمون
صدقه ما تحدثهم فيه الله بقوله (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند

الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) ثم حتم
عدم اجابتهم بقوله (ولن يتموه ابدأ بما قدمت ايديهم) فما سمع عن
احد منهم انه تمنى ذلك ولو بلسانه مع انهم كانوا احرص الناس على
تكذيبه ومثل ذلك ما فعله اهل نجران حينما دعاهم للمباهلة فأبوا وقد
قدمنا ذلك في فصل وفودهم ومما يدل على ان هذا القرآن ليس
من كلام البشر الروعة التي تلحق قلوب سامعيه والهيبة التي تعتر بهم
عند تلاوته لقوة حاله واناقة خطره حتى كانوا يستقلون سماعه ويزيدهم
نفوراً ولهذا قال عليه السلام ان القرآن صعب مستصعب على من
كرهه وهو الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه مع
تلاونه توليه اقبالاً وتكسبه هشاشة كميل قلبه اليه وتصديقه به قال
تعالى (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تالين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله) وقال تعالى (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيتنه
خاشعاً متصدعاً من خشية الله) ومن وجوه اعجاز القرآن كونه آية
باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال (انا نحن
نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وقال (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه) وسائر معجزات الانبياء لم يبق الا خبرها والقرآن الى
وقتنا هذا حجة قاهرة ومعارضة ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل
البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة
والملحد فيهم كثير والمعاند للشرع عتيد فما منهم من أتى بشيء يؤثر

في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح
ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح . بل المأثور
عن كل من رام ذلك القاؤه في العجز بيديه . والنكوص على عقبيه
ولنختم لك هذا الباب بحديثه عليه السلام في القرآن قال (ان الله
انزل هذا القرآن أمراً وواجراً وسنة خالية ومثلاً مضروباً فيه نبؤكم
وخبر من كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلفه طول الرد
ولا تقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم
به عدل ومن خاصم به فلج ومن حكم به اقسط ومن عمل به اجر
ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره
اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين
والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك
به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعقب)

(ومن) معجزاته عليه السلام انشقاق القمر وقد قدمنا حديثه مستوفى
(ومن) معجزاته عليه السلام نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره
ببركته وقد روي هذا الجم الغفير من الصحابة منهم أنس وجابر وابن
مسعود قال أنس رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حانت
صلاة العصر فالتمس الناس ماء للوضوء فلم يجدوه فأتى النبي صلى الله
عليه وسلم بوضوء فوضع في الاناء يده وأمر الناس أن يتوضؤا منه قال
فرأيت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا عن آخرهم

فقيل كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة وقال ابن مسعود بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معه فضل ماء فأتى بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابعه وقال جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كأمثل العين قيل كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة .

وروى هذه القصة جمع عظيم من الصحابة ومثل هذا في هذه المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا أسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه نفوسهم من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهو لاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجمل الغفير له ولم ينكر عليهم احد من الناس ما حدثوا به عنهم أنهم فعلاه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم لهم

(ومما يشبه هذا تفجير الماء ببركته وانبعائه بمسه ودعوته كما ورد عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وأنهم وردوا العين وهي تلمع بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل عليه السلام فيه وجهه ويديه وأعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس وفي رواية ابن اسحق فأنحرق من الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما هنا

قد ملئ جناناً وقد قدمنا ذلك في غزوة تبوك . وروى عن البراء وسلمة
ابن الاكوع تكثير عين الحديدية بدعوته عليه السلام وروى ابوقتادة
ان الناس شكوا الى رسول الله العطش في بعض اسفاره فدعا بالمبضاة
فجعلها في صنبه (ما بين الكشح الى الابط) ثم التقم فيها فالله أعلم أنفت
فيها أم لا فشرب الناس حتى رووا وملوا كل اناء معهم فحيل لي انها
كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلاً . ورويت قصص مشابهة
لهذه عن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم في محال مختلفة بحيث
لا يشك أحد في صدقها بعد تضافر التقات على روايتها

(ومن) ذلك تكثير الطعام ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم
روي طلحة انه عليه السلام أطمع ثمانين أو سبعين رجلاً من اقراص
من شعير جاء بها انس تحت ابطه فأمر بها عليه السلام ففتنت وقال
فيها ما شاء الله ان يقول . وروى جابر انه عليه السلام أطمع يوم الخندق
ألف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر فأقسم بالله لأكلوا حتى
تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجينا ليخبز وكان عليه
السلام قد بصق في العجين والبرمة . وبارك وروى أبو أيوب انه صنع
لرسول الله وأبي بكر طعاماً يكفيهما فأطمع منه عليه السلام مائة وثمانين
رجلاً . وروى مثل ذلك كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن أبي بكر
وسلمة بن الاكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب وأنس بن مالك
رضوان الله عليهم أجمعين

(ومن) معجزاته عليه السلام قصة حنين الجذع قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفاً على جذوع نخل فكان عليه السلام اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار وفي رواية أنس حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل وكثير بكاء الناس لما رأوه به وفي رواية المطلب وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال عليه السلام ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم ألزمه لم ينزل هكذا الى يوم القيامة تحزناً على رسول الله فأمر به فدفن تحت المنبر وهذا الحديث خرجاه أهل الصحة ورواه من الصحابة كثيرون ورواه عنهم من التابعين ضعفهم وبمن دون عدتهم يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب . والله المثبت على الصواب

(ومن) معجزاته عليه السلام ابراء المرضى وذوي العاهات فقد أصيبت يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجته فردها عليه السلام فكانت أحسن عينيه وأحدّهما وبصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي قرد فما ضرب عليه ولا قاح وأصاب بن ملاعب الالسة استسقاء فبعث الى النبي عليه السلام فأخذ بيده حثوة من الارض فنفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها يرى انه قد هزى به فأناه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وتقدم حديث عليّ ورمده في غزوة خيبر وغير ذلك كثير مما يعجز قلمنا عن عدّه ورواه ثقات

المسلمين الاعلام

(اما) ما منحه الله اياه من اجابة دعواته فروى عن أنس بن مالك قال قالت امي أم سليم يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتته قال انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم نحو المائة ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة فكان نصيب كل زوجة من زوجاته الاربع من تركته ثمانون الفاً وتصدق مرة بعير فيها سبعة عتاة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقنابها واحلاسها

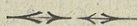
(ودعا) لمعاوية بالتمكين في الارض فنال الخلافة ودعا لسعد باجابة الدعوة فما دعا على احد الا استجيب له وتقدم دعاؤه لعمر ابن الخطاب ان يعز الاسلام به وقال لابي قتاده افلح وجهك اللهم بارك في شعره وبشره فمات وهو بن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة ودعواته عليه السلام المستجابة اكثر من ان تحصى يطلع عليها قارئ سيرتنا هذه

(اما) ما اطلعه الله عليه من علم ما لم يكن فما سارت به الركبان فعن حذيفة رضي الله عنه قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الاحدثه حفظه من حفظه ونسبه من نسبه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه

عرفه وما ادري أنسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك عليه السلام
من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فضاء الا
قد سماه لنا باسمه واسم ابيه واسم قبيلته وقد خرج اهل الصحيح والائمة
ما أعلم به أصحابه مما وعدهم به من الظهور على أعدائه وفتح مكة وبيت
المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المرأة من
الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله وان المدينة ستعززي وفتح خيبر على
يد علي في غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون من زهرتها
وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وقد قدمنا كثيراً من ذلك في هذه
السيرة وقدما ما في القرآن من ذلك وهذا يغنينا عن الاطالة في هذا
المقام فحسبك ما سمعت

(ومما) ينير بصيرتك أيها القارئ ما من الله به على رسولنا من
عصمته له من الناس وكفايته من آذاه قال تعالى (والله يعصمك من
الناس) وقال (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) وقال (أليس الله
بكاف عبده) وقال (انا كفيناك المستهزئين) ولما نزل (والله يعصمك
من الناس) صرف حجاباه وقال انصرفوا فقد عصمتني الله وقد قدمنا
حديث دعثور وارادته قتل النبي عليه الصلاة والسلام وعصمة الله
لنبينا وذكرنا كثيراً مما حصل من أبي جهل لما أراد بالرسول المكائد
فكفاه الله شره وما من الله به عليه ليلة الهجرة وحديث سراقه في
الطريق وعلى الجملة فيكفينا من هذا الباب انه عليه السلام مكث بين

أعداء الداء بمكة ثلاث عشرة سنة وبين مشابهم من المناقنين
واليهود عشر سنين فما تمكن أحد من إيصال اذى إليه صلى الله عليه
وسلم بل كفاه مولاه شر أعدائه حتى أظهر الدين وتممه والحمد لله حمداً
يوافي نعمه ويكافئ مزيده ونسأله ان يوفق قارئ هذه السيرة الى
اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه وانصاره



— ﴿﴾ —
تقريظ — ﴿﴾ —

قد اطلع على كتابنا هذا حضرة الكاتب الاديب والشاعر البليغ
الشيخ عبد العزيز چاويش المدرس بالمدرسة الناصرية فقال مقرظاً له
حمد الله تعالى حياطة آلائه . وشكره اجلال سيد أنبيائه وما
طويت صحائف الصدور على احسن حديثاً من كتاب الله القويم .
ولا طرقت المسامع بأجمل من سيرة نبيه الكريم . ولقد أظن بعض
واضعي السير . واتى من الاوضاع ما لا يحتمله الخبر . ظناً منه ان
الفرية تفيد من تكفل الحق تعالى باطرائه . واعلائه فوق سمائه .
وقلما سلم راوية من قيل عليل . أو أمن نسب من دعى دخيل وئبي
بلغ شأو الغلو . غنى وربك عن الغلو . فما حاجة الاسد الى السلاح
المدجج . او الغانية الى اللباس المديج . وما الغلو بهائض ولا جابر .
ولا خاذل ولا ناصر . ان كان باريه هو يده التي يبطش بها وعينه التي

يبصر بها خلقه فأحسن خلقه وأدبه فأحسن تأديبه ثم تولى حياته
وتقبل يوم الفزع شفاعته . ولا ريب ان ميدان السير كثير جواله فما
جلى ولا صلى . ولكن جهد وتولى . وبحر الرواية كثير خائضه فما قطع
ولارجع وكثير من رواة العجم ذهبوا عبايد . وجاسوا خلال ديارهم
عرايد . حتى وطئوا العاقل على الريب من أنبأهم وخدعوا الجاهل
بصغة طلاهم . وبديهي ان قصارى الشبع الكظة أو شكت الشهامة
ان تكون غلظة . وما زالت الاحقاب تسدل على ذلك سياجها . وتعلق
دون طالبه راجها . حتى قيض الله قيد أوابدها وما تح مواردها .
حضرة الفاضل الشيخ محمد الحضري فقد خاض عباها . واقتمحم قفرها
ويابها . لم يله عن وجهته روع ولم تنه عتمة ذلك السبيل حتى تنور
(بنور اليقين) غياة ذلك الجب . وتوكل على تكأة عناية الله في تذليل
هذا الامر الصعب . ففل بمشحوذ غراره كل حديد . وأجلب في تلك
الملاحم حتى وهن عن كفاحه كل جليد . وسعى في أثر تلك الشوارد
حتى شكر الله سعيه . واعتمد صحاح الاخبار وأنعم فيها رأيه . فتجلت
بتنقيبه خفايا الحقائق حاسرة . ووجوه الدقائق ناضرة . وتقض بمعول
فكره ما اصطنعت السحرة الالون . والقي عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون
وقد تصفحت كتابه الجليل . فاذا هو خلو من الدعى والدخيل . جمع
الى تحري الصدق صدق التحري . والى جزالة المعنى وجازة الالفاظ
والى الافتنان في اساليبه سلاسة العبارة ومن عرف جامع شتاته ومبدع

آياته وابصر منه تلك الدلاقة والحذاقة والبراعة والبلاغة ركنت نفسه
لما نسجته قريحته الوقادة . وفكرته القادة . وفقه الله تعالى الى ما فيه
خير العمل . وافسح له في رقعة الاجل . حتى يصون العلم ببذله .
ويعتق الناس بفضله آمين

ولما تم طبعه أرخه حضرة الفاضل الاديب الشيخ محمد حامد فقال
يا معشر الاسلام هذى سيرة . لبست بذكر محمد ثوب البها
لما بدت بالطبع قلت مؤرخاً . بالسيرة النبوية الدين ازدهى

سنة ١٣١٥



فهرست كتاب نور اليقين . في سيرة سيد المرسلين

صفحة	صفحة
٢٣ تبشير التوراة به	٢ خطبة الكتاب
٢٦ تبشير الانجيل به	٤ النسب الشريف
٢٧ حركة الافكار قبل البعثة	٧ زواج سيدنا عبدالله بالسيدة
٢٩ بدء الوحي	آمنة وحملها
٣١ فترة الوحي	٩ الرضاع
٣٢ عودة الوحي	٩ شق الصدر
٣٣ الدعوة سرّاً	١٠ وفاة السيدة آمنة وكفالة عبد
٣٩ الجهر بالتبليغ	المطلب ووفاته وكفالة ابي طالب
٤٣ الايذاء	١١ السفر الى الشام المرة الاولى
٤٩ اسلام حمزة	١١ حرب الفجار
٥٩ هجرة الحبشة الاولى	١٤ حلف الفضول
٦٠ اسلام عمر	١٤ رحلته الى الشام المرة الثانية
٦١ رجوع مهاجري الحبشة	١٥ زواجه خديجة
٦٤ كتابة الصحيفة	١٦ بناء البيت
٦٤ هجرة الحبشة الثانية	١٨ معيشته عليه السلام قبل البعثة
٦٥ تقض الصحيفة	٢٠ سيرته في قومه قبل البعثة
٦٦ وفود نجران	٢١ ما اكرمه الله به قبل النبوة

صحيفة	صحيفة
٩٠ مسجد قباء	٦٧ وفاة خديجة رضي الله عنها
٩١ الوصول الى المدينة	٦٨ زواج سودة رضي الله عنها
٩١ اول جمعة	٦٨ زواج عائشة رضي الله عنها
٩٢ النزول على ابي ايوب	٦٩ هجرة الطائف
٩٣ نزول المهاجرين	٧١ الاحتماء بالمطعم بن عدي
٩٣ اخوة الاسلام	٧٢ وفد دوس
٩٤ هجرة اهل البيت	٧٢ الاسراء والمعراج
٩٥ حى المدينة	٧٦ العرض على القبائل
٩٥ منع المستضعفين من الهجرة	٧٧ بدء اسلام الانصار
٩٦ السنة الاولى ببناء المسجد	٧٨ العقبة الاولى
٩٧ بدء الاذان	٨٠ العقبة الثانية
٩٩ يهود المدينة	٨٢ هجرة المسلمين الى المدينة
١٠١ المنافقون	٨٣ دار الندوة
١٠٢ معاهدة اليهود	٨٤ هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم
١٠٢ مشروعية القتال	٨٧ النزول بقاء
١٠٥ بدء القتال	٨٨ هجرة الانبياء
١٠٦ سرية	٨٩ اعمال مكة
١٠٧ وفيات	

صحيفة	صحيفة
١٣٦ السنة الثالثة	١٠٨ السنة الثانية . غزوة ودان
١٣٦ قتل كعب بن الاشرف	١٠٨ غزوة بواط
١٣٨ غزوة غطفان	١٠٩ غزوة العشيرة
١٣٩ غزوة بجران	١٠٩ غزوة بدر الاولى
١٣٩ سرية	١١٠ سرية
١٤٠ غزوة احد	١١١ تحويل القبلة
١٤٩ غزوة حمراء الاسد	١١١ صوم رمضان
١٥١ حوادث	١١٢ صدقة الفطر
١٥٢ السنة الرابعة	١١٢ زكاة المال
١٥٣ سرية	١١٣ غزوة بدر الكبرى
١٥٤ سرية	١٢٥ اسرى بدر
١٥٥ غزوة بني النضير	١٢٦ الفداء
١٥٧ غزوة ذات الرقاع	١٣٠ العتاب في الفداء
١٥٨ غزوة بدر الآخرة	١٣٢ غزوة قينقاع
١٥٩ حوادث	١٣٣ جلاء قينقاع
١٥٩ السنة الخامسة . غزوة دومة	١٣٤ غزوة السويق
الجندل	١٣٥ صلاة العيد
١٦٠ غزوة بني المصطلق	١٣٥ زواج علي بفاطمة عليها السلام

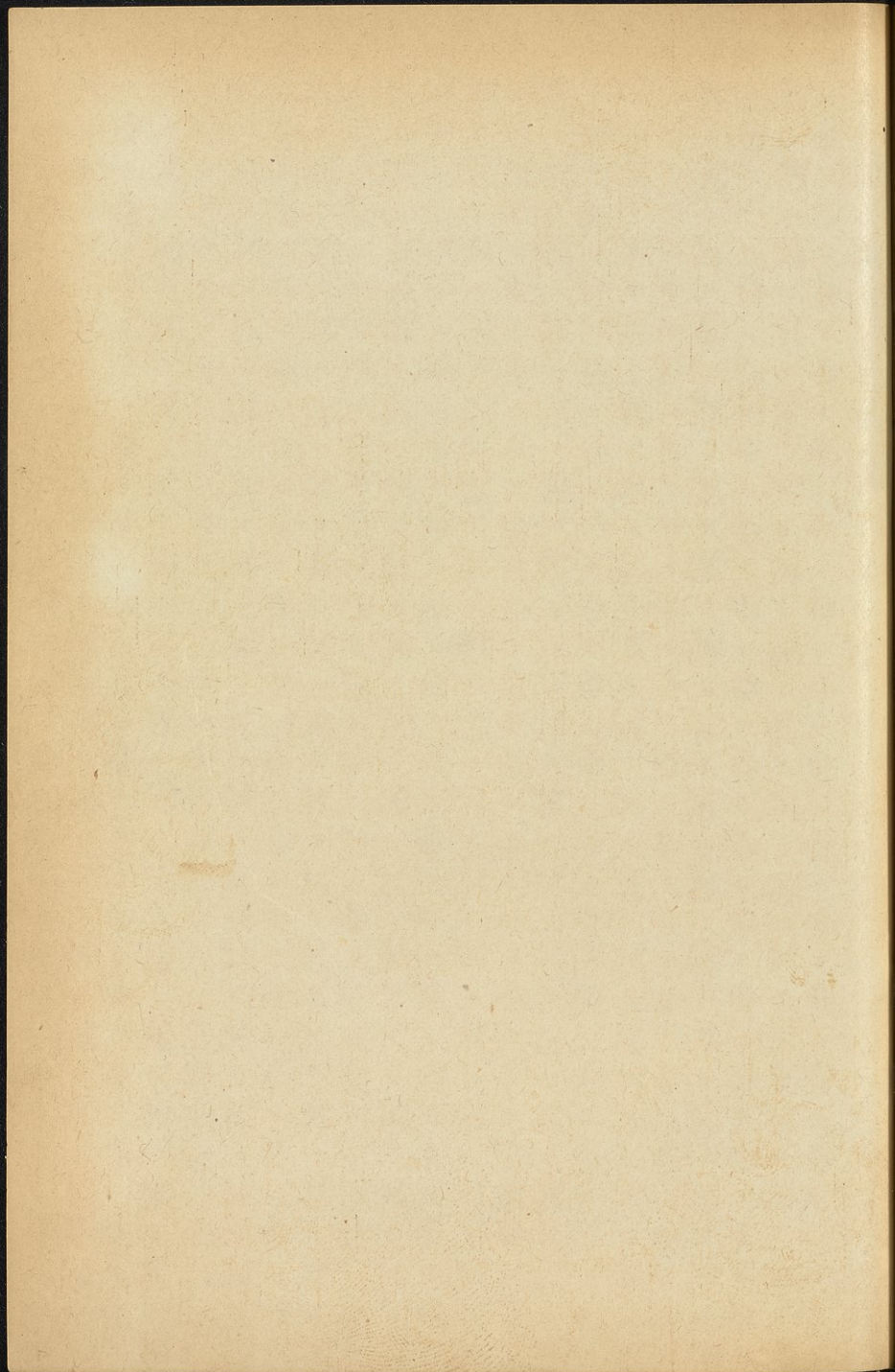
صحيفة	تصنيف	صحيفة	تصنيف
١٦٣	حديث الافك	١٩٠	سرية
١٦٨	غزوة الخندق	١٩٠	سرية
١٧١	الخدعة في الحرب	١٩١	قتل أبي رافع
١٧٣	هزيمة الاحزاب	١٩٣	سرية
١٧٤	غزوة بني قريظة	١٩٣	قصة عكل وعريثة
١٧٧	زواج زينب بنت جحش	١٩٤	سرية
	رضي الله عنها	١٩٥	غزوة الحديبية
١٨٠	الحجاب	١٩٩	بيعة الرضوان
١٨٣	فرض الحج	١٩٩	صلح الحديبية
١٨٣	السنة السادسة . سرية	٢٠٣	مكاتبة الملوك
١٨٥	غزوة بني لحيان	٢٠٤	كتاب قيصر
١٨٦	غزوة الغابة	٢٠٤	حديث أبي سفيان
١٨٧	سرية	٢٠٧	كتاب أمير بصرى
١٨٧	سرية	٢٠٧	كتاب الحارث بن أبي شمر
١٨٨	سرية	٢٠٨	كتاب المقوقس
١٨٨	سرية	٢٠٩	كتاب النجاشي
١٨٩	سرية	٢١٠	كتاب كسرى
١٨٩	سرية	٢١١	كتاب المنذر بن ساوي

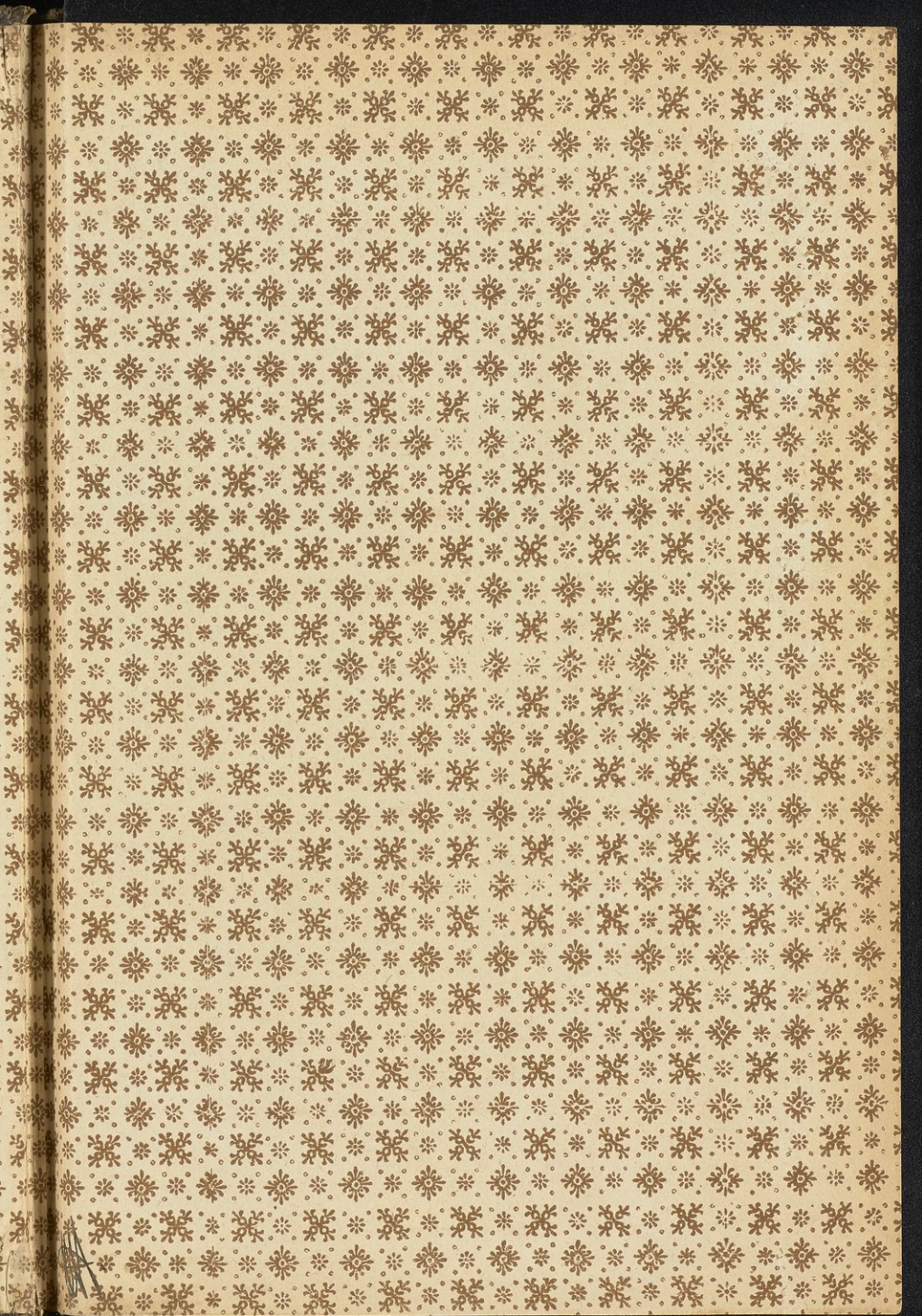
صحيفة	صحيفة
٢٢٦ غزوة مؤتة	٢١٣ كتاب ملكي عمان
٢٢٩ سرية	٢١٣ كتاب هوزة بن علي
٢٣٠ سرية	٢١٣ السنة السابعة . غزوة خيبر
٢٣١ غزوة الفتح الاعظم	٢١٨ زواج صفية رضي الله عنها
٢٣٧ العفو عند المقدرة	٢١٨ النهي عن نكاح المتعة
٢٤١ وفود كعب بن زهير	٢١٨ رجوع مهاجري الحبشة
٢٤٢ بيعة النساء	٢١٩ فتح فدك
٢٤٢ هدم العرّي	٢١٩ صلح تيماء
٢٤٣ هدم سواع	٢١٩ فتح وادي القرى
٢٤٣ هدم مناة	٢٢٠ اسلام خالد ورفيقه
٢٤٣ غزوة حنين	٢٢١ سرية
٢٤٧ سرية	٢٢١ سرية
٢٤٧ غزوة الطائف	٢٢٢ سرية
٢٤٩ تقسيم السبي	٢٢٣ عمرة القضاء
٢٥٢ وفود هوازن	٢٢٤ زواج ميمونة رضي الله عنها
٢٥٤ عمرة الجعرانة	٢٢٤ السنة الثامنة . سرية
١٥٤ سرية	٢٢٥ سرية
٢٥٥ وفود صداء	٢٢٦ سرية

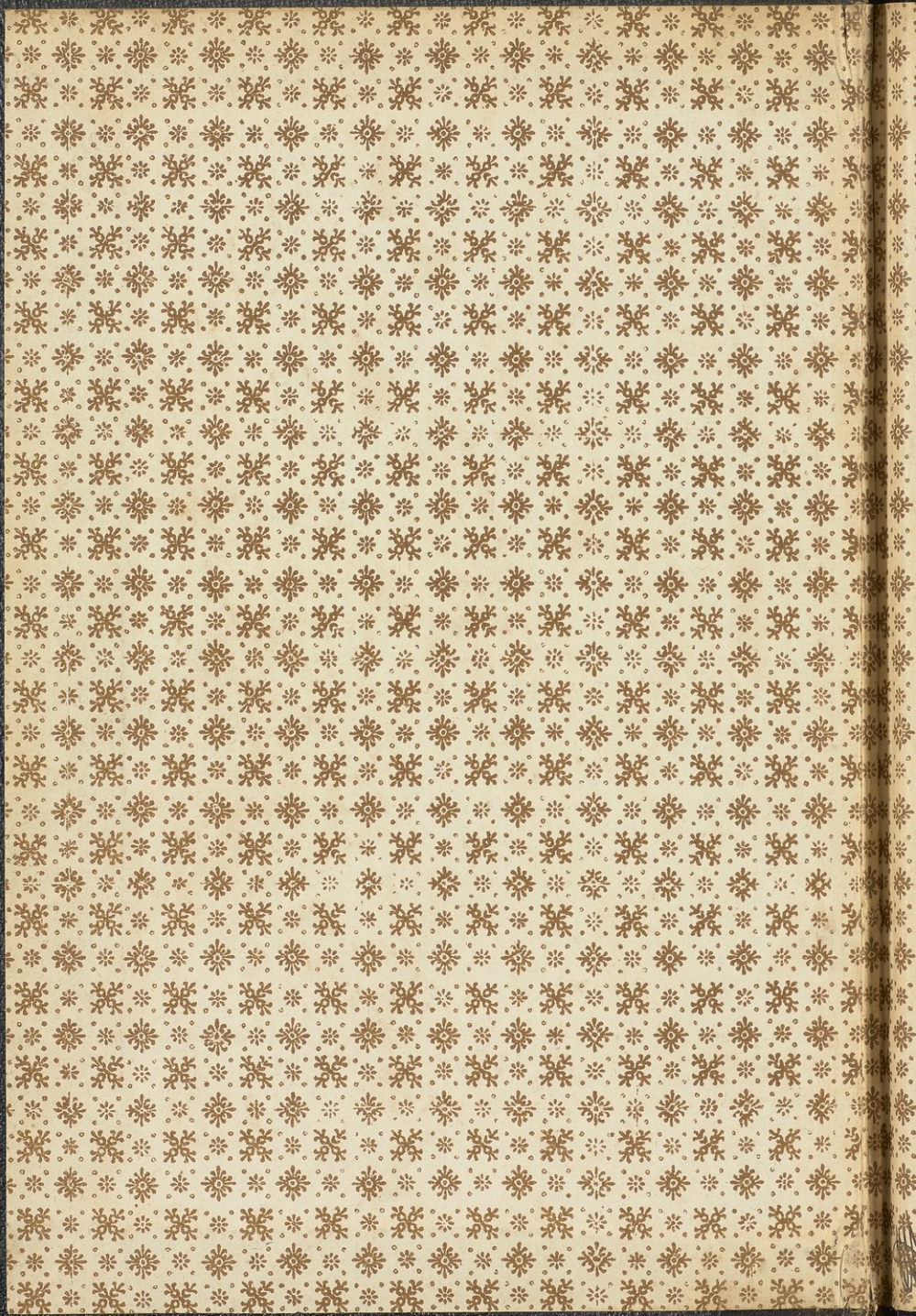
صحيفة	صحيفة
٢٧٠ السنة العاشرة . سرية	٢٥٥ سرية
٢٧١ سرية	٢٥٦ وفود تميم
٢٧١ بعث العمال على اليمن	٢٥٧ سرية
٢٧٢ حجة الوداع	٢٥٧ سرية
٢٧٣ خطبة الوداع	٢٥٨ السنة التاسعة . سرية
٢٧٦ الوفود	٢٥٩ وفود عدي بن حاتم
٢٧٧ وفود نجران	٢٦٠ غزوة تبوك
٢٧٨ وفود ضمام بن ثعلبة	٢٦٣ وفود صاحب أيلة
٢٧٨ وفود عبد القيس	٢٦٤ كتاب صاحب أيلة
٢٨٠ وفود بني حنيفة	٢٦٤ كتاب أهل أذرح وجرباء
٢٨١ وفود طيء	٢٦٥ مسجد الضرار
٢٨١ وفود كندة	٢٦٥ حديث الثلاثة الذين خلفوا
٢٨٢ وفود ازد سنوّة	٢٦٦ وفود تقيف
٢٨٢ وفود رسول ملوك حمير	٢٦٧ كتاب أهل الطائف
٢٨٢ كتاب ملوك حمير	٢٦٨ هدم اللات
٢٨٣ وفود همدان	٢٦٩ حج أبي بكر رضي الله عنه
٢٨٤ وفود نجيب	٢٦٩ وفاة بن ابي
٢٨٥ وفود ثعلبة	٢٧٠ وفاة ام كلثوم رضي الله عنها

صحيفة	صحيفة
٢٨٧ السنة الحادية عشر . سرية	٢٨٥ وفود بني سعد بن هذيم
٢٨٨ مرض الرسول صلى الله	٢٨٦ وفود بني فزارة
عليه وسلم	٢٨٧ وفود بني اسد
٢٨٩ صلاة ابي بكر بالناس	٢٨٨ وفود بني عذرة
٢٩٠ وفاة رسول الله صلى الله	٢٨٨ وفود بني محارب
عليه وسلم	٢٨٨ وفود غسان
٢٩٢ شمائله عليه الصلاة والسلام	٢٨٧ وفاة ابراهيم بن النبي عليه
٣٢٧ معجزاته عليه الصلاة والسلام	الصلاة والسلام









COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU59576235

ME06622

Kitab nur al-yaqin f